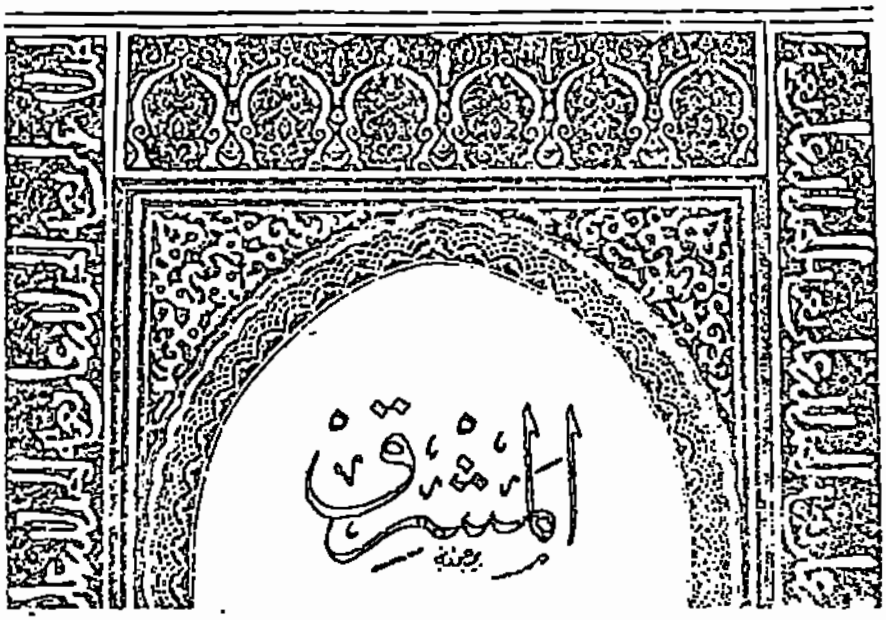

السنة الرابعة والثلاثون — تشرين١ — كانون١ ١٩٣٦

اصول الجمال

في الفنّ الاسلامي*

بقلم غاستون ڤييت

الاستاذ في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة في باريس ، ومدير المتحف العربي في القاهرة

تمهيد

لقد اخذت على نفسي القيام بمهمة شائقة ولكنها دقيقة ، وهي ان نتدبّر مما تلك الاسباب التي تدفعنا الى تذوّق الفنّ الاسلامي . لا مشاحة في أن الألفة والتمرن ضروريّان في تفهم مظاهر الفنون جميعها . بيد انها ، على ما يظهر من اقوال ارباب الشأن ، اشدّ ضرورة

*) من محاضرات « معهد الآداب الشرقية » في فرع « التاريخ والآثار القديمة في سورية وفنيقية ».

في تفهم آثار الفنانين المسلمين ، منها في تذوق اي فن آخر . ولهذا رأيت ان استدعي ذكرياتكم المبددة ، فاستميل انتباهكم لازدهار فني عجيب كان من حسن حظي ان اختص بدراسته حياتي كلها . ولنبدأ اذاً بتعيين اصول الجمال المشتركة في ما ظهر من الآثار الفنية في مختلف مناطق الاسلام ، عاملين ، قدر المستطاع ، على تحديد ميولها ومراميها .

نظرية التحريم

من الثابت ان القرآن لم يهتم بانشاء نظرية فنية . وكذلك القول عن النبي نفسه ، على ما نرجح . ولكن الفقهاء ، قادة الدين الاسلامي ، عمدوا شيئاً فشيئاً على بناء تلك النظرية الضيقة عدوة الحياة والفن . ولا يخفى ان ارباب العقائد في جميع الديانات يبدون صرامة شديدة يقاومون بها مظاهر الحياة المترفة الكسولة . على اننا نعتقد ان نسبة الكفر الى من يجرب تمثيل الكائنات الحية لم يكن ليؤثر وحده في شمول نظرية التحريم . انما هناك سبب آخر . هو اعتقاد الشعوب الاولية بان الصور تحمل في نفسها مخاطر جمة ، حتى لا يحسن بالانسان ان يتعرض لها . هذا هو السبب الاصيل الخفي في تشييد تلك العقيدة التحريمية ؛ وهو ما دفع عدداً من كبار الفنانين الى احترام هذه الصرامة في شجب الصور الحية ، بل الى السير بتوجيها . فنتج ان الفن الاسلامي ، في اساسه ، معاكس لتصوير الكائنات الحية . ومن ثم فقد اتخذ اصولاً للجمال خاصة به ، توافق هذه النظرية التي كانت تزداد صرامة وشدة تطبيق عصراً فعصراً ، على الرغم مما كان يظهره بعض الامراء المسلمين من ميول فنية لا تتفق مع مبادئ التحريم . ومهما يكن من وفرة الآثار الشاذة عن القاعدة العامة ، تلك الآثار التي يزداد عددها يوماً فيوماً ، فان الفن الاسلامي فتش منذ نشأته ، عن مظاهر عامة للاصول الجمالية خارجاً عن تمثيل الطبيعة الحية . وقد وجه هذه المظاهر متوفقاً فيها ، على بعده عن الحياة ، الى شيء من الحركة والاناقة تنتج من صفات فنية حقاً تستند خاصة الى الرشاقة وتناسب الاقسام . حتى ليحار المتأمل في موضوع إعجابه الاتم ، أهو تلك الألفة المتناسبة في توزيع الزخارف ؟

أم تلك الوفرة في تنويعها وترتيبها راميةً الى تمثيل مربعات هندسية او جنّة من الازهار النضرة ، او رسوم مستطابة في غرابتها وتفننها .

وان من يتعمّق في درس مظاهر هذا الفنّ ، يرى ان الدين الاسلامي لم يفرض على الفنّانين الّا قانوناً سلبياً . لقد منعهم تمثيل الصور . وان يكن هذا التحريم نجح للنجاح النسبي في اكثر البيئات والعصور ، فلأنّه وافق نزعةً اصيلة في نفسية المسلمين من العنصر السامي . اما في ما سوى هذه النقطة ، فقد احتفظ الفنّانون بحرّيتهم في إخراج فنّهم على اي مظهر كان ، مما يدلّ على ان الدين لم يفرض طريقةً خاصة للزخرف ، وبالتالي فهو لم يسنّ قانوناً إيجابياً للفنّ .

بين التقليد والابتكار

الاهتمام بالتفاصيل — الانتصار على الصعوبات

وهناك نقطة أخرى يجب ان نشير اليها . وهي ان الفنّ الاسلامي ، على ما اتصف به من شخصية ، ظلّ مدةً طائراً في حوض البحر المتوسط ، قبل ان يتخلّص من تقليد الفنّ البيزنطي ، والفنّ الفارسي الساساني الذي أثر خاصةً في العهد الاسلامي من خلال الآثار البيزنطية نفسها . على ان هنا ملاحظة جديرة بالانتباه وهي : إن يكن الفنّانون ، منفّذو رغبات الامراء المسلمين ، قد جروا اولًا على طريقة البيزنطيين اضطراراً وتقليداً ، فقد تابعوا تقليدهم هذا ، فيما بعد ، عن تذوّق للفنّ البيزنطي ، وعن رغبة في استخدام اهمّ ما فيه من موضوعات وأساليب أيّد فضلها كرور الزمن . فقلّدوا ، ولكن عن حرّية واختيار واناقة . واذا يمكننا القول ان الاسلام عمل على الاسراع في تطوّر طريقة زخرفية فنّية كانت تبدو مظاهرها قبل الشروع بنشر الدين الجديد . وقد يصحّ القول ان المسلمين لم يأتوا بطرق مبتكرة في الزينة والزخرف ، على طريقة واضحة ملموسة ؛ ولكنهم تناولوا الآثار الفنّية السابقة فادخلوا فيها روح الاسلام ونفسيّته الخاصة . وذلك بامتزاجات جديدة ادخلوها في القوالب الزخرفية القديمة ، وبما قاموا به من تنويعات مبتكرة في تلك القوالب نفسها ، بالغوا فيها حتى الاغراق احياناً ، ولكنهم لم يتجاوزوا حدّ الألفة والتناسب . كل هذا نشأ

فيهم عن ذاك الميل العميق وتلك النزعة الخفية في الإحساس الشرقي . وليس ادلّ على تذوّق بعض الاشكال الفنيّة ، بل بعض ما وصلت اليه تشعّبات تلك الاشكال، من ذكر ما كانت تلاقيه من ارتياح وإعجاب تلك التوسيعات البيانية والزخارف اللفظية . فان بين النوعين صلة دقيقة تظهر في ذاك التطوّر المزدوج المتوازي بين مظاهر الفنّ ومظاهر الانشاء الادبي العالي. وهكذا لما اراد البناؤون المسلمون ان ينتقلوا من الشكل المستدير الى الشكل المربّع ، وجدوا تلك الزاوية البارزة في العقد ، فأعجبوا بها ، واخذوا يعدّدونها أفقياً وعمودياً حتى كوّنوا طبقات فوق طبقات من تلك الزوايا الجميلة.

ولا شكّ في ان كل هذه المظاهر تتصل بعضها ببعض دالّةً على رغبة اصيلة فطرية في تتبع الامور بالتحليل البالغ والتفصيل الدقيق ، حتى يصل الفنّان الى نشوة الحذق والمهارة، بانتصاره على الصعوبات وتسهيله العقبات من اي نوع كانت، صارفاً همّه الى كل دقيقة من دقائق المجموع يصقلها ويتقنها ويتفنّن فيها ، وكأنها عالَمٌ بأسره . لا يأخذه في ذاك ملل ، بل لا يكاد يأخذه خوف التضخّم الجزئي فالخروج عن تناسق المجموع . هو ميل طبيعي عرفناه ، منذ القدم، في مظاهر الادب الانشائي ، من شعر ونثر. فاستغربنا ، لاول وهلة ، تلك المشاهد المتعدّدة ، والتصاوير المتقابلة ، في القصيدة العربية ، لا يكاد يقف الشاعر عند واحدة منها ، انما يوحيها كلها في سيره ، وان تكن واهية الصلة بموضوعه الاساسي ، فيمدّد مفاعيلها بواسطة سلسلة من التشابيه تهبط على المطالع من حيث لا يتوقعها .. ولا شكّ ان في الشعر ، كما في الفنّ السابق الذكر ، جمالاً خاصاً قد لا تسيغه نظريّاتنا الفنيّة ولا مقاييسنا الجمالية. بيد انه مهما يكن لهذه النظريات والمقاييس من دقّة وصوابية ، فاننا لا نقوى على دفع الاثر العجيب الذي تحدثه فينا تلك الاحاديث اللطيفة العجيبة ، وان دارت حول الموضوع الاساسي ، وتلك الصور المتتابعة على غير ترتيب ، وتلك الخطوط الذاهبة على غير اتجاه بارز ولا غاية ظاهرة . هي الطراوة المنعشة يوليها الفنّ الاسلامي متأمّليه بما يعرضه عليهم من ظواهر المفاجآت.

الى هذه الميزة يجب ان نردّ تلك الغرابة التي نشعر بها امام بعض الآثار

الاسلامية ، اذا ما اردنا تحليلها وتفصيلها ، والتدقيق في درس مركباتها . اننا نحب ، في بلادنا الغربية ، ان يخفي علينا الفنان ما يبذله من جهد ، فيظهر غير مكترث لما انتصر عليه من صعوبات . اما في الشرق فالحالة على غير هذا . فلا نستغربن اذاً موقف الفنان المسلم اذا لم يرم الى ايهامنا ارتجال فنه . فهو لا يرتجل ، ولا يربي الى الارتجال . انما يطلعنا ، في جميع تفاصيل اثره ، على اجتهاد متواصل ينفي الاكتفاء بالمظهر الاول . فهو سلسلة من الاوضاع الزخرفية يتقن الفنان كلاً منها لنفسه ، وبصرف النظر عن مركزه من المجموع الكلي ، حتى يشبه عمله بعض الاستطرادات والالتواءات الموسيقية المستديرة حول الموضوع الاساسي ، وكأنها تلك الزخارف الهندسية تطرز النقطة الاصلية في الصورة . هكذا القول عن الزخرف الفني الاسلامي . فهو ينحل ، بعد درسه وتفصيله ، كما تنحل العملية الهندسية الى عناصر بسيطة التي عليها اللهو العابث ، فعقدها . واظهرها بذاك المظهر المركب . حتى اخذت عين المتأمل ، لاول وهلة ، بما فيها من مظاهر المهارة الفنانة العابثة على غير قياس ولا غاية . اما اذا دقق الفاحص في تحليلها فتبدو له نتيجة درس دقيق طبق فيه الفنان قواعد غير منكورة .

نتيجة التحريم

بقي ان نفتش عن الدافع الى هذا الخصب في الزخارف الهندسية وما يتفرع عنها . واننا لنجد السبب في تحريم الصور . ذاك المبدأ الذي صرف الفنانين ، على الغالب ، عن تمثيل الكائنات الحية ، خوفاً من تقليد الخالق في خلقه ، فدفعهم عن تأمل الطبيعة ، وعن استيحاء مظاهرها الحافلة بالحركة والحياة . فاضطروا الى ادخال مبدأ التجريد والرمز في مظاهر فنهم جميعها . فكان ان الفن الاسلامي ، في اساسه ، حوّل وجهه عن طرق الزخرف القديمة المستمدة من جمال الطبيعة ، اي من عالمي النبات والحيوان الحقيقيين . انصرف الفن الاسلامي عن هذين العالمين الخصبين فاستبدل بهما زخرفاً بسيطاً في عناصره الاولى يستمد من الخطوط الهندسية ، او الحروف الابجدية ، او بعض المظاهر النباتية . ثم يعدد هذه

الرسوم المتنوّعة على تراكيب وطرائق متعدّدة الأساليب حتى يحدث تأثيرات فنيّة حقًّا بما فيها من رشاقة ، وألفة ، وحسن وقع شامل. بيد اننا نشعر بوجوب التحفّظ في اطلاق الحكم على كون الفنّ الاسلامي لجأ الى الزخارف الهندسية والحيّاية ليحلّها محلّ تمثيل الكائنات الحيّة . ان في هذا القول لمبالغة ، بل فيه فرض نظرية منطقية لا دخل لها في الموضوع. انما الصواب هو ان الفنّ الاسلامي، وقد ضُيّق عليه بعدم تمثيل الحيوانات والبشر ، وحيل بينه وبين تأمل الطبيعة واستيحائها ، رأى نفسه مضطرًا الى الاتجاه وجهةً أخرى . فاجاب الفنّان داعي غريزته لاجئاً الى الشباك الهندسية يُدخل فيها بعض العناصر النباتية المجرّدة عن كل شيء الا خطوطها الاصلية ؛ والى اشكال الحروف الابجدية ، يتفنّن فيها وينوّع حتى يخرجها آيات زخرفية رائعة بجلالها ورشاقتها . وهكذا غدا الفنّ الاسلامي ، في مظاهره السائدة ، لا يهتمّ اصلًا بنقل الحياة. انما نزعته العامة ترمي الى تجريد المشاهد الحيّة في الطبيعة حتى لا يبقى منها الا خطوطها الهندسية فتوحي برسمها عاطفةٌ من الصرامة الباردة يحدّها ذاك الشعور الدقيق بجمال التناسب.

الفن والادب والموسيقى

ولنقل ان هذه التراويق والزخارف توافق ، في اصلها ، ملكة الادب العربي الخالص والموسيقى الشرقية . يشعر الفنّان الموسيقي بحاجة الى الدورات الطويلة ، والى التنغيم في التواءات لا حدّ لها تظهر غالبًا متوازية في سطحين ، وكأنها لحن ثنوي يوافق « الصوت » الاساسي . اما هذا « الصوت » فيتأيل ويختال مدّةً بين النبرات المتنوّعة حتى يُقتطع فجأةً دون سبب معقول ، على نغمة قد تبعد عن النغمة القرارية الاصلية. وهكذا القول عن الزخرف فقد يُقطع فجأةً لا لكون الفنّان ادرك غايته في التزويق، بل لانه ادرك حدّ المصراع الذي يزخرفه. ولا يخفى ان هذا الزخرف يمكن ان يتتابع الى ما لا نهاية له في مخيّلة الناظر ، كما يمكن لمخيلة السامع ان تتابع نبرات « الصوت » السابق الذكر . وهو ما يوافق موافقة تامة تلك الروح الشرقية النازعة الى التأملات والاحلام .

بعض مبرات الفن الاسلامي

الهرب من الفراغ

ويجدر بنا الآن ان نشير الى ما ينتجه هذا المظهر من مبادئ اساسية وتجيب أصول الجمال العامة في الزخرف الاسلامي ، فاصبحت قواعد لا يجسر الفنانون على تحويرها . من ذلك ان ما يؤثر بنا اولاً ، نحن اهل الغرب ، اذا ما تأملنا جدران البنايات المزخرفة ، كثرة التزاويق وتتابعها وازدحامها حتى لا تكاد تخلي مساحة عارية ؛ تؤثر فينا بوضوحها ، وبروزها ، وكثرتها ، وقوة الوانها واصباغها ؛ فنكاد نميل الى التحفظ في الاعجاب بها ، لما تنم عنه من رغبة الفنانين في استخدام كل ما لديهم من مساحة ، حتى كأنهم يهربون من الفضاء الفارغ . وان تكن جهودهم في مل. كل فراغ توليهم دقة عجيبة ، وكمالاً لا بأس به في اظهار التفاصيل ، والزخارف البسيطة ، والآثار الصغيرة الحجم . لا نرمي هنا الى النقد ، ولا الى القاء درس في الذوق الفني ؛ انما ندل على ان الآراء الاسلامية لا تتفق ، الا في ما ندر ، مع مبادئ الفن المدرسي العادي في مادة الزخرفة . ذلك ان وفرة التزاويق تظهر ، في نظر الفنان المسلم ، فرضاً لا مناص من اقامه ، بل تظهر من اخص خصائص ملكته الفنية . وهو لا يفتش ، في إظهار جمال هذه التزاويق ، عن ايجاد الفراغ بينها . بل انه يلجأ ، على الغالب ، الى زيادتها والتكثير منها ، فيعلق الزخارف بعضها ببعض حتى يغطي الواجهة بكاملها .

الزخرف المسطح

وميزة أخرى لهذا الفن تظهر بان الفنان المسلم ينصرف عادة عن النقش والحفر الى التزويق السطحي الخالي من النتوء والبروز . فهو يميل الى تغطية المساحات ، في تآزير الحيطان ، بطائفة من الرسوم والالوان المتقابلة والمتتابعة الى ما لا نهاية له على حد ما نراه في تزاويق السجاد . ولم يابث هذا الميل ان قوي ونشط مقاوماً بنجاح ما عُرف ، منذ القدم ، من طرق الزخرف النافر ، حتى تغلب عليه ، فغدا الزخرف المسطح بما فيه من الوان واصباغ من عناصر الفن

الاسلامي العامة ، ايًّا كانت مادّة هذا الزخرف. وكان اهمّ هذه الموادّ الخزف القاشاني ، وقد اظهر فيه المسلمون مقدرة فائقة ؛ وذلك الملاط المُرَخَّم الذي بلغوا فيه مبلغًا عجيباً في استخدامه لزخارف النقش والتنزيل.

وليس من شكّ في ان اجلى مظاهر الزخرف بلاد فارس ، وهي بلاد الآجرّ ، فاحتلّت الزخارف كل المساحات ، وارتقت رقيًّا بالغًا في غنى مادّتها وكمال مظهرها. وان من يدرس آثارها ، دون ان يتعمّق الى قواعدها الاساسية ، لا يلبث ان يتحقق وفرة الطرق المزجية والاساليب الفنية فيها ، ويمكن ان نردّها كلها الى ثلاثة اساليب عامة توافق تقريباً ثلاثة من عصور التاريخ.

يظهر الاسلوب الاول باستعمال الآجرّ المشوي ، المستعمل نفسه مادّة للبناء ، فيستخدمه المزخرف كما هو ، مؤلفًا من قطعه صورًا عادية ، هندسية الرسوم في اكثرها ، قليلة البروز ، يتخلّلها احياناً بعض قطع من الآجرّ المُنَزَّل . ثم يتّسع استعمال هذا الآجرّ المُنَزَّل فيولّد النقش بالخزف القاشاني . وطريقته ان يُقتطع في القاشاني المنزّل الموحّد اللون قطع يركّبها الفنّان على حدّ ما نرى في لوحات الزجاج الفوطية ، فيدخلها ضمن حدود رسمه في وزرة الجفصين او الملاط . ولا بدّ في هذا الزخرف من التضحية بكل بروز ونتوء . فلا يبقى الا تأثير الصورة بالوانها المتعدّدة. وبعد هذا نصل الى الاسلوب الثالث فيفقد النقش كل تفنّن ، وتُستبدل به قطع من الآجرّ مماثلة تجمع بينها وصلات متوازية ليس غير.

المعصب في الزخرف

واذا جاز لنا ان نستنتج رأيًا من هذه التفاصيل فهو ان طريقة العمل ، او أسلوبه ، لم تؤثر أثرًا توجيهيًّا في اختيار الاشكال الزخرفية. بل بالعكس فان الزخرف السجّادي توسّع حتى استخدم موادّ لم يدفع لها في اول أمره. وهكذا يرى المطّلع احياناً على حجارة البناء المنحوتة رسوماً هندسية اوحتها الموافقة بين قطع الآجرّ ، بل يرى آثارًا للزخارف النباتية قلّد بها الفنّان تزاويق الملاط المرخّم . فلا نتمالك العجب من هذا الخصب الزخرفي . وكأننا نطّلع على فكرة الفنّان المسلم الخفيّة فنرى انه يخجل اذا ما اهمل مكانًا صغيرًا دون تزويق . ولنأخذ

مثلاً القبب المصرية ، فان فيها القبب الملساء ، كما ان فيها القبب المضلعة اضلاع البطيخ ، وغيرها مغطاة بالزخارف المحدّدة الاطراف على نحو اسنان المنشار ، او بالتزاويق المتشابكة منقوشة نقشاً ناتئاً ، يملؤها احيانا صفائح كبيرة من القاشاني.

ولا شك في ان الاعجاب يأخذ مأخذه من متأمل احد جوامع القاهرة الراقية الى القرن الرابع عشر او الخامس عشر ، لما يبدو فيه من ترف في الزخارف والتزاويق .. هذا رتاجه الضخم بحنيته العميقة يتوّجها عقد من خلايا النحل . وهذا صحنه وجدرانه مبلّطة كلها بالرخام المتعدّد الالوان ، تتقابل صفائحه في الحيطان احياناً مفصولاً بينها بالرسوم المتشابكة ، او بالكتابات المربّعة الحروف منزّلة كالفسيفساء . وهذه اقواس الاعمدة والابواب ترتكز على قواعد مزدوجة الالوان من عضائب حمراء وبيضاء ، او سوداء وبيضاء . على ان اقواس الابواب تلفت النظر خاصة . وهي تتألف من وصلات منكسرة او مكلّلة بالنقوش الزهرية ، كل ذلك من حجارة ملوّنة تتعاقب بالالوان المختلفة ، فيأتي اللون الفاقع في الغلق متغلغل الاطراف في اللون الباهت الظاهر به الغلق الثاني. ولكن هذا النقش سطحي أحدث بالصاق رقائق الحجارة . اما الاغلاق الحقيقية ، تحت ذاك النقش ، فعادية واقفة عمودياً بالنسبة الى حنيّة القوس . وترى هذه الوصلات نفسها ، اوالاغلاق الزخرفية ، في اقواس الحنية الدالة على اتجاه القبلة ، وهي المدعوّة بالمحراب . فيظهر فيها غنى الزخرف والنقش بالتلاعب في الشباك المتزّلة بالفسيفساء المتعدّدة الالوان يفصلها احياناً ، في الاتجاه العمودي ، صفّ او صفان من الخلايا تحيط بها اعمدة صغيرة مفردة او مزدوجة . اما السقوف ، ووصلات الخشب الجامعة بين قواعد الاقواس ، وصفائح الخشب المغطية اعالي القبب ، فكلها مزدانة بالتصاوير الملوّنة بالاحمر والازرق والمذهب . واثاث الجامع الخشبي كالمنبر ، ومناضد القرآن ، والابواب ايضاً تتألف من صفائح صغيرة مرتبة على اشكال هندسية متعدّدة الاضلاع والرؤوس ، ظاهرة على شكل الكواكب. وقد يتبرّج الصناع والعظم بالخشب في هذه المصنوعات . اما الابواب الكبيرة الفخمة فتكون على الغالب من قطعة واحدة ، الا انها تتألف بغطاء من البرونز

تظهر فيه الاشكال الهندسية نفسها.

مراجعة الموضوع نفسه

ولا يخفى ان هذا الخصب المدهش في الزخرف ظاهر بالجمع بين التراويق الصغيرة ، تراويق لا تتنوّع كثيرًا اذا ما دققنا النظر فيها ، بل هي مجموعة من الصور النباتيـة تتشابك فيها الاغصان خاصةً وبعض الزهور ، وتتتابع هي نفسها ، على عصابة مبسوطة ؛ او مجموعة من الاشكال الهندسية تتصل وتتراجع على مساحة لا يحدّها حدٌ مقرَّر . هذا الاسلوب في الزخرف المستند خاصةً الى مراجعة الرسوم المتقابلة يجذب الانتباه كما يجذبه النغم الموسيقي الموحد المردَّد هو نفسه على طريقة « اللازمة » . وفوق ذلك نرى ان هذه التراكيب ترضي الطبيعة الشرقية المندفعة الى الاحلام ، بل الى اعمال الخيال في متابعة زخرف ظهر محدودًا بحدود المساحة المزخرَفة . ولما كان هذا الاسلوب مستنبطًا يبدو ، هو نفسه تقريبًا ، في جميع آثار الفنّ الاسلامي ، وجب علينا ان نستخرج منه قانونًا عامًا فنتحقق ان الشرقي ينعم بلذّة فائقة اذا ما سمع او رأى الموضوع نفسه يتردَّد الى ما لا نهاية له. التهرّب من الفراغ ، ومراجعة الموضوع الواحد، هما المبدءان العامّان اللذان قادا فنّاني المسلمين طول القرون الوسطى . فعلينا ، اذا ما اردنا ان نتذوّق آثارهم الفنية ، ألا يسهو بالنا لمحة عن هذين المبدءين.

عناصر الزخرف الاسلامي

ثمّ ان درسنا لمظاهر الزخرف الاسلامي يضطرّنا الى ردّ هذه المظاهر جميعها الى ثلاثة عناصر مهمة : لوحات الزخرف النباتي ، والشباك الهندسية ، والتفنّن الخطّي.

الزخرف النباتي

اما المستوحيات النباتية في الفنّ الاسلامي ، فتطلعنا على ان الفنانين ابتعدوا كثيرًا عن الطبيعة في استيحائهم. فظهرت زخارفهم النباتية، في اكثر الاحيان، مجرَّدة كل التجريد حتى لم يبقَ من الجذع والورقة الا خطوط للرسم المتتابع ، وتكاد لا تفرق في شيء عن موادّ الزخرف الهندسي المستند الى الخطوط

المنحنية . واذا اضفنا الى هذا الامر ميل الفنان المسلم الى التناظر والتقابل ، ادركنا كيف توصل هذا الفنان الى تشويه الطبيعة ، لا في تحريف العناصر النباتية في تصويره فقط ، بل في ترتيب هذه العناصر في الصورة الاجمالية . واذا فهو ينوع هذه الرسوم المنحرفة في الاصل عن الاوراق والازهار ، فيخضعها لاسلوبه في التزويق ، ويخرج منها تركيبات واشتباكات على قسط وافر من الابتكار . ولا يندر ان تتحول الاغصان الى دوائر متلاصة تحيط بورقة او بعدة من اوراق النبات . ثم يدقق في حروفها ويحددها حتى يوجهها الى الجهات التي يقصدها في تصميمه الهندسي . وهكذا يستوحي الفنان المسلم من الطبيعة ، لا ليصور هذه الطبيعة بمظاهرها ، بل ليستخرج منها عناصر تفيده في اسلوبه الهندسي في الزخرف والتزويق . بيد ان هذه الرسوم النباتية بخناياها النحيفة واشتباكاتها الدقيقة تبدو على نصيب من سعة التصور ورفعة الاخراج جدير بالاعجاب . ولا بد لنا هنا من جولة قصيرة في مجال الادب العربي . فنرى ان آثار هذا الادب ، سواء أكانت من الشعر او من النوع القصصي ، تطلعنا خاصة على مثالات محددة للاشخاص لا على شخصيات فردية لها حيويتها الخاصة . نرى فيها مثال «الامير» ، او مثال «الطفيلي» ، او مثال «المحتال الشحاذ» دون ان نجتلي شخصياتهم ، كما اننا نرى في الفن الزخرفي النباتي رسوماً رمزية تمثل معاً مظاهر الجذع والورقة والزهرة . هي النزعة الاصيلة الى التجريد والرمز تشترك بين الكتاب والفنانين .

الزخرف الهندسي

ان تكن هذه الموضوعات النباتية ، بما تحويه من خنايا متآلفة متتابعة ، تظهر راميةً الى شيء من الحركة ، فان الزخرف الهندسي يردنا حتماً الى السكون والاستقرار . وفي هذا المجال المستقر الساكن يعبر الفنان المسلم عن رغبته في التشعيب والتعقيد . لم يبتكر الاسلام الاسلوب الهندسي في الزخرفة ، ولكنه حسن فيه ونوع ، ونشره في جميع المناطق الاسلامية . وكان همه الدائم ان يفتش عن قالب جديد يتولد من اشتباكات قواطع الزوايا او من مزاوجة الاشكال الهندسية .

وكان من اقدم العناصر الزخرفية ، واوفرها إثارة للاعجاب ، الكوكب المخمس الاطراف المدعو عادةً بخاتم سليمان . على اننا نرى الى جنبه مختلف الاشكال من الدوائر الجدائل والعقد ، الى اللوالب ، والدواليب ، والعصائب ، الى طنوف القناطر البارزة على شكل اسنان المنشار ، الى الخلايا المستطيلة الخطوط المتشعبة الاضلاع . واكثرها جاذبيةً لانتباه الفنان وعلوقاً بقلبه تلك التراكيب الهندسية التي تكثر فيها الاشكال المضلعة ، ولاسيما تلك الظاهرة على شكل الكواكب نراها تتمدد في جميع مظاهر الفن الاسلامي ، فتحتل ، في مصر مثلاً ، زخارف السقوف ، والابواب ، والجدران ، والمحاريب ، والمنابر ، والدمى ، وتزاويق مخطوطات القرآن.

الزخرف الخطي

بقي ان نشير الى الدور الذي يؤديه الخط في الزخرف الاسلامي . من الواضح ان للكتابة المرقومة غايتها اذا ما دلت على اسم مؤسس الاثر او صاحبه ، او اذا ذكرت تاريخ البناء او العمل ، او اذا نقلت بعض الآيات القرآنية . فنقول ان الزخرف الخطي ، في هذه الحالة ، غائيّ يضيف الى مجد الامراء حمد الله تعالى . ويظهر راجحاً في نظرنا ان الرقم التاريخية التي نقرأها على الآثار البنائية تمت بصلة قوية الى اصل سحري ينم عن الاعتقاد بقوات لابشرية ؛ نستدل على هذا بكثرة التحميدات ، والادعية المغدقة على مؤسس الاثر ، وبكثرة النعوت الصالحة الرامية الى استدعاء البركات واستمطار النعم والرحمات . ويجب ان نذكر انه ، في بعض الآثار ، كالقلاع والحصون خاصة ، كان الامراء يأمرون بحفر اسمائهم دلالةً على احتلالهم القلعة او الحصن ليس غير . اما ما نتحققه من إنزال اسم مكان آخر احياناً فقد يدل لا على تبجح فارغ ، بل على غاية دينية في التقرب من الله واستنزال نعمه.

وان ابرز الصفات في هذا المظهر للزخرف الاسلامي ، مظهر الخط ، هي الرشاقة وتساوق الاجزاء الى ألفة المجموع ألفة معجبة . وقد ادرك الفنانون ، منذ القرون الاولى ، ما تكنه الابجدية العربية من موافقة عجيبة لمظاهر الفن ، وما يمكنهم استخراجه من مرونة وجلال بواسطة حنايا الحروف المنعقدة حلقات ،

وسوقها البارزة عمودية . ولنشر اشارة سريعة الى ان هذا النوع من الزخرف الخطي عُرف سابقاً في الامبراطورية البيزنطية ، وعند الايطاليين على اول عهدهم بالفن . ولا يخفى ان الخط العربي على نوعين اصليين : الكوفي ، منسوباً الى مدينة الكوفة ؛ والنسخي ، وهو الخط العادي . اما الكوفي فيمتاز بزواياه القائمة ، فهو خطّ مقصود فيه التفنّن . واما النسخي فخط عادي نشأ لا يتقيّد بمظهر محدَّد . بدا الخط الكوفي اولاً على مظهر بسيط ، محفوراً ، إما حفراً عميقاً ضئيلاً ، وإما حفراً ناتئاً ضخم الحروف قصيرها . ثم اتصلت به الرشاقة ، فطالت سوق حروفه العمودية ، وازدانت حنايا غيرها ، ولاسيما في اواخر الكلمات ، بالزخارف النباتية المتفرّعة المتشابكة على اشكال تأخذ بجلالها واناقتها اعين المتأملين حتى ممن لا يفقهون من قراءتها شيئاً . وقد كان هذا الزخرف النباتي ، في اول امره ، امتداداً لاواخر الحروف يوافقها في المظهر الاجمالي ، وفي الطول والحاكة . حتى كان آخر القرن العاشر فبدأ الفنانون بابتكار جديد : رأوا ان يخرجوا الجذوع النباتية من جسم الحرف وكأنها تخرج من اناء ، فتتشعّب الى مشاهد زهرية ادقّ والطف . ثم خطا الفنانون خطوة أخرى عندما رتّبوا مشهدهم على سطحين متتابعين ، فظهرت الحروف الضخمة القوية منقوشة نقشاً وافر البروز على ارضيّة نحيفة دقيقة من اوراق الزهر والاغصان المتشابكة . ولم يأتِ آخر القرن الثاني عشر حتى حلّ الخط النسخي محل الكوفي في شواهد القبور ، والرقم التاريخية . فكان ذلك اثراً من آثار الحركة الرجعية التي قام بها السنيّون لتعفية آثار عقائد الفاطميين الشيعية . وقد كانت حركةً قوية عملت عملاً بليغاً في قلب المؤسسات والعادات ، وتحوير الطرق البنائية نفسها ، ولم ينجُ منها شيء من الدقائق والتفاصيل مما قد يمكن ان يذكّر باضاليل الماضي . . . على ان الفنانين لم يلبثوا ان ادركوا ان الخط الكوفي المزدان بالرسوم النباتية او « الكوفي المزهر » ادعى الى الزخرف الفنيّ واقرب الى ذوق الجمال من الخط المنحني ؛ فاحتفظوا به ، وقد طُرد رسمياً من مجال الرقم التاريخية ، في نقل الآيات الدينية والادعية وما اليها مما لم يكن له الا اثر زخرفي محض .

هـذه بالاختصار اهم ما رأيناه جـديرًا بالذكر من ميزات الفنّ الاسلامي العامّة .

***

بقي علينا ان نردّ على قول يتناقله الناس عادةً فيتهمون به عدم الابتكار في الفنّ الاسلامي .

للروائي المشهور جول رومَن (Jules Romains) كتاب في « ذوي النية الصالحة » (*Les hommes de bonne volonté*) يعرض فيه لتحليل ما يتصوّره كل منا ، في اعماق سرّه ، عن العالم الخارجي . فيرى ان هذه الفكرة الشخصية ، توافق ، من غير شك ، طبعَنا الخـاص ، على انها تتأثر بما قاسيناه من ضروب التهذيب والتعليم ، فهي مدينة ، الى حدّ ما ، لما سمعناه وحفظناه من الاحكام والقوالب الرسمية . يفضّل الروائي كلّ ما تقدّم ، ويختم بهذا التشبيه : « ان ذاك الاسلوب الخفي يشبه القصور العربية ، وفي صحنها اعمـدة اليرفير مأخوذة من الهياكل الرومانية ، كما ان الصحن نفسه مستوحى من تخطيط البيت القديم » .

ولقد توفق الكاتب ، في فكرته هـذه المطابقة تماماً حقيقة الحال ، الى وضع المشكل موضع الوضوح التام . وهكذا نرى جامع القيروان يبدو بمظهر « غابة حقيقيـة من الاعمدة ذات التيجان القديمة ، مأخوذة من كل صوب » . كما اننا نجد في قصر الزهراء ، قرب قرطبة « اعمدة مستعارة من بنايات آسية الصغرى ، وايطالية ، بل من احدى كنائس صقلية ؛ واحواضاً من الرخـام محمولة من اورشليم . » وهذا جامع قرطبة يتحقق فيه التأمل « استعمال المواد والطرق القديمة في التجهيز والتركيب ، ونقل الاعمدة والتيجان من البنـايات السابقة . » بيد ان كلّ هذه الاستعارات لا تنفي ان للفنّ الاسلامي غايـة خاصّة فالبنايات الثلاث التي ذكرناها تدلّ ، في مجمـل مظهرها ، على ميزات مشتركة . وان الاثرين الدينيّين ، مهما يكن مبلغ المآخذ الغريبة واهميتها فيهما ، لا يعدوان كونهما جامعَين أقيما في سبيل تأدية الصلاة الاسلامية . وهو امر ثابت واضح حتى ان جامع قرطبة ، على رغم ما زيد فيه من خورس ، ومن مذبح وسط سوقه الاهم ، محوّلًا الى معبـد مسيحي ، « لا يزال يُدعى حتى اليوم

« مسكويتا » من « مسجد ».

لقد ورث العالم الاسلامي عن بيزنطية ، وعن بلاد فارس الساسانية ، ذوق الجمال . فاستنار به تقليداً اصيلاً ، واخرجه ممتزجاً بالنزعات الاقليمية ، والفنون الخاصة ، محوّلاً كل ذلك الى ما يوافق نزعته وغايته . وقد حاولتُ ان اعرض هذه المبادئ العامة الزامية الى المثل الاعلى للجمال في الفنّ الاسلامي . ويجب ألا ننسى ، الى جنب هذا ، ان للفنّ مهمةً رسمية ، في تاريخ التمدن الاسلامي . فهو مكلّف التعبير عن قوّة صاحب السلطان وجلاله . ولقد قام الفنّ بهذه المهمّة منذ اول مظاهره ، عهدٍ لم يكن قد تخلّص بعد من القوالب البيزنطية . ومن اعظم الشواهد على هذا جامع دمشق ، وجامع اورشليم . وما آثار الفسيفسا . التي نراها في جامع دمشق مثلاً ، وكليا من عمل الفنّانين البيزنطيين ، الا ادلّة واضحة على عظمة الاسلام وسيادة الدولة الاموية . وهكذا فقد نتج ميل خاص في المسلمين الى الفنون الترفية ، ولا سيما تلك التي تدهش الناظرين بفخامة موادّها وغلاء اسعارها . . .

واننا بفضل هذه الملاحظة ندرك ما قد يحار فيه المطّلع لاول وهلة ، وهو كون الفنّ الاسلامي يبدو غفلاً لانعرف فيه اسم فنّان ولا صفة صانع ذلك ان غايته الاساسية ، كما قدّمنا ، اظهار عظمة الامراء . سواء في ذلك البنايات الفخمة ، او آثار الرياش الثمينة ، وعلى اكثرها الكتابات الصارخة باسماء اصحابها من الامراء والسلاطين . اما الفنّانون فقد كان بعضهم من الموالي ، وكثير منهم من غير المسلمين . ولكنهم جميعاً — الا افراداً قلائل — فضّلوا كتم اسمائهم ، فتركوا آثارهم غفلاً لا تدلّ على شخصية ، ولا تشير إلا الى العصر الذي أُخرجت فيه .

وهناك صفة أخرى لتلك الآثار هي تقيدها الظاهر بشيء من الضوابط والتحفظات تمنع عنها الحرية والانطلاق في جرّ السرور والانبساط . نحسّ فيها ارادةً قوية للزخرف وجهداً متواصلاً يجاوز الحدّ في الظهور ، وكأنه يشير الى الاوامر التي تلقّاها الفنّان كي يعمل عمله ، فقام بتنفيذها . نحسّ كلّ هذا لاننا تعوّدنا التدقيق في الدرس ، وتحليل تأثيراتنا وانطباعاتنا . ولكن لنترك هذه التحليلات الدقيقة ، ولنندفع وراء ما يثيره فينا الاثر الفني الاسلامي من احلام

لذيذة في كآبتها ؛ فتتحوّل تلك القواعد القاسية الصارمة في الزخرف الاسلامي، واذا بتلك الخطوط المضبوطة، وتلك الرسوم المكتوبة ضمن الاشكال الهندسية تنتعش شيئاً فشيئاً فتبدو الاوراق والزهرات وكأنها وليدة مخيّلة تهيم في مجال الفنّ على غير قيد ولا شرط.

ويحسن بنا اخيراً ان ننفي الشبه بين الفنّ الاسلامي والفن الابتدائي ، او ذاك الفنّ الذي يظهر لدى الشعوب الاولية القديمة، اول عهدها باللذة الفنية. من الحق ان الفنّ الاسلامي يشارك الفنّ الابتدائي في كره الفراغ والميل الى تعدّد الالوان الفاقعة . ولكنه يفترق عنه بكون الفنّ الاسلامي بعيداً عن المظاهر الغريزية . فالاصل في زخرفه التدقيق الترفي الارستقراطي.

ثم اننا لا نجد في الفنّ الاسلامي تلك الحياة القوية النشيطة التي تمثل ، في نظرنا، ميزات الفنون الغربية. انا هناك في الآثار الاسلامية مظاهر الصرامة والضبط والتجريد. تبدو احياناً على شيء من اللطف والنحافة ، ولكنها تتصف دائماً بالجلال الرشيق ، سواء في ذلك تصاوير الجدران وزخارف الملاط المرخّم ، والقاشاني ، ونقوش الخشب المحفور ، وتزاويق المخطوطات . ليس في الفنّ الاسلامي شيء من دواعي التأثر والانفعال. انما في ضبطه الخفي السرّي ومظاهر مهارته الحاذقة ما يدعو الى الاعجاب بالغنى وحسن التناسب . « ففي هذا الفنّ ، الغريب عن الفنّ المدرسي العادي ، كل مظهر يلتحف بالاحلام والاسرار. فتظهر فيه المخيّلة على اتمّ ما يمكن من السيطرة والاستبداد تحوّر وتبدل في العالم الحيّ، بل تكيّفه كما تشاء . حتى ان الكائنات الحيّة نفسها تنتهي متحوّلة الى خطوط متشابكة. » من الحق ان الفنّان المسلم لم يتصل ، في غالب حالاته ، بالطبيعة الحيّة ؛ ولكن من الحقّ كذلك انه خالق ألفة نسبية ، وطريقة في التناظر والتقابل ، لا تجاريان.

الملكيون

بطريركيتهم الانطاكية، ولغتهم الوطنية والطقسية

بقلم المتوري اسحق ارملة السرياني

القسم الثاني

لغتهم الوطنية والطقسية

اولاً: لغة الملكيين الوطنية

اجمع ثقات المؤرخين واللغويين، شرقيين وغربيين، على ان الآرامية السريانية التي تفرّد بها بنو آرام، خامس ابناء نوح[1]، كانت لغة اهالي ما بين النهرين[2] وسورية[3] عامةً. ثم اصبحت اللغة الرسمية في دولتي آثور وبابل، بعد اضمحلال لغتهما الاكادية الاصلية[4]، ولغة الدولة الفارسية منذ عهد ارطحشث[5]، ولغة اليهود الدارجة في فلسطين[6] بعد الجلاء البابلي، اعني منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي. وقد عرفها المصريون ايضاً كما برهنت المدارج الآرامية المكتشفة في اسوان[7]. ولم يجهلها العرب انفسهم[8].

وقرّر اولئك الكتبة الأعلام ان دانيال النبي كتب سِفره بالآرامية حتى الاصحاح السابع. وبهذه اللغة الجليلة اثبت العبارة التي كتبتها يدٌ خفية على جدار قصر بلطشّر، وهي مدمل. مدمل. اصلا معنهم: منا. منا. تقل

---

١) تكوين ١٠: ٢٢

٢) تك ١٥: ٣، و٢٤: ١٠، و٢٨: ٥، و٣١: ٢٠ — ٢٤ — ٤٧

٣) ٤ ملوك ١٦: ٦ — —

٤) ٤ ملوك ١٨: ٢٦، ودانيال ٢: ٤، و٥: ٢٥

٥) عزرا ٤: ٧

٦) عزرا ٧: ١١ — ٢٦

٧) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٦٧٢، فقد صرّح بان الآرامية كانت لغة ديوان الدولة المصرية.

٨) الاب لامنس في المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٨٤

وفرسين (دانيال ٥ : ٢٥) . ونهج نهجه عزرا الكاتب اليهودي فكتب بالآرامية سفره ، منذ الآية الثامنة من الاصحاح الرابع حتى الآية ٢٧ من الاصحاح السابع . وبهذه اللغة الشريفة تكلّم السيد المسيح ، عزّ شأنه ، هو ووالدته ، ورسله[١] . وظلّت الآرامية دارجة في اورشليم حتى القرن الرابع[٢] للتاريخ المسيحي.

اما اليونانية فقالوا انها غدت اللغة الرسمية في الدولة اليونانية الشرقية، منذ عهد الاسكندر الكبير (٣٢٣ ق.م.) ، الذي استحضر الى البلاد التي دوّخها جاليةً يونانية متثقّفة باصناف العلوم ، وفوّض اليها ان تدرّس تلك اللغة الجليلة ، وتذيعها ، خصوصاً في انطاكية وبيروت ودمشق والرها ، ما بين الطبقة الراقية. وهذا ما حمل الكتبة الاوّلين ، وفي مقدّمتهم آباءنا الرسل ، ان يكتبوا باليونانية اسفار الاناجيل والرسائل وسائر مصنفاتهم كبولس الرسول[٣] ، ولوقا الانجيلي الطبيب الانطاكي النحلة[٤] ، ثم يوسيفوس اليهودي الذي كتب في اليونانية والسريانية[٥] ، وعدد عديد من الآباء ، مع ان لغتهم الوطنية كانت الآرامية. يدل على ذلك ابقاؤهم في نص نقولهم اليونانية[٦] الفاظاً وتعابير

---

١) كتب اوسابيوس في مؤلفه (؟؟؟؟ = الظهور الالهي)، الذي فُقد اصله اليوناني وحُفظ نقله السرياني : ان السيد المسيح اصطفى « رجالا جليليين لا يعرفون الا السريانية لانهم لم يختلطوا بالامم ولم يعرفوا شيئا من لغتهم ولا معرفة » . مخطوط لندن ١٢١٥٠ المنسوخ في السنة ٤١١ م.

٢) اثبتت مؤلفة كتاب « حجّ الاراضي المقدسة » : « ان في فلسطين في القرن الرابع قوماً يحسنون اليونانية والسريانية ، وقوماً يحسنون اليونانية فقط ، وقوماً يحسنون السريانية فقط . » (الليتورجيات لسيد البطريرك رحماني ١٦٠ ؛ والمشرق ٣[١٩٠١] ١٠٨٥)

٣) اعمال الرسل ٢٢ : ٢

٤) اوسابيوس ٣ : ٤ ، والمشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٢٧

٥) اوسابيوس ٣ : ٩

٦) مما يدل على نبوغ السريان واماتهم في النقل من اليونانية الى السريانية ابقاؤهم ، في نصوص العهد الجديد، الفاظاً يونانية متعلقة بدوائر الحكومة كانت دارجة في ذلك الزمان نحو ؟؟؟؟ فرقة ، ؟؟؟؟ جندي ، ؟؟؟؟ حاكم ، ؟؟؟؟ قائد مائة ، ؟؟؟؟ امير ، ؟؟؟؟ دار الولاية الخ.

سريانية. نذكر منها : برابا ، برطيما ، بريونا ، برنابا ، برسابا ، رابي ، رابوني ، كيفا ، مارتا ، شاول ، شفيرا ، شيلا ، طابيثا الخ . ومنها : حقل دما ، بيت صيدا ، بيت حسدا ، كفر ناحوم ، دلمانوثا . ومنها : اوشعنا ، افثح ، طليثا قومي ، إيلي إيلي لما شبقتاني ، ماران أتا الخ . على ان آباءنا الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا باليونانية ما كتبوا الا للقرّاء والعلماء . اما العامة ، وهم الاغلبية الساحقة ، فكانوا يتلقونهم الكرازة المثمرة والتعاليم المسيحية باللغة الوطنية ، اعني الآرامية السريانية .

ومما لا اشكال في صحته ان الآرامية والسريانية لفظتان مترادفتان وان تعدّدت لهجاتها . وان لفظ سوري او سرياني اصبح غالباً ، بعد عهد الانجيل ، نائباً مناب الآرامي[1] . وقد عُرف لفظ سوري بمعنى سورية منذ عهد نبوكد نصّر (٦٠٥ — ٥٦١ ق. م.)[2] . ثم اثبته الكتاب المقدس[3] مراراً بالالف هكذا (ܐܪܡ سوريا) . ونقله العرب عن السريان لا عن اليونان فقالوا « سوريا » ، ولم يكتبوا سيريا او اثوريا او اشوريا او صوريا كأنه منسوب الى سيري او آثور او اشور او صور، كما ادّعى فريق من المستشرقين وفي مقدّمتهم دينان الفرنسي .

وقولنا ان الآرامي مرادف للفظ سوري او سرياني يؤيده ما ورد عن نعمان ، رئيس جيش ملك آرام[4] ، فقد ترجمه النقلة بلفظ سوري او سرياني او نباطي[5] او شامي . زد عليه ان ترجمة الكتاب المقدس السريانية ، المشهورة بعنوان (ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب) التي يرتقي عهد كتابتها الى القرن الثاني ، ثم أطلق عليها بعد القرن الثامن لفظ (ܥܬܝܩܬܐ البسيطة) ، قد جعلت

١) اوسابيوس في كلامه عن برديصان الرهاوي (٤ : ٣٠) .

٢) ورد في سفر يهوديت ١ : ٣ ܐܪܡ ܢܗܪܝܢ وسوب سكّان سوري اعني سوريا .

٣) مثا ٣ : ١٢ ، و٧ : ٢٩ ، و١٠ : ٦٩ ، و٢ مثا ٣ : ٨ ، و٤ : ٦ الخ

٤) ٤ ملو ٥ ؛ ولو ٤ : ٢٧

٥) النبط قوم كانوا يتنقلون بين العراقين ، وكانت الآرامية السريانية لغتهم الوطنية . وقد اثبت مترجم انجيل الدياطسرون لفظ نباطي بدلا من الآرامي السرياني (طبع الاب مرمرجي ١٦٨) .

اسم «آرامي» عامًّا شاملًا لجميع الامم غير اليهودية[1] ، كما ان الترجمتين اليونانية واللاتينية جعلتا بدلًا منه اسم «يوناني» . غير انه ، على حاول السرياني محل الارامي ، فقد ظلَّ فريق صالح من كتبة السريان وغيرهم يستعملون لفظ الآرامي بدلًا من السرياني الى هذا العهد[2] .

يستخلص مما سبق ان الشعوب الآرامية قاطبةً ، سواء اكانوا في بلاد ما بين النهرين ام في سورية ام آثور وبابل وغيرها ، أسماوا ، منذ تنصُّرهم ، اسمهم الآرامي القديم ، واستأثروا باسم السوري او السرياني[3] . ذلك لانهم ، على ما قرَّره المدقّقون ، انضمّوا الى الايمان المسيحي على يد آبائنا الرسل الذين واقوهم من فلسطين وسورية ، وبلّغوهم الكرازة المسيحية باللغة السورية السريانية . ويؤيد ذيوع السريانية وسيورتها في سورية خصوصاً ثلاث حجج دامغات خالدات لا تقبل تأويلًا ، وهي :

الحجة الاولى الخالدة : اسماء القرى الباقية لهذا العهد في لبنان ، وضواحي دمشق ، وحلب ، وانطاكية عينها . ولما كان العلّامة المدقّق السيد اقليميس يوسف داود قد اشبع الكلام في كتابيه « القصارى » ، و « النحو » ، عن قرى لبنان ودمشق ، فقد اكتفينا لتفنيد زعم من ادّعى بان الملكيين ليسوا متسلسلين من عنصر سرياني ، او ليسوا سريانًا لغةً وطقساً ، او ان اهالي انطاكية خصوصاً لم يكونوا يتكلّمون بالسريانية ، أن نُثبت اسماء بعض القرى الباقية آثارها الى هذا اليوم في ضواحي انطاكية نفسها[4] ، وهي اسماء

---

١) اعمال ١٩ : ١٠ ، و٢٠ : ٢ ؛ ورومه ١ : ١٦ ، و٢ : ٩ ، و١٠ : ١٢ ؛ و١ قور ١ : ٢٢ — ٢٤

٢) مير يعقوب السروجي في تقريظ مار افرام . وابن العبري في كتاب اللمع وغيرها .

٣) من الغريب ان نون النسبة المختصة باللغة السريانية ، والدخيلة في العربية ، لم يثبتها السريان في اسمهم هذا ، بل قالوا سمعوها بالياء ، ولم يقولوا سمعوها بالنون . ومن المعلوم ان النون في قول العرب : برّاني ، جوّاني ، روحاني ، نصراني ، رهباني الخ . شاذة عن قواعد الصرف العربية . فهي منقولة عن السريانية ، بلا ريب .

٤) نقلنا الاسماء التالية عن كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » لكامل الغزي .

سريانية بحتة . منها : كفر رمّان ، كفر بيل[1] ، كفر عويد ، كفر طاب ، كفر ياسين الخ . باسكان الكاف طبقاً للوضع السرياني . ومنها : معّر ماتر ، معّر زيتا ، معّر شمشا الخ . باسكان الميم . ومنها قرى في ضواحي جبل سمعان بجوار انطاكية نحو : جيرين ، دَيرُنتا ، تل نُصيبين ، دير صليب ، تل جبين ، زمّار ، مريتين ، كفر حمرا ، كفر توثا الخ . ومنها قرى في قضاء حارم ، بين حلب وانطاكية ، نحو : كفر حانا ، كفر مو ، عيريثا ، باريشا ، سرمدا[2] ، طورلاها[3] ، قرقنيا ، تومانين ، تل عدا[4] ، تل عقبين ، عيندايا[5] الخ . ومن ذلك ايضاً اسماء ١٢٤ ديراً في سورية الجنوبية انتهى بخطوط لندن ١٤٦٠٢ السرياني ، وعدّد اسماء رؤسائها واحداً فواحداً . وذكر انهم اجتمعوا ، عام ٥٦٧ م ، في دير مار بسّ بانطاكية ، فأمضى ١٠٦ رؤساء اسماءهم بالسريانية ، و١٨ رئيساً فقط وقعوا اسماءهم باليونانية .

ومما يستحق الذكر ان اليونان ، على ما افرغوه من الهمّة في ترويج لغتهم ، ومعها اطلقوه من الاسماء اليونانية على بعض المدن السورية كانطاكية وطرابلس واللاذقية وغيرها ، فقد بقي من هذا القبيل عدّة مدن ظلّت الى هذا اليوم معروفة باسمائها السريانية الاصلية وكادت تضيع او ضاعت اسماؤها اليونانية الدخيلة . حتى اننا لو شئنا الآن ان نحرر اسماءها اليونانية لزمنا ان نراجع لاجلها معاجم اعجمية غريبة .[6]

---

١) ورد في مخطوط لندن ١٢ السرياني اسم دير مار دانيال في كفريل بكورة انطاكية .

٢) سرمدا : قرية قريبة من تومانين فيها ستة اعمدة نرى تُعرف باعمدة سرمدا . وكان فيها للسريان دير على اسم اسطفانا (مخطوط لندن ٧٥٤) وكنيسة شادها ايليا بطريركهم (٧٠٩ — ٧٢٣) .

٣) طورلاها : قرب دير صليبا قيلتا ، بكورة انطاكية (مخطوط لندن ٦٣٦) .

٤) تل عدا : كان في تلّ عدا دير للسريان عُرف بالدير الكبير (مخطوط لندن ٧٥١) تخرّج فيه عددٌ صالح من الكتبة المشاهير .

٥) وطن يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) المشهور .

٦) ان اليونان سمّوا بطلك هليوپوليس ، وبيروت دربي ، وجبيل بيبلوس ، وتدمر پلمير ، وحلب بيروا ، وعكا پطولمايس ، ومنبج ايروفليس ، وارما ادسا ، والرصافة

الحجة الثانية الخالدة هي : اللهجة العامية[1] المتغلّبة حتى اليوم ، والراسخة في ألسنة السوريين قاطبةً مسيحيين وغير مسيحيين . ذلك كله على رغم ما افرغه العرب من الجهد والضغط في تعميم لغتهم وتجويد التلفُّظ بها . نذكر من ذلك :

١ً : اسكانهم آخر الفعل الماضي اعتباطاً في الغائب والمخاطب والمتكلم ، طبقاً للوضع السرياني نحو : قامْ وقعدْ ، باعْ وربحْ . ثم : عملتْ كتير ، كتبتْ كما كتب لك ، ضربني المعلّم ، درستْ درسي الخ.

٢ً : اسكان كاف المخاطب والمخاطبة في الوقف نحو : حبَسَكْ وحبَسِكْ ، علّمَكْ وعلّمِكْ ، قابلَكْ وقابلِكْ الخ . وقس عليه : عليكْ ، منكْ ، فيكْ الخ.

٣ً : اسكان الهاء والكاف في الفعل المتعدّي كقولهم : اشتريتُهْ كلُّهْ ، علّمناكْ امثولتكْ ، رأيناكْ بعينا الخ.

٤ً : اسكان اول الماضي والامر والنهي خصوصاً في وزني تفعّل وتفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : تْقدّم ، تْقرّب ، تْساهل ، تْقدّمي ، تْقرّبي ، تْساهلي ، لا تْجادل ، لا تْجادلي الخ.

٥ً : اسكان اول المضارع خصوصاً في الفعل الاجوف نحو : يْصير ، يْقول ، ما يْدوم ، ما يْقوم ، حتى نْشوف الخ.

٦ً : اسكان اول اسم الفاعل والمفعول من وزن فعّل وفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : مْخلّص ، مْعلّم ، مْعلّم ، مْبارك ، مْساعِد ، مْكرّمه ، مْباركه الخ.

٧ً : اسكان هاء الغائب في الوقف وغيره نحو : نعمتُهْ تكفيك ، صلاتُهْ معك ، سيادتُهْ تكلّم ، حضرتُهْ خطب الخ.

٨ً : لفظ التاء المربوطة مثل ة الفرنجية او الكسر السرياني نحو : رَحيمِهْ ، نعيمِهْ ، بطركيّهْ ، طوباويّهْ الخ ، فتُلفظ rahmé الخ.

٩ً : لفظ الضمّ العربي كالضم السرياني او مثل o الفرنجي نحو : هُم ،

سرجيوپوليس ، والرقّة قلنيقوس ولاذليوفوليس ، وراس العين ثاودوسيوپوليس ، وميافرقين مرتيروپوليس ، وتل موزل انطيغوليس الخ . ومع هذا فقلّ من استعمل اسماءها اليونانية .

(١) القصارى للسيد اقليميس يوسف داود (١٧-٣٥) .

منهُم ، لكُم ، عنكُم الخ. فتُلفظ hom بدلاً من houm الخ.

١٠ : لفظ الكسر ايضاً في قولهم : فيهم ، عليهم ، من اجلهم الخ . فيلفظونها fihêm بدلاً من fihim الخ.

١١ : الابتداء بالساكن في قولهم : تدوم بخير ، صغير ، كبير ، مليح، كبار، صغار . وقس عليه اسكان باء الجرّ نحو : بعينهُ ، بفرش ، بخمسين بارة ، برأس مالهُ .

١٢ : اسكان ثاني المتحرّكين نحو : كِلْيهْ ، حطبهْ ، خشبهْ، قضيبهْ الخ فتُلفظ kilmé كالوضع السرياني الخ.

١٣ : قلب الميم نوناً في الغائبين والمخاطبين نحو : ايوهم ، كتابكم ، فيلفظونها : ايوهن ، كتابكن الخ.

١٤ : استعمال ضمير العاقل لغير العاقل خصوصاً في المكاتيب التجارية كقولهم :« قرَينا مكاتيبكم كلّهم ، والبضايع الذين طلبناهم وصلوا سالمين ، والصناديق وجدناهم مفتوحين» .وقس عليه اثبات الفعل مجموعاً جمعاً مذكوراً قبل فاعله المجموع سواء أكان الفاعل عاقلاً ام غير عاقل نحو :«قالوا الاباء القديسون. وقرّروا المجامع المسكونية » الخ.

١٥ : اللفظ ساكنين في قولهم :خالتك، عمّتك ، عِلّيتك ، حكايتك الخ.

١٦ : لفظ العدد المركّب كالسريان نحو : تلتّعشر ، اربتّعشر ، سبتّعشر، تستعشر ، باخفاء العين في اربعة وسبعة وتسعة الخ.

١٧ . لفظ العقود بالجرّ او النصب دائماً كالسريان نحو : عشرين ، ثلاثين، تسعين الخ . لا : عشرون ، ثلاثون ، تسعون الخ.

١٨ : لفظ تنوين الرفع والجرّ كاللفظ السرياني نحو : أكلٌ ، شربٍ ، خيرٌ ، شرّ . فيلفظونها aklon ، chirben بدلاً من chirbin ، akloun الخ.

١٩ : عدّة اسماء مصدرية موزونة وزناً سريانياً لا اثر له في العربية الفصحى نحو : معموديّة ، مسؤوليّة ، مشروطيّة ، محسوبيّة الخ.

٢٠ : الجمع بالتاء الطويلة خصوصاً في لبنان وحلب نحو : جبّانات ، لبنات ، حلّات ، ميّات ، بطّالات ، زيتونات الخ.

٢١ : اضافة اسم مقرون باللام الى ضمير سابق مقرون باللام ايضاً نحو : قلت لهُ لصاحبك ، حبسناه للسجرم ، أكله لحتك الخ.

وما عدا ذلك كلّه ، فان السوريين ما برحوا يستعملون ، في لغتهم العامية ، افعالاً واسماء جمة هي سريانية بحتة نحو : دقر الباب ، دلف السقف ، نقع من الضحك الخ. ونحو : بكير ، لقيس ، سبّة اي اسبوع ، شوب ، نيشان الخ. وهذا كثيرٌ وكثيرٌ جدًّا يصعب احصاؤه.

الحجة الثالثة الخالدة: نقلُ العرب عن السريان افعالاً واسماء سريانية محضة[1]، اغلبها دينية، وإدماجهم اياها في افصح كتبهم ، حتى انهم اصبحوا لا يستطيعون الى الاستغناء عنها سبيلاً. وهي كثيرة نذكر منها من الافعال: آمن ايماناً وامانة ، بارك بركةً ، بشر بشارةً ، بنى بنياناً ، أزلَّ اي اخرج ، تلب توبةً ، دان دينونةً ، سبّح تسبيحاً وتسبيحةً ، سجد سجدةً ، صلّى صلوةً ، صام صوماً وصياماً ، قدّس قداساً ، قرّب قرباناً ، كفّر تكفيراً ، تنبّأ نبوءةً ، نذر نذراً الخ . ومن الاسماء السريانية صفات الله جلّ جلاله نحو : الله ، اللهم ، باري ، توّاب ، ديّان ، سبّوح ، قدّوس ، قيّوم ، مهيمن ، مسيح ، روح القدس ، قدّيس الخ . ومن الالفاظ السريانية : آية ، بسيط اي اعتيادي ، رجز ، ديوان[2] ، سيّارة ، طور ، طوفان ، عتيقة ، حديثة ، عروبة ، عيد ، فرقان فاروق ، قرية ، مدينة ، مسكين ، مقاليد ، ملفان ملفنة ، نبراس ، يمّ ، والسلام بمعنى ختام. ومنها اسماء اشجار او ثمار نحو : رمان ، زيتون الخ. ومنها الفاظ مختومة بالتاء الطويلة نحو: جبروت ، رحموت ، رهبوت ، ملكوت ، لاهوت ، ناسوت ، طاغوت الخ. ومنها النسبة بالنون كما قلنا نحو : جسداني ، جسماني ، حقّاني ، روحاني ، ربّاني الخ. وتأنيثها نحو جسدانية ، حقّانية الخ.

---

١) من شاء الاطلاع على الافعال والاسماء السريانية المدرّجة في اللغة فليراجع كتاب المستشرق فرنكل الالمانيّ المطبوع في ليدن ، عام ١٨٨٦ ، ومحاضرات المستشرق الايطالي انطاطيوس غويدي المطبوعة في مصر ، عام ١٩٠٩ ، والمشرق في اعداد السنة ١٩١٣

٢) الديوان في الاصل يراد به المجنون من وهمهُ في السريانية ، استعاره الفرس ، وعن الفرس نقله العرب (مقدمة ابن خلدون ، صفحة ٣٤٣ ، من طبع المطبعة الادبية).

فهذه الافعال باسرها وهذه الاسماء برمتها سريانية محضة ، انتحلها العرب وعرّبوها واضافوها الى لغتهم . وقس عليها اسماء الاعلام ، فانهم ، اعني العرب ، ما نقلوها عن اليونانية بل عن السريانية فكتبوا : اسحق ، اشعيا ، اليشع ، حزقيال ، عاموس ، هوشع ، يوسف ، يعقوب ، يوحنا ، مريم ، حنة الخ . وعليه فقد صدق من قال ان اهالي سورية قاطبة كانوا يتكلمون بالسريانية قبل عهد الاسكندر . ولما فتح الساوقيون البلاد ظلّت السريانية اللغة الدارجة فيها[1] . ومهما أضيفت الى لغتهم الاصلية لغة يونان وعروبة ، فقد ظلّت لهجتهم العامية في اغلب كلامهم لهجة سريانية بحتة .

زد عليه ان طلّاب العلم السريانيين وأدباءهم عكفوا على اقتباس اليونانية منذ القرن الرابع قبل الميلاد[2] عكوفهم على اقتباس لغتهم السريانية الوطنية . فكانوا يدرسونها ويدرّسونها في معاهدهم العامرة واديارهم الزاهرة بانطاكية ، وبيروت ، وطرابلس ، ودمشق ، والرها ، ونصيبين ، والمدائن ، وقنسرين ، ورأس العين ، وطور عبدين ، وغيرها . وكانت تلك المعاهد تضمّ بين جدرانها مئات بل ألوفاً[3] من الطلبة دينيين ومدنيين . وكان فريق منهم يقصد الاسكندرية حبّاً لاتقان اليونانيـة . بل ان كتبة السريان زاحموا كتبة اليونان الشرقيين وساجلوهم ونقلوا تصانيفهم في اللاهوت ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والتاريخ ، والهندسة ، والفلك الخ . الى السريانية ، واضافوا اليها شيئاً من نفثات اقلامهم كتآليف فرفوريوس الصوري الفيلسوف[4] ، وديسقالية الرسل ، وقوانين المجامع ، وغيرها . ومن تلك التصانيف ما ضاع اصله اليوناني ، وحُفظ نقله السرياني بفضل أدباء السريان وجهودهم[5] .

---

١) دوفال : الآداب السريانية ٤ و٥

٢) غويدي : محاضراته في مصر ٣٢ : ٨٢

٣) بلغ عدد تلامذة مدرسة ابرهيم الربّان (٥٠٩ – ٥٦٩) الف تلميذ (تاريخ كلدو واثور ٢٧٧) . واسّس باباي (٥٥٣–٦٢٧) في اطراف مرغا وحدها ستين مدرسة (كتاب الرؤساء ١٤٦) .

٤) من ترجمة فرفوريوس السريانية نسخة في المكتبة الواتكانية رقم ١٥٨ منسوخة في السنة ٦٤٥ م .

٥) مقدمة النحو السرياني للسيد اقليميس يوسف داود ٢٢

. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء اسماء الكتبة السريان المتخرّجين باليونانية واحصاء ما نقلوه عنها الى لغتهم السريانية[1] . ولاسيما ايبيا الرهاوي († ٤٥٧) ، وهرقليدس الدمشقي ، وزكريا الملطي ، وفولا الرقي ، وموسى الآجلي (٥٥٠) ، ويوحنا افتونيا († ٥٣٨) ، وسرجيس الراس عيني († ٥٣٦) السرياني الملكي ، اول من نقل الكتب الطبية ، والفلسفية ، والدينية ، عن اليونانية الى السريانية ، ويونس الفارسي ، وآبا الجاثليق (٥٣٦—٥٥٢) ، وبطرس الرقي البطريرك (٥٣٨ — ٥٥١) ، ويوحنا اسقف اسيا (٥٨٥) ، وتوما الجرقلي (٦١٦) ، وساويرا سابخت (٦٤٠) ، واثناسيوس البلدي البطريرك (٦٨٤—٦٨٨) ، وجورجي اسقف العرب (٦٨٨) ، ويعقوب الرهاوي († ٧٠٨) الانطاكي النحلة الذي تولى تدريس اليونانية احدى عشرة سنة في دير اوسيونا ، قرب انطاكية[2] ، وتاوفيل الرهاوي († ٧٨٥) الماروني ناقل الياذة هوميروس اليوناني الى السريانية الخ . بل ان حملة الاقلام السريان بلغ بهم شغفهم بلغة اليونان الى نسخ نصوص الاناجيل اليونانية بحروف سطرنجيلية[3] .

ولما ملك العرب في القرن السابع استعانوا بنوابغ السريان في نقل التآليف السريانية واليونانية الى العربية ، واتخذوهم اساتذة لهم[4] . فمهدوا لهم سبل الثقافة ، ومرّنوهم على اصناف العلوم . واول كتاب يوناني فلسفي ، وهو كتاب اوقليدس ، قد نقله الى العربية الرُّهاوي فوضع حنين بن اسحق († ٧٧٣) المشهور[5] في ايام ابي جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥) . وممن امتازوا بقوّتهم القلمية في التعريب والتصنيف آل بختيشوع السريان النساطرة ، وهم ثمانية فحول تعاقبوا

---

١) اطلب مقالتنا في مجلة المشرق سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ بعنوان « آداب اللغة اليونانية وكتبة السريان » .

٢) ميخائيل الكبير ٤٤٦

٣) حصّل المستشرق بارى الانكليزي نسخة يونانية من هذا الشكل في مذيات بطور عبدين ، يرتقي عهدها الى القرن التاسع . وقد طالعنا نحن في دير الزعفران مخطوطاً سطرنجيلياً على الرق يحوي قوانين المجامع ، اثبت فيه ناسخه اسماء الاساقفة بالسريانية واليونانية .

٤) مقدّمة النحو السرياني ٣٣ ، وروبنس دوفال ٢٤٦

٥) مقدمة ابن خلدون ٤٨٠ ، و٤٨٥ ، و٤٨٦

في خدمة خلفاء بغداد زهاء ثلاثمائة سنة . ومنهم عيسى بن علي تلميذ الربان حنين ، ويشوع بن بهلول ، اللذان انشأ كل منهما معجماً سريانياً عربياً حشواه الفاظاً يونانية نجمّة . وقس على هؤلاء علماء كثيرين من السريان الغربيين والشرقيين والملكيين والموارنة ملكوا ناصية اليونانية ، فكتبوا فيها ، ونقلوا عنها تصانيف شتى حتى اواخر القرن الثالث عشر .

هكذا ظلّت اليونانية الى ايام ظهور العرب لغة الولاة ، والمنصّبين[1] ، والتجّار فقط . ثم لغة الرؤساء البيعيين ، وفريق من المؤلفين[2] ، والقرّاء . فكان مثلها مثل اللاتينية او الفرنسية في سورية وفلسطين لهذا العهد . فكما ان العلوم اللاهوتية والفلسفية والطبية والقانونية الخ التي تدرّس في هذه المدارس والتي يتكلّم بها الحكّام والمنصّبون الشرقيون لا تدل على ان طلّابها والمتكلّمين بها لاتينيون او فرنسيون ، هكذا قل في طلّاب اليونانية في سالف الاحقاب .

اما اسماء الاعلام اللاتينية واليونانية والفرنسية كرقس ، ولوقا ، وفيلبس ، واسطفانس ، واقليمس ، واغناطيوس ، وثوفيلس . ثم جان ، وجوزف ، وبول ، وبيير ، وادوار ، والبير ، وفكتور ، وهنري ، وماري ، واوجيني ، وهلم جرّاً ، فان الاولين ما استعملوا تلك الاسماء ، كما استعملها المعاصرون ، الا ازدلافاً الى الدولة المالكة او تحبّباً الى ولاة الحلّ والعقد . أضف اليه ما اصطُلح عليه منذ القديم في فلسطين وسورية ، اذ كان يُنتخب للابرشيات العامرة اساقفةٌ من الجنس اليوناني ، او متخرّجون باليونانية . ذلك لان الحبيرين بها ، كما ان الحبيرين بالفرنسية لهذا العهد ، كانوا وما برحوا يُعدّون أليق وأجدر بمثل ذلك المنصب الرفيع[3] .

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١١٥ ؛ وابن خلدون ٢٤٤

٢) كما ان المؤلفين اليعيين الذين عاشوا في سورية كتبوا تصانيفهم باليونانية كفم الذهب ، وثاودريط ، ونسطور ، وسويرا ، ويوحنا الدمشقي الخ ، هكذا نبغ قبلهم وفي عهدهم وبعدهم جهابذة من السريان يفوقونهم عدّاً كتبوا تآليفهم في السريانية كطيمثاوس (ت ١٨٠) وبرديصان (ت ٢٠٢) واسوان ورافله وافرهاط (٣٤٥) والامام افرام (ت ٣٧٣) ومارروثا (٤٢٠) وربولا ، واسحق الانطاكي ، وفيلكسين المنبجي ، ويعقوب السروجي ، وز ذريا البليغ الملطي الذي درس في كلّية الحقوق ببيروت الخ .

٣) النصارى ١٦

دع تسيطر ملوك بزنطية النصارى ، وضغط اساقفتها على الرؤساء البيعيين ، واضطرارهم اياهم ان ينصبوا لابرشيات المشرق بطاركة واساقفة يونانيين جنساً او لغةً . وقد استرسلوا في هذه العادة الشاذة الغريبة حتى القرن التاسع عشر ، خصوصاً في الطائفة الملكية غير الكاثوليكية .

وجماع القول ان الملكيين السوريين ، او السريانيين المتحدرين من العنصر الآرامي السرياني ، امسوا ، كما اكد البحاثة كرلفسكي ، يتألفون مع تراخي العصور من ثلاثة عناصر : اولها العنصر السرياني البحت وهو السواد الاعظم . ثانيها العنصر اليوناني المؤلف من تجار اجانب وعساكر وموظفين بزنطيين ، وهذا اضمحل بعد الفتح العربي ودخل في خبر كان . ثالثها العنصر السرياني الوطني الذي شغل المدن الكبرى وحافظ زماناً على السريانية واليونانية معاً . اما المسلمون في سورية فليسوا في الاصل الا من السريان المنوفيزيتيين الاقدمين . وعلى بواج اسواق العربية بين اهالي سورية عموماً ، ظلت السريانية الى يومنا هذا عالقة باذهانهم ، لاصقة بألسنتهم ، خالدة في اسماء اغلب قراهم ، ومتغلغلة في افصح كتبهم .

ثانياً : لغة الملكيين الطقسية

قرر الكتبة الكنسيون عامة ان اول بيعة أنشئت في علية صهيون باورشليم ، وان اول طقس أقيم فيها باللغة السريانية . والى هذا الطقس السرياني الابوي الرسولي ترجع سائر الطقوس البيعية[1] . وهو تقرير راهن ثابت لا يجسر ان ينكره الا من انكر حقيقة الانجيل نفسه[2] . ثم قرروا ايضاً ان آباء الكنيسة ، في مفتتح عهدها ، تعودوا ان يتخذوا للطقس اللغات الدارجة في الاصقاع التي اذاعوا فيها الكرازة المنورة كالسريانية في بلاد المشرق ، واللاتينية في رومية وملحقاتها ، واليونانية في بلاد اليونان[3] . وكانت هذه اللغات الثلاث

١) معجم اللاهوت الكاثوليكي للاب ڤانييه ٢-١٤

٢) القصارى ٥٦

٣) القصارى ٨١

من اشهر لغات البشر المعروفة في عصور الكنيسة الاولى.

فالسريان الملكيون كانوا، حتى القرن الخامس، هم، والسريان الشرقيون (الكلدان)، والسريان الغربيون (اليعاقبة)، والسريان الموارنة، طائفة واحدة خاضعة لبطريرك واحد هو بطريرك انطاكية. وكانت السريانية وحدها لغتهم الطقسية، كما كانت لغتهم الوطنية ايضا. وظلّت السريانية معروفة لديهم، مستعملة في كنائسهم الكبرى والصغرى باجمعها حتى القرن السابع عشر. يؤيد ذلك نقولٌ عديدة نكتفي منها بذكر ما اثبته ثاودريط اسقف قورش (†٤٥٧) الخبير باليونانية والسريانية وهو: ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينيين والفونيقيين هي السريانية[1]. وجاء في اخبار فم الذهب عن سويرنس اسقف جبلة: «ان نغمته اليونانية لم تكن فصيحة بل كان اذا تكلم بها ظهرت نغمته سريانية.»[2] وكتب مسجّل اعمال المجمع المسكوني الثامن، عام ٨٦٩، ان «توما مطران صور كلّف القس ايليا ممثل ثودوسيوس بطريرك اورشليم ان يتلو تقريره في المجمع لانه لم يكن يستطيع ان يعبّر عن افكاره باليونانية. فكانت لغته بلا ريب السريانية.»[3] وفي السنة ١٠٥٩ طلب بطرس الثالث بطريرك انطاكية الملكي (١٠٥٢ — ١٠٥٧)، رجلًا كفوءا ينقل رسالة البابا لاون التاسع (١٠٤٩ — ١٠٥٤) الى اليونانية فلم يجد. اما ثاودوس بلسمون بطريرك انطاكية الملكي († ١١٩٥) المشهور فقد رخّص للملكيين الجاهلين اليونانية ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصلية[4]، اعني السريانية. ذلك لانه الى عهده لم يكن يخطر ببال السريان الملكيين ان يبدّلوا كتبهم السريانية الطقسية، او ينقلوها الى اليونانية او العربية. ولما انتخب فاخوم الاول (١٣٥٩ — ١٣٨٦) بطريركاً انطاكياً لم يوقع الاساقفة انتخابه الا بالسريانية فقط. اما ميخائيل البطريرك الذي خلفه فانه على تضلعه من السريانية والعربية لم يكن

١) مين ٨٠ : ٢٢٧؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ١٤٨٥

٢) المقتطفات السريانية للسيد البطريرك رحماني ٣ : ٨

٣) كرلنسكي فصل ٦

٤) مين ١٣٧ : ٩٥٨

خبيراً باليونانية[1]. وقد كتب لاونس ماخيراس في القرن الخامس عشر : « ان اهالي قبرس قبل دخول اللاتين اليها كانوا يتعلّمون اليونانية لمكاتبة الامبراطور ، والسريانية لمكاتبة بطريرك انطاكية »[2].

هكذا مرّت الحقب تلو الحقب والسريان الملكيون يحافظون محافظةً امينة على لغتهم السريانية في طقوسهم حتى عهد السيد افتيموس الثاني (١٦٣٤ — ١٦٣٥) ، المشهور بابن كرمة ، فأخرج ، حين اسقفيته في مدينة حلب ، جميع كتب الطقوس الرومية الى العربية . . . لان بلاد سورية بدّلت في عهده السريانية بالعربية[3]. ومع هذا كله فقد صرّح خلفه مقار الثالث (١٦٤٧—١٦٧٢) بقوله : « اننا نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا ومنازلنا »[4].

على ان السريان الملكيين سبقوا فادرجوا في طقسهم صلوات من تصانيف ابينا مار افرام[5] ، ومن تآليف مار يعقوب السروجي ، اسقف الرها ، كما سترى ؛ ومن معانيك (اغاني) سويرا ، بطريرك انطاكية (٥١٢ — ٥٣٨)[6] : وهو برهان على انهم اخذوا تلك الصلوات قبل عهد الانفصال . ولما اصبحوا أمة مستقلة عن سائر الملل السريانية ، نقلوا شيئاً كثيراً منذ القرن الثامن عن التصانيف اليونانية الى السريانية ، واضافوه الى طقسهم القديم[7]. واشهر ذلك تآليف القديس يوحنا

١) المشرق ٣ [١٩٠٠] ٧٢

٢) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٦٢٨

٣) المنتطفات السريانية ٣ : ١٢ ، وقد عدّد الاب لويس شيخو في كتابه « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ٢٤ و٢٥ اخصّ الكتب الطقسية التي نقلها السيد افتيموس كرمة منها الاورلوجيون والافخولوجيون والقداس والتيبكون والفنداق والسنكسار والاستشاري ، كما ذكرنا ذلك في ترجمته .

٤) المشرق ٧ [١٩٠٤] ٨٠٢

٥) منها صلاة « ايها الرب سيد حياتي » يتلوها الملكيون الى هذا اليوم في الساعات الثانونية ، ويقسمونها ثلاثة اقسام (الاب هايل كوتيريه ٢ : ٣٥) .

٦) منها صلاة « اهلنا يا رب لهذا المساء وبنير خطيئة احفظنا » يتلوها الملكيّون ثلاث مرار (الاب كوتيريه ٢ : ٢٨ ؛ وكتاب السواعية طبع الشوير ١٠٦ و٣٠١ و٣٢٨) وهذه الصلاة يرتلها السريان في صوم الاربعين وبدونها : اهلنا الخ حتسعصب هذا حلا .

٧) نقل السريان ايضاً عن اليونانية قوانين شتى من تآليف مار يوحنا الدمشقي وقزما

الدمشقي (٧٤٩+) ، وسرجيوس (٦٤١+) ، ورومانس (٩٦٤+) ، ويوسف ، وقزما ، واندراوس ، اسقف اقريطش ، وثاودور الستودي (٨٢٦+) ، واسطاس رئيس دير طودسينا ، وثاوفيلس ، ولاون الفيلسوف ، وباسيليوس ملكي بزنطية ، ويوحنا الدلمي ، وجرجس ، واغناطيوس ، واسطفانس ، وسمعان المفتبر ، واندراوس الاعمى ، ومرقس الاسقف ، وكاسيا وكاسيانا الراهبتين ، وايرينا الملكة الخ .

وكان السريان الملكيون يحرصون على كتب اجدادهم الصالحين حرصهم على اثمن تراث . ولولا ما انتاب مصاحفهم القديمة من الآفات الهائلة ، والعوائل القتالة كالزلازل والحريق والنهب والتلف والسرقة والحروب ، خصوصاً في انطاكية ودمشق عاصمتي الشرق ، لبقيت من تلك الكنوز الكتابية الثمينة بقيّة صالحة كشفت القناع عن احوال الطقس السرياني الملكي وتطوراته . وحسبنا ما احرقته يد الجهل في عهدنا من المخطوطات السريانية الملكية الوافرة المكتوبة على رقّ الغزال ، اذ خبز عليها الراهبات في دير صيدنايا خبزتين كبيرتين استغرقت كل خبزة ثلاثة ايام كاملة ليلاً ونهاراً ! هذا ما عدا ما أتلفته تحت القناطر[1] . وناهيك انه اذا كانت مخطوطات دير واحد للسريان الملكيين في قرية من قرى دمشق بالغة هذا الحدّ من الكثرة ، فما قولك عن مخطوطات اديارهم القديمة العامرة وكنائسهم المشهورة الوافرة ومدارسهم العديدة الزاهرة ، لا في سورية وفي عاصمتيها دمشق وانطاكية فحسب ، بل في جميع البلدان التي كانت خاضعة للكرسي الانطاكي !

ومع هذا كله فقد صانت مكاتب اوربة الشهيرة ، وبعض مكاتب بلاد المشرق الخصوصية ، تركةً صالحةً من تلك الجواهر اليتيمة هي اكبر حجة على

وغيرها واثبتوها في حلوات المواسم الكبيرة وآحاد القيامة (ايشيفون ابن العبري ٦٥ و٦٦) وحوت اشحية السريان المؤارنة ايضاً اياتاً شتى من هذه القوانين (اطلب الاشحية المطبوعة عام ١٨٨٥ صفحة ٣ و٥٩ و١١٣ و١٨٠ و١٨٨ و٢٤٩ و٢٥٨ و٢٣٠ الخ) .

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، تأليف الادب الفاضل حبيب زيّات الدمشقي الرومي الملكي ١١٧ و١١٨

ان السريانية ، وليس اليونانية ، كانت لغة الملكيين الطقسية. وقد احصينا نحن من تلك الاسفار القيمة التي تزدان بها مكاتب الفاتيكان، ولندن ، وباريس ، واكسفرد ، وبرلين ، وكمبردج ، ودير الشرفة ، وبكركي ، والبطريركية السريانية ، والمكتبة الظرازية الخصوصية ، ومكاتب المطرانيات السريانية بدمشق وحلب وماردين وديار بكر والموصل الخ ، فبلغت نيفاً وخمسمائة مخطوط اشتملت على صلوات طقوس السريان الملكيين . وتُعَدّ هذه التركة الثمينة اول مرجع يُستَنَد اليه للوقوف على احوال تلك الطقوس وتقلباتها. وقد اعتمدنا عليها في درسنا هذا الذي حصرناه في ستة ابحاث : ١ً الكتاب المقدس. ٢ً الليترجية ، اعني طقس القداس. ٣ً الطقوس والرتب. ٤ً الصلوات القانونية. ٥ً الاشحيم. ٦ً الكلندار.

١ً الكتاب المقدس

يستحق السريان الملكيون كل ثناء وشكر لانهم ، على تقربهم من اليونان وكلفهم باللسان اليوناني ، حرصوا كل الحرص في طقوسهم ، خلافاً للسريان المنوفيزيتيين ، على نصّ الكتاب المقدس السرياني المعروف بعنوان « ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب » ، والمنقول في القرن الثاني عن النص العبراني وقد أطلق عليه منذ القرن التاسع او العاشر عنوان « ܦܫܝܛܬܐ البسيطة ». ومنه في مكتبة لندن خمس نسخ[1] ، مكتوبة منذ السنة ٤٥٠ م ، ونسخة في المكتبة الفاتيكانية مكتوبة في السنة ٥٤٨ م ، ونسخة في فلورنسا مكتوبة في السنة ٥٨٦ . وقد احصى الاب پولان مرتان خمساً وخمسين نسخة سريانية سطرنجيلية من هذا الكتاب الثمين مكتوبة في القرن الخامس والسادس والسابع يقابلها ٢٢ نسخة لاتينية و١٠ نسخ فقط يونانية[2] . ودع الدياطسرون السرياني[3] الذي انشأه ططيان الآثوري في الرها في اواسط القرن الثاني . وقد شرحه مار افرام واستعملته كنائس المشرق حتى القرن الخامس ، فأحرقه ربولا ،

١) موسومة بالارقام ١٤٤٥٩ و١٧١١٧ و١٤٤٥٣ و١٤٤٧٦ و١٤٤٨٠

٢) معجم الكتاب المقدس، تأليف فيگورو ١٢٢ و١٢٣

٣) اوسابيوس ٤ : ٢٥

اسقف الرها ، وآتلف منه ثاودريط ، اسقف قورش ، نيّفاً ومائتي نسخة . وهكذا ضاع اصله السرياني وبقيت ترجمته في اليونانية والارمنية والعربية .

على ان مكاتب عواصم اوربة قد صانت من النسخة ܦܫܝܛܬܐ البسيطة ، نسخاً جمة منظّمة طبقاً للطقس الملكي ، اقدمها مخطوط لندن ١٤٤٨٨ ، وقد نسخه عام ٨٢٣ م ، القس يوحنا في بيعة مار ايليا النبي بمدينة الله انطاكية[1] . ثم مخطوطة لندن ايضاً ١٤٤٨٩ ، وقد نسخها عام ١٠٤٦ م ، يوحنا الدوقسي في دير مار ايليا بجبل الاسود[2]. ثم مخطوط الفاتيكان ٢١ ، المنسوخ عام ١٠٤٢م ، بيد القس جبرائيل الحبيس في برج مار ديمط بجانب هيكل الجمعة في مدينة الله انطاكية[3]. وهذا المصحف النفيس يحوي ، طبقاً للطقس السرياني الملكي ، فصولاً من اعمال الرسل ورسائل مار بولس للسنة كلها بدءاً من احد الفصح . وقد ضمّ اليه الناسخ طقوساً شتى وملاحظات ذات شأن عظيم تبرهن على ان السريان الملكيين كانوا يستعملونها في صميم انطاكية نفسها . منها قوله ما شرحه عن السريانية : « في الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة ينطلقون الى بيعة والدة الله »[4]. ومنها قوله في احتفالات السبت العظيم : « وفي جميع الكنائس يقال هذا المزمور بدلاً من الهلال ما عدا بسلوس طر داويد . اما في الكنيسة

---

١) ܟܬܒܗ ܝܘܚܢܢ ܘܐܬܛܘܣ ܡܫܝܚܐ ܒܒܝܬܐ ܕܡܪܝ ܐܠܝܐ ܢܒܝܐ ܒܡܕܝܢܬܐ ܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ . . . ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܡܐܐ ܘܬܠܬܝܢ ܘܐܪܒܥܐ ܡܢ ܫܢܝ ܕܐܠܟܣܢܕܪ ١١٣٤ – ٨٢٣ م

٢) ܐܬܟܬܒ . . . ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܠܬܡܐܐ ܘܚܡܫܝܢ ܘܫܒܥ ܕܝܘܢܝܐ ܡܫܝܚܝܐ ١٣٥٧ – ١٠٤٦ م ܒܝܕ ܐܢܐ . . . ܕܡܪܝ . ܐܠܝܐ ܒܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ . . . ܟܬܒܗ ܝܘܚܢܢ . . . ܕܘܩܣܝܐ .

٣) ܐܫܠܡܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ . . . ܓܒܪܐܝܠ . . . ܡܫܝܚܐ ܘܫܡܫܐ ܒܡܓܕܠܐ ܕܡܪܝ ܕܝܡܛ ܠܘܬ ܓܒ ܗܝܟܠܐ ܕܟܢܘܫܬܐ ܒܡܕܝܢܬ ܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ .

٤) ܘܒܫܒܬ ܚܫܐ ܐܙܠܝܢ ܠܒܝܬܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ .

الكبرى القاتوليقي فيقال بسلموس طو داويد. ويكتلون القداس »[1].

فهذه التعريفة الصريحة تبرهن ، بالقلم العريض ، عن الحقيقة التاريخية الراهنة ، وهي انه في جميع كنائس انطاكية ، حتى في كنيستها الكبرى القاتوليقية التي كان يؤمّها سريان وطنيون ويونان وروم وغرباء ، كانت الليترجية تُتمّثل بالسريانية ، لا باليونانية . غير ان الشماس كان ينادي بعبارات يونانية يردفها شماس ثانٍ بعبارات سريانية كي يفهمها جميع الحاضرين ويقوموا بوجبها. اما سائر كنائس انطاكية[2] ، فلم تكن في حاجة الى شماس ينادي ببعض عبارات يونانية ، لان الطقوس باجمعها كانت تمارَس فيها بالسريانية فقط.

على ان كنيسة قاتوليقية ككنيسة انطاكية هذه كان لها امثال في غيرها من المدن الكبرى كدمشق ، والرها ، والرقة. يؤيد ذلك ما كتبه لعازر برسبتا ، اسقف بغداد في القرن التاسع في « تنقيح القداس السرياني » اذ قال : « يُتلى المزمور ١١٨ في بعض الكنائس القاتوليقية المقدسة ببلاد المغرب[3] » ، اعني في سورية ، وبعض بلاد ما بين النهرين. وكتب سعيد بن بطريق (٢ : ٨٣) « ان المسلمين ثاروا في دمشق فهدموا كنيسة مرقريم الكاثوليكية ، وكانت عظيمة كبيرة حسنة أنفق فيها مائتي الف دينار » . وكتب ابن العبري ، في تاريخه البيعي ، ان ديونوسيوس التلمحري نُصب بطريركاً (٨١٨—٨٤٥) في الكنيسة القاتوليقية بمدينة الرقة. وذكر مخطوط لندن ١٤٥١٩ في ١٢ ايلول « عيد تجديد

---

١) ܕܡܬܠܡܕ ܒܟܬܒ̈ܐ ܕܡܕܝܢܬ̈ܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ܒܟܠ ܟܢ̈ܝܫ̈ܬܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ܐܦ ܒܟܢ̈ܝܫ̈ܬܐ ܕܒܝܬ ܦܛܪܝܪܟ̈ܘܬܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ܕܒܝܬ ܡܪܝ ܐܝܘܚܢܢ ܕܒܝܬ ܪܒ̈ܐ ... ܘܒܟܠ ܟܢ̈ܝܫ̈ܬܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ܐܦ ܒܟܢ̈ܝܫ̈ܬܐ ܕܒܝܬ ܦܛܪܝܪܟ̈ܘܬܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ...

٢) كان للسريان المتوفيزيين في قلب انطاكية عشر كنائس. وكنيسة في جبلة ، وكنيسة في اللاذقية ، وكنيسة في طرابلس (ابن العبري التاريخ المدني السرياني ١٨٤ و٢٣٩) ، وميخائيل الكبير ٦٩٦

٣) ܕܒ̈ܫܒܥ̈ܝܢ ܘ٩ ܒܟܠ ܟܢ̈ܝܫ̈ܬܐ ܕܐܢܛܝܟ̈ܝܐ ܕܡܬܩܪ̈ܝܢ ܠܗ̇ ... ܒܟܠ ... ܒܟܠ ... ܒܟܠ .

مخطوطة دير الشرفة ٤ — ١ ، صفحة ٥٩٤

او تدشين البيعة المقدسة القاتوليقية ».

هذا ، وما عـدا ما ذكرناه من مصاحف العهد الجديد السريانية المختصة بالملكيين ، فقـد حوت نسخاً منه مكاتب لندن ، والڤاتيكان ، وباريس ، وبعض مكاتب الشرق. ومما يبرهن على شديد تمسك السريان الملكيين بالنسخة البسيطة انهم اثبتوا في كلنداريهم ، وفقاً لها ، ذكرًا للسبعين رسولاً (لو ١٠ : ١) في ٤ كانون الثاني ، ولم يثبتوهم اثنين وسبعين طبقاً للنسخة اليونانية. وعلاوة على ذلك كله ، فقـد اعتبروا تلك النسخة السريانية اعتباراً عظيماً ، حتى انهم حرّجوا على الشماس خادم القداس ان يقول في آخر الصلاة الربية العبارة التي خصت بها الترجمة السريانية خلافاً لسائر الترجمات وهي : « لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الآبدين » (متى ٦ : ١٣) فقرّروا ان لا يرتلها الا الاسقف او الكاهن المقدّس.

٢ً الليترجية اي طقس القداس

اول الليترجيات واقدمها عهداً ، على ما قرّر اغلب الكتبة البيعيين ، هي ليترجية مار يعقوب الرسول التي استعملتها ، اول بدء ، الكنيسة الاورشليمية ، فالكنيسة الانطاكية ، بلغتها السريانية الاصلية . ولا تقلّ عنها قدماً واعتباراً ليترجية مار بطرس (حمدو) التي خصّت بها الكنيسة السريانية المارونية . ثم ليترجية الرسل التي امتاز بها السريان الشرقيون . فهذه الليترجيات السريانيات الثلاث ذاعت وشاعت في كنائس السريان قاطبةً ولم تكن تشتمل في اول وضعها على لفظة او عبارة واحدة يونانية اصلاً بيد انه ، مع تمادي الزمان ، وانضمام اقطـاب الشعب الى حظيرة الايمان ، استحسن الآباء ان يدخلوا في ليترجيتي مار يعقوب ومار بطرس ، لا في ليترجية الرسل ، بعض عبارات او الفاظ يونانية حتموا ان لا ينادي بها الا الشماس مشفوعةً بشرحها بالسريانية . ذلك تنبيهاً للمؤمنين الحاضرين كي يصغوا او يقفوا او يجلسوا او يخرجوا. ولهذا السبب بقيت تلك العبارات اليونانية الدخيلة مكتوبة بحروف سريانية مع اصلها السرياني في الليترجيتين المشار اليهما. فحفظ السريان منها عبارتي « فلنقف

حسنا يا رب ارحم »[1] ، و « لنصغ بحكمة الله »[2]. وحفظ الموارنة منهما لفظتي « توريالیسون » و « برووديقي » ، وهي ، اعني برووديقي ، مناداة يقولها الشماس الماروني وقت تجزئة القربانة المقدسة.

على هذا المنوال واصلت الكنائس الشرقية ، الكبرى والصغرى الكاثوليكية والخصوصية ، استعمال الليترجية السريانية حتى عهد الانفصال . غير ان الصحف القديمة لم تصن من هذا القبيل الا النزر اليسير. ذلك لان الرسل ، على ما كتب ديونوسيوس الاريوفاغي الكبير ، لم يستصوبوا في اوائل الكنيسة ان يكتبوا على قرطاس كتاباً خصوصيا في رتب القداس او السيامات او الميرون. بل كانوا يلقنون القديسين ذلك شفاهاً[3] . وافادنا مار باسيليوس[4] ان الليترجية لم تكن تُكتب على الرق ، بل كان الكهنة يقرأونها على ظهر قلبهم . ولهذا السبب لا يُعرَف شيء عن الليترجية القديمة التي استعملها السريان الملكيون[5] ، قبل اتخاذهم ليترجيتي فم الذهب ، وباسيليوس ، ونقلهم اياها الى السريانية في عهد البطريرك ثاودوس بلسمون (†١١٩٥) الذي امر كنائس البطريركية الانطاكية ان تستعملها في السريانية ، بدلاً من الليترجية القديمة ، محتجاً في ذلك بان جميع كنائس العالم يلزمها ان تتبع في طقسها كنيسة بوزنطية ، وتحذو حذوها في كل شيء.[6]

---

١) ܗܘ ܪܚܡ ܥܠܢ ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܟܠ̈ܗ ܝܠ̈ܗ . ومن الغريب ان السريان الملكيين ، لما نقلوا هذا اللفظ الى العربية ، نقلوه مترجماً ، فقالوا « يا رب ارحم » ولم يقولوا « قوريالیسون » . (الاب كوتيريه ٢ : ٢٨ و ٤١ الخ) .

٢) ܒܚܟܡܬܐ ܢܩܫܒ ܠܡܐܡܪܐ ܕܡܪܝ ومعناه عبارة « پرومخومن » يستعملها الشماس الارمني ايضاً في القداس .

٣) ܠܐ ܡܫܟ ܒܟܬܒ̈ܐ ... ܐܠܐ ... ܒܠܒ̈ܐ ܕܐܢܫ̈ܐ ܠܡܕܒ̈ܪ̈ܢ (مخطوط الشرفة ٦ – ١ ، صفحة ٤٢٧) .

٤) النصارى ٥٥

٥) قيل ان الملكيين كانوا يستعملون ليترجية مار افرام . *Patrologia Orientalis*. 4. 1907. p. 295

٦) النصارى ٥١ و٤٩

غير انه ، على هذا الضغط الشديد وعلى ما اكتاب المصاحف السريانية من الغوائل كما قلنا ، فقد صان مخطوط الواتكان رقم ٤١ ليترجيتي فم الذهب ، وباسيليوس ، باللغة السريانية طبقاً لاستعمال السريان الملكيين. ففي الصفحة ١٨ من هذا الاثر النفيس يُقرأ ما يلزم الشماس اليوناني ، فالشماس السرياني ، ان يناديا به اثناء القداس كي يفهم الحاضرون قاطبةً ما يقال وما يجب ان يصنعوا. من ذلك قوله : ينادي الشماس اليوناني : ⟨syr⟩ ⟩ ⟨/syr⟩[1]. وينادي الشماس السرياني بنفس العبارة ⟨syr⟩ ⟩ ⟨/syr⟩ ، اي فليجب بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة . ومن ذلك قوله ايضاً : ينادي الشماس اليوناني : ⟨syr⟩ ⟩ ⟨/syr⟩ . وينادي الشماس السرياني : ⟨syr⟩ ⟩ ⟨/syr⟩ . اعني : فلنقف حسناً . فلنقف بورع . ونحدق عقولنا في التقدمة المقدسة . بالامن لله تقرّب . الخ

فهذا كله يصرّح جلياً بان القدّاس في انطاكية عينها ما كان يُحتفَل به الا بالسريانية فقط . اما بعض الالفاظ اليونانية فكانت مختصة بالشماس دون من سواه . بيد ان العادات تطوّرت رويداً رويداً حتى غدت السريانية في طقس الملكيين كحمامة ترفّ في كنائسهم واديارهم ومدارسهم بين رفع وخفض ، وتتنقّل من حال الى حال يناهضها ملوك اليونان ، فالغرب ، ويرشقها اساقفة بوزنطية في اجنحتها ، بجاديهم في ذلك بطاركة انطاكية حتى القرن السابع عشر ، فألجئوا ان ينقلوا ليترجيتيهم الموماً اليها عن السريانية الى العربية . ومما يبرهن على امانتهم في النقل ابقاؤهم فيها الفاظاً سريانية ، واثباتهم فيها الكلمات الجوهرية باصلها السرياني . ثم ينقلها العربي . وقد شاهدنا مثل ذلك في مخطوط البطريركية السريانية المنسوخ عام ١٦٤٣ م[2] ، وفي مخطوط المطرانية السريانية

---

١) لاحظ ان الناسخ الملكي لم يكتب هذه الكلمات وما بعدها بحروف يونانية بل بحروف سريانية.

٢) مجلة الآثار الشرقية ٢ : ٢٦٠

بدمشق المنسوخ عام ١٦٣٧ م ، على هذا الشكل : (انظر الرسم)

« نشكر وبارك وقدّس وكسر واعطا تلاميذه القديسين قائلًا :

« خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور من اجلكم لمغفرة الخطايا.

...

« اشربوا منه كلكم هذا هو دمي العهد الجديد المهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا.

...

« من الذي لك نقدّم لك على كل شيء ومن اجل كل شيء » (٢).

٣ً الطقوس والرتب

مرادنا بالطقوس ١ً جميع ما يمارسه كاهن الرعية من الاحتفالات حين توزيعه الاسرار على المؤمنين . ٢ً ما يُحتفل به من الرتب الكهنوتية اعني السيامات. ٣ً طقوس المواسم الشهيرة . فقد ضمت مكاتب اوربة وبعض مكاتب الشرق من هذا الصنف مصاحف شتى كلها بالسريانية . اهمها مخطوطا

١) المعروف اليوم ان يقال . ولعل السريان الملكيين كانوا يستعملون الامر بالضم مثل .

٢) اشكل على المترجمين الملكيين تعريب هذه العبارة السريانية . فقد ترجمها بعضهم كما اثبتناها في المتن . وعرّجا بعضهم هكذا : « التي لك مما لك نقدّمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » . وقرأناها في الليترجية التي نشرها عام ١٩١٣ الاب الكسيوس شتوي هكذا : «فالتي للثمن التي لك نقدّم لك عن كل شيء ومن اجل كل شيء» . وهي ترجمة مضطربة فيما نرى. والصواب ان تعرّب طبقاً لنصها السرياني هكذا: «مما لك نقرّب لك عوضاً عن الكل ولاجل الكلّ » . ويقابلها في ليترجيتَي مار يعقوب والرسل السريانيتين : « حد حد » . ويكون المراد منها على ما شرحه موسى بركيفا (ت ٩٠٣) وغيره: اننا نشكرك على كل نعمك ومن اجل كل شعبك . او « مما لك نقرب لك عوضاً عن كل نعمك ولاجل كل شعبك ».

خذوا اكليلا ... ومسندكم
هذا هو ... ك
الملكوت ...
اجلكم المغفرة
الخطايا يا

باريس ١٠٠ و١٠١ اللذان حويا طقوس المعموذية ، والميرون (التثبيت) ، والخطبة ، وتكليل العروسين ، والقنديل ، والسجدة . وحوى مخطوط برلين ٣١٧ طقس الجنائز ، وصلوات الزيجة الثانية والثالثة ، والصلاة على من يخطأ ، ويقدّم التوبة الخ. وانطوى مخطوط الڤاتيكان ٤٠ ، ما عدا ما ذكرنا على طقوس السيامات باجمعها.

وقد اطّلعنا في الخزانة الطرازية الخصوصية على مخطوط سرياني ملكي نفيس تضمّن صلوات ورتباً طبقاً لاستعمال الملكيين مذ ليلة احد الشعن[1] حتى احد القيامة أثبت ناسخه ، في الصفحة ٢٩ ، رتبة الغسل وفصل الانجيل (يو١٣ : ٤ — ٥) حسب النسخة البسيطة ، وكتب في خلال اسطرها هذه العبارات : « والرئيس يكون منتصب. ينزع ثيابه ويتزر بمنشفة. في وسطه . وصب الماء في المغسل . يبدأ يغسل ارجل تلاميذه . وينشفها بالمئزر الذي ائتزر به » . (انظر الرسم ١).

ولا بأس ان نشير ههنا الى طقس الاحتفال بدخول الاسقف الى المدينة . فقد أثبت فيه الكاتب عدّة عبارات يتلوها الشماس باليونانية ويردفها شماس ثانٍ بالسريانية ليفهم الحاضرون ما ينبغي ان يصنعوه[2].

ج الصلوات القانونية

كان للاكليروس السرياني الملكي عدّة كتب تشتمل على الصلوات القانونية اخصها « التريوذي » و « الميناون » و « الكلوغوديون ». فمن التريوذي ثلاث نسخ في المكتبة الڤاتيكانية تحت الارقام ٧٤ — ٧٦ ، واربع نسخ في مكتبة اوكسفرد تحت الارقام ٨٤—٨٧ ، ونسختان في برلين رقم ٣٠٩ و٣١٠ وتحوي منه مكتبتا لندن وباريس عدة نسخ ايضاً.

اما كتاب الميناون فمنه اكثر من عشرين نسخة في مكتبة اوكسفرد ،

---

١) لسنا ندري متى دخل لفظ « اوصنّا » اليوناني في الكنائس الشرقية . وهما هوذا السريان الملكيون انفسهم يثبتونه بالشين والعين طبقاً لوضعه العبراني والسرياني ويقولون « اوشعنا » لا « اوصنّا » و « الشعن » لا « المنّ ».

٢) المقتطفات السريانية ٣ : ١

وعشر نسخ في مكتبة باريس ، وخمس نسخ في مكتبة كمبردج ، ونسخة في المكتبة الفاتيكانية مكتوبة عام ١٢٠٦ م ، ونسخة في برلين الخ . وقد طالعنا من هذا الكتاب نسخة ثمينة قديمة في المكتبة الطرازية الخصوصية تحوي الصلوات الفرضية لآحاد القيامة والايام التي تتخللها . فألفينا فيها قوانين شتّى مدرّجة في صلواتنا القانونية ، وابياتاً جمّة من تآليف القديس رابولا اسقف الرها († ٤٥٣) استنتجنا منها ان السريان الملكيين ادمجوا في كتبهم ابتهالات (ܐܬܬܘܫܒܚ) هذا الملفان الجليل قبل عهد الانفصال . وقد رأينا تأييداً لذلك ان نورد شيئاً منها نقلاً عن هذا المخطوط النفيس المشتمل على ٦٩٢ صفحة كبيرة .

من ذلك ما قرأناه في الصفحة ٢٠ وهو : « ܐܢ ܟܐ ܕܙܕܝܩ ܒܥܡܠܗ ... ان كان البارّ بالجهد يخلص » (١ بطرس ٤ : ١٨) وفي الصفحة ٢٨ : « ... السلام لكِ من الجميع ايتها القديسة » . وفي الصفحة ٩١ و ٢٤٥ : « ... في الحقيقة ان كل ما في العالم باطل » وفي الصفحة ١٨٩ : « ... متى انكشفت اعمالكِ في الآخرة » (انظر الرسم ٢) . وفي الصفحة ٢٨١ : « ... ايتها الام النقية كما اعتدتِ »[1] . (انظر الرسم ٣) وفي الصفحة ٤٧ وغيرها : « ... مع جميع قديسيك نيّح ايها المسيح ارواح عبيدك »[2] الخ .

اما كتاب الكاوغوديون فمنه نسخة في لندن مكتوبة في السنة ١٢٨٤ م ، رقمها ٤٠٨ ، ويضاف الى ذلك كتاب البركليني ، ومنه نسخة في المكتبة الواتيكانية رقمها ٧٦ ؛ وفي المكتبة عينها كتاب الساعات « السواعية » . فجميع هذه المخطوطات مكتوبة في السريانية . يتخللها ملاحظات في السريانية احياناً ، واحياناً في العربية . وليس فيها حرف يوناني بتّة .

---

١) هذا الابتهال يتممه السريان الموارنة ايضاً في القداس وهو : « صلاتكِ معنا يا اطهر العباد » الخ .

٢) اطلب سواعية الشوير ، ٢٥١ و ٥٧٦ الخ .

ثم يبدأ الكاهن بقراءة الإنجيل

الغسل وهو من يوحنا

والريش يكون منتصب يتزع

ثيابه ويتزر منشف في

وسطه ويصب الماء للغسل

ويبدأ بغسل أرجل تلاميذه

ويشفها بالمئزر الذي ائتزر به

ويكونوا اثنا عشر غير: ويبدوا

من الباب إلى الأقلوم إلى

الأكليريشيا رشي فان هكذا

يجب من الأصاغر إلى الأكابر:

ويكون الريس منتصب يعمل

كلما يحويه هذا الفصل حرف حرف

وكلما ... جد دم إلى الهيئة

الرسم الأول

الرسم الثالث

الرسم الثاني

الرسم الثاني

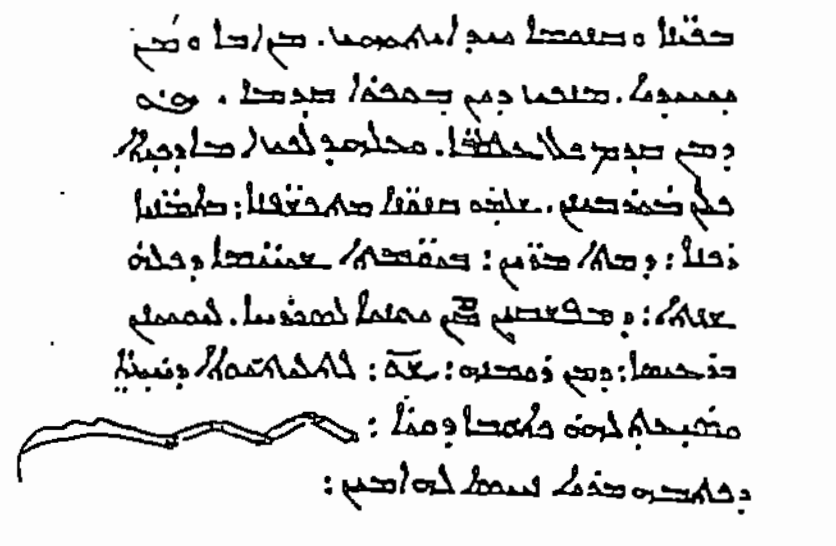

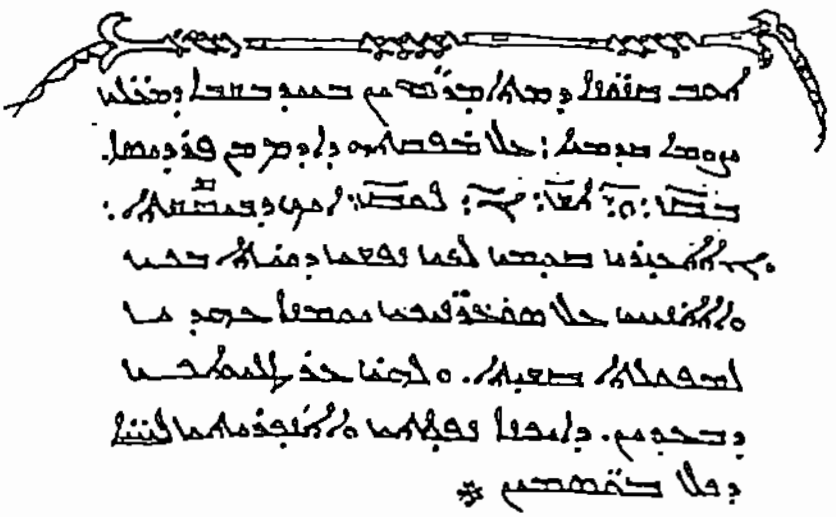

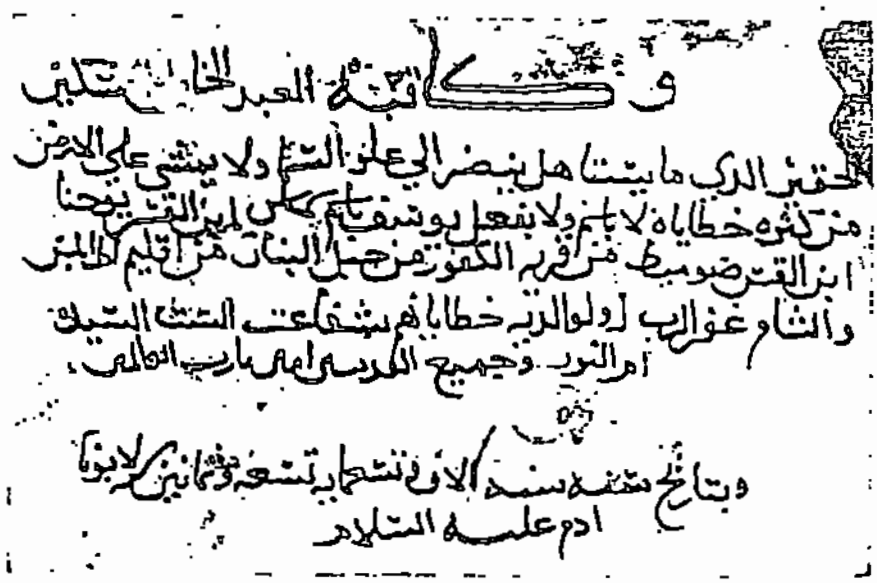

٥ً الاشحيم

الاشحيم ܐܫܒܚܐ او ܐܫܒܚܬܐ ، اعني الاعتيادي ، عنوانٌ لكتاب الفرض اليومي عند الملل السريانية الثلاث اي المارونية ، والكلدانية ، والسريانية . وقد عرفه السريان الملكيون ايضاً بهذا العنوان نفسه ، قبل ان يطلقوا عليه في العصور الاخيرة كتاب« السواعية ».ومن الاشحيم الملكي نسخٌ في خزائن عواصم اوربة.منها نسخة في لندن رقمها ٤١٨ وتاريخها في السنة ١٥٢٤ — ١٢١٣ م. وقد طالعنا نحن من هذا الصنف نسخة جليلة ثمينة كاملة تخصّ القيكنت فيليب دي طرّازي الفاضل . وهي من فاتحتها الى خاتمتها لا تحوي لفظةً واحدةً يونانية او عربية قطعاً . وهذا عنوانها معرَّباً: « بقوّة ربّنا يسوع المسيح نبتدئ نسخ كتاب القوانين التي تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها حسب طقس الروم »[1].

فهذا الاشحيم السرياني الملكي الضخم تضمّن الصلوات اليومية لثانية اسابيع منظّمة وفقاً للثماني النغمات . خُصص يوم الاثنين بالتوبة والملائكة ، والثلاثا. بيوحنا المعمدان ، والاربعا. بوالدة الله ، والخميس بالرسل ، والجمعة بالصليب والشهدا. ، والسبت بالشهدا. والموتى الخ . وأثبت ناقلها عن اليونانية الى السريانية اسمه في آخر الكتاب هكذا معرَّباً:« انتهت القوانين الابتهالية بثماني نغمات . تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها . نقلها من اليوناني الى السرياني يوحنا بن عيسى من رومنة »[2].

---

١) ܟܬ ܣܠܡ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ ܡܢܝܢ ܠܡܚܒܒ ܚܒܝܒ ܩܢܝܢ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ ܡܢܝܢ ܩܢܝܢ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ (انظر الرسم ٤)

٢) ܐܬܡ ܩܢܝܢ ܡܢ ܚܒܝܒ ܚܒܝܒ ܐܝܢ : ܡܢ ܚܒܝܒ ܩܢ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ : ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܩܕ ܡܫܝܚܐ (انظر الرسم ٥) . وقد اثبت ايضاً مخطوط الواتيكان ٧٤ اسم القس يوحنا بن عيسى من مدينة رومنة .وقس عليه مخطوط برلين ٢١٠ ، لكننا لا ندري متى عاش هذا الناقل الجليل . اما رومنة فقد ورد ذكرها في

واخيرًا ورد في هذا الاشحيم عينه بالعربية ما نصه:-

« وكاتبه العبد الخاطئ المسكين الحقير الذي ما يستاهل ينظر الى علو السماء ولا يمشي على الارض من كثرة خطاياه لا باسم ولا بفعل يوسف باسم شماس ابن القس يوحنا ابن القس ضويط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم اطرابلس والشام . غفر الرب له ولوالديه خطاياهم بشفاعة الست السيدة ام النور وجميع القديسين امين يا رب العالمين . بتاريخ سنة ستة الاف وثمانية تسعة وثمانين لابونا آدم عليه السلام » (١٤٨١ م) (انظر الرسم ٦).

٦ الكلندار

انشأت البطريركية الانطاكية كلندارًا للاعياد والتذكارات والاصوام الزمت التقيُّد بها في جميع ابرشياتها . واول كلندار سرياني عرفناه يرتقي عهد نسخه الى السنة (٧٢٣—١١٢٣م)[1] ، وقد تمشى السريان قاطبةً بموجبه حتى القرن الحادي عشر . وهو يبدأ ، طبقًا للوضع القديم ، منذ اول تشرين الاول افتتاح السنة السريانية، لا منذ ايلول كما جرى عليه السريان الملكيون مجاراةً لليونان. قال البحّاثة كرلفسكي (صفحة ٦٩١) : « كان بدء السنة عند السريان الملكيين في تشرين الاول». ونشر المشرق في سنته الخامسة(١٩٠٢) : « كلندار الكنيسة الانطاكية في القرن الحادي عشر » ، تأليف ابي ريحان محمد بن احمد البيروني († ١٠٤٩) ، افتتحه باول تشرين الاول وختمه في ايلول بقوله : « في اول ايلول عيد اكليل السنة وفيه يصلّون ويدعون بختم السنة وافتتاح الاخرى الجديدة لان اختتام السنة يكون بهذا الشهر ».

واشتمل الكلندار السرياني الملكي على تذكارات شهداء وملافنة وابرار اشتهروا في الكنيسة السريانية خصوصًا. منها في ٧ تشرين الاول ذكر سرجيس وباخس المستشهدَين في الرصافة. وفي ٢٩ منه ابرهيم القيدوني الناسك († ٣٦٦). وفي ١٥ تشرين الثاني شمونا وغوريا وحبيب[2] († ٢٩٧) شهداء الرها. وفي ٢٧

مخطوط لندن ٤٠٨ المنسوخ عام ١٢٨٤ م ، صفحة ٢٣٠ هكذا: « كتبه جراسمه ابن سمان من قرية الرمانة من عمل الزبداني من اقليم دمشق » . ونبه القارئ ان السريان المونوفيزيتيين كان لهم في رومة اسقف ودير (ميخائيل الكبير ٢٦٨ عدد ٤٤و٥٠)

١) مخطوط لندن ١٢١٥٠

٢) قرأنا في كلندار الكنيسة الملكية الحديث وفي الكلندار الملحق بكتاب الانجيل، طبع الآباء اليسوعيين، اسم « افنيوس » بدلًا من « حبيب» وهو تحريف ينبغي اصلاحه .

منه يعقوب المقطّع († ٤٢١) الفارسي . وفي ٤ كانون الثاني ذكر جامع التسبعين رسولاً[1] . وفي ٢٨ كانون الثاني ، او في ١ شباط ، افريم المعلم ومار يعقوب . وفي ٤ اذار و٢٩ ايار عيد مار اسحق[2] ، وفي ٧ او ٩ آب ربولا الاسقف . وفي ٢٦ منه سابا الراهب الشيخ المرم[3] الخ .

وانطوى كلندار السريان الملكيين على تذكارات مختصة بهم فقط . منها تذكارات الانبيـاء واحداً فواحداً ومجملاً . ومنها في ٩ تموز تدشين كنيسة الفتيان الثلاثة حنانيا وعزريا وميشائل ، وتذكار والدة الله وردت فيه هـذه التعريفة :

« في هذا اليوم ظهرت والدة الله عند ينبوع الماء في دفنا (بانطاكية) . ظهرت هناك للرسل بطرس وبولس لما حُملوا في سحابة من صهيون ام الكنائس وطُرحوا هناك عنـد ينبوع الماء بكورة انطاكية سوريا مدينة الله »[4] .

ومنها في ١٦ آب تذكار نقل صورة ربنا والهنا يسوع المسيح الغير المصنوعة بيد من مدينة الرها[5] . ومنها تذكار الذخائر المقدسة في الاحد الثاني من الصوم ، بدلاً من غريغور بالاماس . وتذكار زيارة العذراء يوم الجمعة التابع للفصح ، بدلاً من الفرض المزوَّر المعروف بفرض « العين الحيَّة »[6] .

تتمة

بقي ان نقول كلمة عما تفرَّد به السريان الملكيون ، دون سائر السريان ، من التعابير والاصطلاحات اللغوية والصرفية . من ذلك قولهم : « على الارز

---

١) لاحظ ان الملكيين يقرّرون ان تلاميـذ الرب هم سبعون وفقاً للنسخة البسيطة ، كما اشرنا .

٢) مخطوط الواتيكان ٢١

٣) هو يوليان سابا صاحب دير القريتين (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠ [١٩٠٧] ١١٥)

٤) مجلة الآثار الشرقية ٣ : ٢٥٨

٥) راجع ما كتبناه عن ثيودوسيوس الثاني بطريرك انطاكية (٩٣٦ — ٩٤٣) .

٦) كرلفسكي ٦٩٢

والشربين والصنوبر ارتفع المسيح رب الكل» .[1] وقولهم : « فلنقرّب نحن المؤمنين ايماننا كالارز ومحبتنا كالشربين ورجاءنا كالصنوبر البهي .»[2] ومنها اعتقادهم الصحيح « بان عمنوئيل الواحد هو ذو أُقنوم واحد وذو طبيعتين وارادتين وفعلين حقًا وان والدته هي والدة الله .»[3] ومنها هجومهم نسطور بقولهم : « فلتُغمَّ عينا نسطور وليُلطم وجهه لانه ابى ان يفهم ويعتقد بكونكِ والدة الله »[4] الخ.

وامتاز الملكيون في الاصول الصرفية بصيغة افعال واثبات اسماء ونقاط لا اثر لها في سائر الكتابات السريانية . نذكر منها : ܦܠܛܘܣ . ܗܘܒ . ܚܘܠ . ܠܚܘܡ . بدلًا من ܦܠܛܣ . ܗܒ . ܐܚܘܠ . ܠܚܡ . ومنها زيادة يوذ في المتكلم الماضي والمضارع الغائب وفي بعض الفاظ نحو ܗܝܡܢܝܬ آمنت . و ܢܩܐܘܡ يقوم الخ وܢܫܝܐ نساء . و ܠܫܢܝܐ ألسنة الخ . ومنها اضافة نقطتي الجمع الى الافعال والضمائر نحو ܡܠܝܠܘ . ܢܡܠܠܘܢ . ܗܘܝܢ . ܐܢܝܢ الخ . ومنها وضع الف في بعض الكلمات طبقًا للنصوص القديمة نحو ܐܘܪܚܠܬܐ . ܐܠܗܘܬܐ . ܐܝܚܝܕܝܬܐ الخ . ومنها تبديل حرف بحرف نحو ܡܪܟܒܬܐ ܒܪܘܦܬܐ بدلًا من ܡܪܟܒܬܐ ܒܪܘܟܬܐ . و ܡܘܪܩ او ܡܢܪܩ .

١) ܒܠ ܐܪܙܐ ܘܫܪܒܝܢܐ ܘܒܪܘܬܐ ܐܬܬܠܝ ܡܫܝܚܐ ܡܪܐ ܟܠ (النسخة الطرازية ١٠٣)

٢) ܒܗܝܡܢܘܬ ܐܪܙܐ ܠܫܘܒܚܐ ܬܘܒ ܢܩܪܘܒ ܡܗܝܡܢܐ . ܘܠܚܘܒ ܐܝܟ ܫܪܒܝܢܐ . ܘܐܝܟ ܒܪܘܬܐ ܫܘܦܪܬܐ ܠܣܒܪܐ ܕܝܠܢ (النسخة الطرازية ٢٦١)

٣) ܐܝܟ ܕ ܡܬܕܪܫ ܠܝ ܒܗ ܦܪܨܘܦܐ ܗܘ ܚܕ ܗܘ ܐܝܬ ، ܐܠܗܐ ܒܦܘܫܐ ܗܘ ܒܟܝܢܘܗܝ . ܘܒܗ ܡܬܝܕܥܝܢ ܬܪܬܝܢ ܟܝܢܘܬܐ ܬܪܬܝܢ ܨܒܝܢܐ . ܘܡܠܘܕܬܐ ܕܝܠܗ : ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐ (فيا ١٧٦)

٤) ܢܬܒܥ ܥܝܢܘܗܝ ܘܢܬܛܪܦ ܐܦܘܗܝ ܕܗܘ ܢܣܛܘܪ ܕܠܐ ܨܒܐ ܕܢܬܦܗܡ ܢܘܕܐ ܕܐܢܬܝ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ (فيا ٢٢١) .

و ܟܬܒ بدلا من ܟܬܒ ܡܠܟ . ٥ ܡܠܟ ܡܠܟ ܡܠܟ بدلا من ܡܠܟ ܡܠܟ ܡܠܟ الخ .

على ان السريان الملكيين ، لما اخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، ينقلون الى العربية كتبهم الطقسية أبقوا فيها الفاظا سريانية بحتة ، تخليدا للتقاليد الابوية . فكتبوا : باعوث ، باكية ، برشان ، رشم ، زيح ، زياح ، رومار ، سبّة اي اسبوع ، ستار اي صلاة الغروب ، شماس ، اصباح ، صابوت ، طوباني ، طوبانية ، طوباهم الذين بلا عيب ، طوباهم الذين يفحصون ، طوباكم ، عربون او رعبون ، عنّد ، معمذان ، معمودية ، فتغام اي آية من الكتاب ، قدّس ، قداس ، قدّاسات ، قسيس ، كاهن ، كهنوت ، كز ، كزازة ، كارز ، كاروز ، مار ، ماري ، مرتريم ، ميمر ، نيّح ، تنيّح ، نياحة ، نياح ، متنيّح ، هلال[1] . هذا كله ، ما عدا ما سبقنا فسردناه من الافعال والالفاظ السريانية التي نقلها العرب عن اساتذتهم السريان ، واصطلحوا عليها في كتاباتهم .

***

فهذه هي اللغة السريانية الجليلة التي استعملها السريان الملكيون قرونا عديدة في منازلهم ومجتمعاتهم وكنائسهم . واصطلحت عليها من قبلهم دول ذات صولة وعزّة وبسطة . وقدّسها السيد المسيح بتكلّمه بها ، هو وأمه المغبوطة . وشرّفها الرسل بكرازتهم وباول طقس اقاموه في الكنيسة المسيحية في اورشليم اولا ، ثم في انطاكية وسائر بلاد المشرق . وزيّنها فحول الكتبة بجوائد تآليفهم ، وصيّروها مطلع اشعة الحضارة ومبعث الآداب الصحيحة . أفيسوغ اذا ان يُزدرى بلغة هكذا شريفة جميلة ، ويشوّه في العيون جبينها الوضّاح ، او يُقبّح حديثها في الاسماع حتى يُدّعى بكونها لغة قروية او همجية او بربرية كما زعم بعض المتطرفين ؟

اننا على يقين من أن الأمة الرومية الملكية النبيلة تقدر لنا هذه الخدمة التي أدّيناها لها بكل اخلاص وامانة . بل نعتقد ان بحثنا هذا التاريخي والطقسي

١) نقلنا اغلب هذه الالفاظ عن كتاب « السواعية » المطبوع في الشوير .

يلاقي لدى اساطينها ومفكريها وعلمائها الافاضل ما يستحقه من الرضا والاستحسان لاننا لم نتحرَّ في كل ما سردناه الّا اثبات حقيقة تاريخية لا يستطيع من لـه إلمام باخبار الشرق والشرقيين الى انكارها سبيلًا . فضلًا عن اننا نقلنا ما نقلناه عن اصدق الصحف ، واوثق المصادر ، وحوَّطناه بحجج صادعة لا تحتمل تخريجاً ولا تقبل تأويلًا.

بعد هذا كله لا يسعنا الّا الثناء على ما افرغه البحّاثة المدقق الاب شارون كرلتسكي من الهمم والجهود في الدرس والتنقيب عن اصل السريان الملكيين، وعن لغتهم وطقسهم ، وعن بطاركتهم واساقفتهم وابرشياتهم ، مما نشره على صفحات «المشرق» ، او سجله في المعاجم الشهيرة. كما اننا نُـدي حميم الشكر لحضرة العلّامة الجليل السيد حبيب زيّات الذي كتب الشيء الكثير عن طائفته السريانية الملكية الكريمة ، وعن مكاتبها ، وأدبائها ، وعلومها . وقد كان حضرته ، اعزّه الله ، اول دافع لنا للخوض في هذا الدرس الشين . والسلام .

الاحابيش
والنظام العسكري في مكة
زمن الهجرة

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

لقد حاولنا ، في القسم الاول من هذا البحث[1] ، ان نزيل شيئاً من الغموض العالق « بالاحابيش » لفظاً وحقيقةً . فتحققنا وجود اولئك العاكر السود في الجيش القُرشي ، واشرنا الى ان التاريخ الرسمي أبعد من ان يُقرّ به. انما هو يجعل من « الاحابيش » عرباً تحالفوا مع قريش . ويأتي اللغويون لنجدة المؤرخين فيحوّلون اسم « الاحابيش »[2] ، عن بلاد الحبش ، الى جبل في جزيرة العرب ينسبون اليه اولئك الاحلاف فيقول عنهم ابن دريد : « حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسُمّوا الاحابيش »[3] . وانتهينا الى اضطراب اللغويين في وضع جبلهم المزعوم من بلاد العرب . وذلك انهم في تحقيقاتهم الحاذقة اللبقة لا يتنبهون للجغرافية . بل قد يخطئون في تعيين ، لا موضع ذاك المحلّ فقط ، بل طبيعته ايضاً حتى ليجوز لنا ان نسأل أهو جبلٌ ام وادٍ ؟[4] انما يكتفي جمهورهم بوضعه في منطقة مكّة ، او في بلاد تهامة . ولا يخفى ما في هذا التعيين المتقلقل من مثيرات الشكّ . وهو ما لاحظناه غير مرّة في مؤلفي « المعاجم » من انصرافهم عن الاخذ بطريقة الاختبار والتحقّق الشخصي في الشؤون الجغرافية ، هذا على ما في معاجمهم من غزارة مادّة ، وسعة معلومات.

---

١) في « مشرق » السنة الحالية ، ص ١–٢٣

٢) ابن دريد : الاشتقاق ١١٩ ؛ ابن هشام : السيرة ٢ : ٨٠

٣) يذكر ابن هشام (السيرة ٢٤٦) وادي الاحباش . فهل يمهّد السبيل في ذلك الى التقريب بينه وبين الاحابيش ؟

وليس من شكّ في ان هذا الضعف النقدي ، بل هذا النوع من مظاهر الكسل العقلي ، يحطّ كثيرًا من قيمة تلك المجاميع . وهذا ياقوت يقترح ، في سرعته المعهودة ، بان يجعل الموضع المقصود في وادي نعمان الاخضر[1] ، نعمان الاراك[2] ، المشرف على المناسك في عرفة ومنى . وما دامت المسألة مسألة اقتراح وفرضيات فلِمَ لا يكون لنا جبال بدل جبل واحد ؟ أوَ لم يمل الازرقي الى التمييز بين حُبْشي ، جبل التحالف ، وحَبْشي وهو جبل آخر لا شأن له ، مؤكدًا ان الاسم المذكور « لم يُنسب الى رجل حبشي »[3] .

وهو معلوم ان الكهّان والعرّافين كانوا ، زمن الجاهلية ، يجنحون الى المرتفعات[4] فينصرفون فيها الى القيام بشعائر مهنتهم الخاصة . فكان لهم حول مكة كثير من تلك القمم تعلوها اماكن العبادة[5] . فلا عجب اذًا بان يكون المفسّرون من الاختصاصيين بشرح « الغريب »[6] قد لجأوا اليها مفتّشين عن اسم يمكنهم ان يقرّبوا بينه وبين « الاحابيش » . ومن يفتّش يجد في تلك الكثرة من اسماء الاعلام الوافرة في مناطق الصحراء . واذًا فقد اكتشف العلماء هذا الاسم محرّفًا بعض الشيء في الآليّات ، او الأيمان القديمة ، التي كان يكثر منها العرب في جميع عصورهم ؛ وكأنهم لا يقنعون بالتعبير البسيط عن افكارهم ، فينفرون عن الاكتفاء بالقول : « نعم ، نعم ، ولا ، لا »[7] ، مسيّرين بطبيعتهم المندفعة واهوائهم المضطربة حركةً وحياةً الى

---

١) اطلب كتابنا *Le Berceau de l'Islam*, I, 69

٢) ياقوت (الطبعة المصرية) ٣ : ٢١١

٣) الازرقي (Wüstenfeld) ٧١ ، ٤٩١

٤) اسد الغابة ٥ : ٧ ؛ السيرة الحلبية ١ : ٢١٢

٥) راجع لائحة تلك المرتفعات الكثيرة في الاربعين الصفحة الاخيرة من مؤلف الازرقي (Wüstenfeld)

٦) وهو تلك الالفاظ القديمة ، والتعابير الغريبة الاستعمال ، الحافلة بها الاحاديث المنسوبة الى النبي . ولا يخفى ان اكثرها مدسوس ، ادخله الواضعون ليوهموا الناس قدم تلك الاحاديث وصحة نسبتها . ولا يزال يغترّ بهذه المظاهر عدد كبير من علماء الاسلاميات ممن ينقصهم التضلّع او يعيب بهم التسرّع والعجلة .

٧) متى ٥ : ٣٧

تأييد كلامهم باليمين ، بل بسلسلة من الأيمان يُرسلونها فطرةً في احاديثهم البسيطة ، وفي اقوالهم الرفيعة ، في قصائد شعرائهم وفي اسجاع كهّانهم خاصة. بل ان بعض السور القرآنية لا تعرف من انواع الخطابة الا القسم[1]. ولقد كان من الطبيعي ان تكثر في هذه الأيمان اسماء المرتفعات التي يأوي اليها الكهّان وحجارتهم المؤلهة ، فيستشهد بها البدوي على صحة قوله[2] فيحلف انه مُقيم على العهد « ما أقام حُبْشي »[3] مثلاً ، او « ما رسا حُبشي »[4] ، او حَبْشي . اما في الأيمان القرشية فكثيراً ما استبدل بحبشي جبل ثور ، او ثبير ، او حِراء[5] ، او ابو قُبيس ، وكلها مرتفعات اقرب الى المجتمع المكّي[6] ، وابعد شهرة بفضل مناسك الحج السنوي.

ولم يكن اللغويون ليطلبوا اكثر من هذه الاكتشافات ، فعلقوا بها ووضعوا قرب حَبْشي بمكان ذاك التحالف العسكري . بيد انهم ، لسوء الحظ ، لم يتفقوا على لفظ الاسم ، هل هو حَبَشي ، أم حُبْشي ، ام احباش ، ام حَبيش ؟ كل هذا يتم عن استقائهم المعلومات من الكتب ، مُعرضين عن طريقة التحقّق الشخصي. وقد مال البكري الى تفضيل لفظ « حَبيش » ، وهو اقلها ورودًا ، ذاكرًا أن « اهل الحديث » يميلون الى حُبْشي . وهذا قوله : « وحبيش جبلٌ بمكة ، وبه سُمّيت الاحابيش حلفاء قُريش ، لانهم تحالفوا تحته ألّا ينقضوا ما أقام حبيش . واهل الحديث يقولون حُبْشي ، بضمّ اوله منسوب على مثال فُعلي ، موضعٌ على عشرة اميال من مكة ، به مات عبد الرحمن بن ابي بكر

١) قابل بقا في القرآن ١٩ : ٦٩

٢) الجاحظ : الحيوان ٤ : ١٥٠ ؛ اسد الغابة ٥ : ٧ ؛ ابن هشام ١٣٢ ؛ ابن الاثير : النهاية ٢ : ٣٧٣ ، ٣ : ٤٥ ، ٤ : ٥٩ ؛ الهمداني : جزيرة العرب ١٢٦ ؛ البكري : المعجم ٦٠٢

٣) البكري : المعجم ٢٦٣–٢٦٤ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٣٠٢

٤) ياقوت : المعجم (الطبعة المصرية) ٣ : ٢١١ ، وهو يكتب ايضاً : حَبيش.

٥) الاغاني ١٣ : ٣٩ ، ٨٥. ويتنزل هذا الجبل في كتب « الصحيح » منزلة جبل الطور او طابور في الانجيل. اسد الغابة ٣ : ٢٧٨ ، ٤ : ٦٣

٦) لقد جرسنا تأثير هذه المرتفعات في كتابنا : *Les sanctuaires préislamites dans l'Arabie occidentale*, p. 21

فجأةً[1]. وصحته ، والله أعلم ، حَبيش »[2].

أوَ لا يجوز لنا ، وقد رأينا هذا الاضطراب والغموض والجمجمة ، ان نقول ان اللغويين والمفسّرين جهلوا ، او تجاهلوا ، الاصل اللغوي الحقيقي للفظة « الاحابيش » ؟ فعلقوا بهذه الشروح الضعيفة ، مكتفين بما يبعد عن « أحابيشهم » كل علاقة بالسودان الآتين من بلاد الحبش ، باولئك الذين كانوا يسمّونهم « عبدان اهل مكة » او « سودان مكة »[3] . ولقد كان من همّ العاطفة الوطنية المحلية ان تصل الى هذه النتيجة ، بل الى هذا الغموض والخلط .

ثم ان المذهب المكي ، في عمله الدائب على سدّ الثلم الواهية في مصادر تاريخه الوطني ، لا يأنف ان يلتجئ احياناً الى شعر حسّان بن ثابت ، على الرغم من نزعة حسّان المدنية ، وهجائه اللاذع المقذع في القرشيين[4]. ولم يتنبه ارباب هذا المذهب ، مؤرخين كانوا او مفسّرين ، لما يجرّه عليهم الاستشهاد بشعر حسّان ، او انهم لم يفقهوا كلّ الفقه هذا الشعر القديم ، لكثرة ما تكاثف عليه من الغموض ، ولم يمرّ على نظمه قرنٌ كامل . وهكذا ، على الرغم مما اتصف به مؤلفو « السيرة » من حسّ لغويّ دقيق ، تراهم لا يميزون بسهولة بين المقطع الهجائي والقصيدة التاريخية . هي هفوة وقع فيها ابن هشام ، مَن عرفناه عالماً بالشعر القديم ، مدقّقاً في قبول صحة نسبته[5].

ولا يخفى ان ديوان حسّان سجلّ شامل ، بل شاهد حيّ ، لمظاهر تحقد الانصار على المهاجرين ، اولئك القرشيين الذين احتلّوا مدينتهم ، فضيّقوا عليهم .

---

١) وفي الاغاني اشارة الى هذه الحادثة ١٤ : ٧٠ ؛ ١٦ : ٩٦ ؛ ويقال ان قبر عبد الرحمن المذكور كان معروفاً هناك . اما الازرقي ، ٤٢٣ ، فيقول : « مات بالحبشي فلم يُحمل الى مكة » . وقوله حجة في تاريخ المنطقة المكيّة . ولم يزد من اتى بعده على ان تقلوه . قابل بما في اسد الغابة ٣ : ٢٠٦

٢) البكري : المعجم ٢٦٣–٢٦٤

٣) اسد الغابة ٥ : ٨٣ في الكلام عن وَحْشي .

٤) ابن هشام : السيرة ٥٧٢ ، ولتقابل بما في الصفحة ٥٢٢

٥) من ذلك اهتمامه بالتدقيق في صحة الشواهد في الصفحات ٤٢٧، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩ ، ٤٢١، ٤٦٣، ٤٦٣ . . .

وفي هذا الديوان مقطع ، هو الحادي والستون من طبعة هيرشفلد[1] ، يلتمح الى بعض الحوادث الحربية في حياة النبي ، واذا فهو يهمنا في الموضوع الحاضر . بيد ان ابا زيد الانصاري[2] ينفي ان تكون القصيدة لحسان ، فينسبها الى كعب بن مالك ، وهو من شعراء المدينة ايضاً . ولا يستغرب المطالع هذا التردد في نسبة الشعر ، فهو طبيعي يستند الى المبررات العديدة من اضطراب التقليد الشعري وضعف الثقة ببعض الرواة ، ولاسيما في ما خص شعر حسان ، وقد كثر فيه المنحول . ومهما يكن من أمر ، فان المقطع قديم ، مدني الاصل . وهو « نقيضة » يرد بها الشاعر على احد شعراء مكة ، هُبيرة بن ابي وهب ، « فينقض » قوله . ولنحذر أن نغتر كثيراً بآثار شعراء قريش قبل الفتح[3] . انا نحن نقبلها بتحفظ ، مشيرين الى ما يهمنا من هذه القصيدة المنسوبة الى هُبيرة بن ابي وهب ، والمؤلفة من تعابير متنوعة المصادر[4] . وهو هذا البيت :

سُقنا كتائبَ من أطراف ذي يمنٍ عُرض البلاد على من كان يُزجيها (٥

ولا يخفى ان النبرة الفخرية كافية وحدها لتعيين زمن انشاء القصيدة . فهي تنقلنا الى عهد تسلط الخلافة القرشية واستبدادها . اما قبل ذلك ، زمن صدر الاسلام ، وهو الزمن المزعوم لانشاء القصيدة ، فلم يكن بين معاصري ابي سفيان من يغتر هذا الغرور بسيادة المكيين على جيرانهم من أبناء البدو . بيد ان صفات العلو هذه هي التي دفعت جُمّاع حوادث السيرة الى الاخذ بالقصيدة وادخالها في مجموعتهم . وهاك الآن جواب حسان ، او كعب ، في النقيضة[6] ، ويهمنا

---

١) في مجموعة « *Gibb Memorial Fund* » ، وهذه الطبعة ضيقة النقد تظهر بحاجة الى مزيد تدقيق .

٢) ابن هشام : السيرة ٦١٢ . كان جدّ ابي زيد ، صاحب الغريب او صاحب النحو ، من الصحابة (اسد الغابة ٥ : ٣٠٢) ؛ فكان لا بدّ ان يعرف ابو زيد هذا تاريخ الانصار الادبي .

٣) قابل ، في ما خصّ مراثي قتلى بدر ، بملاحظة ابن هشام النقدية في السيرة ٥٢٤ ، ثم ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ .

٤) قابل بالنقائض ابن الاثير : النهاية ٣ : ٥٣ ، ٤ : ٩٣

٥) ابن هشام : السيرة ٦١٢ ؛ وكانوا يتخذون العسكر من الازد احياناً ، وهم يمنيون ؛ راجع اسد الغابة ٣ : ٢٢٨

٦) ديوان حسان ٦١ : ١-٣

منه بيته الاخير خاصة :

سُقتم كنانة ، جهلاً ، من عداوتكم ، الى الرسول ، فجند الله مُخزيها !
اوردتموها حياضَ الموت ، ضاحيةً ! فالنار موعدها ، والقتل لاقيها .
انتم احابيش جُبِّتم بلا نسبٍ ، أغثة الكفر غرّتكم طوافيها !

وان لفظ « الاحابيش » الوارد في البيت الثالث يظهر غريباً نادراً في الشعر الجاهلي وفي شعر صدر الاسلام نفسه[1] . ولهذا لفت نظر ارباب الحديث منذ اقدم عصورهم .

ومما تجب الاشارة اليه ان كثيراً من العلماء[2] لا يزالون يتصوّرون الحديث الاسلامي ينشأ موازياً تطوّر المذهب القرآني ؛ فيرتكز على سلسلة من الاخبار والحوادث راقية مباشرةً الى النبي ، مستندة ، في حلقات صحيحة متتابعة معدّلة ، الى طائفة من الصحابة حفظت لنا المجاميع الاختصاصية ، كأسد الغابة واصابة ابن حجر ، تراجم حياتهم المتضخمة بالروايات والاساطير ، المتكيّفة بآراء الجامعين بل برغبات وميول القبائل المختلفة ، وكلها حريصة على ان يكون لها من يمثلها بين اعيان الاسلام الاول . على ان هذا التصوّر لا يقوى على النقد . وقد كان لنا ان نعرض له في شيء من التبسُّط[3] ، فنبيّن ما في بناء الاحاديث من وهن وتضعضع وتكلُّف ، وما كان يرمي اليه من غاية هي تفسيرية عقائدية قبل كل شيء ، لا تاريخية ولا جغرافية . وها اننا نرى برهاناً جديداً لرأينا السابق في هذا البحث . ومما لا شكَّ فيه ان غيرة التابعين على تأليف حياة للنبي جعلتهم ينصرفون باهتمام وحماسة الى درس الآداب الجاهلية . فأقبلوا يجمعون تلك الاشلاء المتفرّقة من الآثار القديمة فيؤلفون بينها ويوافقون ، واذا بها تخرج دواوين سوية للشعراء القدماء . واذا بهم يستغلّونها موادّ صالحة

١) فلا يظهر الا في قصيدة لكعب بن مالك (ابن هشام : السيرة ٦١٤) ، وفي قصيدة لشاعر من غفار (السيرة ٨٠٤) ، ان كانت صحيحة النسبة .

٢) وقد يلتم بعضهم باسقاط العهد المكّي ، راجع رأي ولهوسن في *Berceau*, I, Introduction, VII

٣) في ؛ مقالنا *Coran et Tradition : comment fut composée la vie de Mahomet* extrait de *Recherches de science religieuse*, I, 1910

لتأليف سيرة الرسول . وهم ، في استغلالهم هذا ، ما كانوا ليغفلوا تلك المقاطع الشعرية الهجائية المتداولة بين مسلمي الجيل الاول منسوبة الى غير واحد من اولئك الذين كانوا « يناضلون عن رسول الله »[1] ، واشهرهم المثلث المدني : حسّان ، وكعب ، وابن رواحة .

على انهم توقفوا هنيهة في شروحهم واستنتاجاتهم امام لفظة « الاحابيش » الغريبة ، فأخذوا يقابلون ويوافقون ويخرّجون . ونحن نعرف لهم اليوم هذه الجهود باطلاعنا على مجموعات « غريب الحديث » ، فنتحقق كيف توصلوا فرأوا في اللفظة تعبيراً فنياً عسكرياً كانت تستعمله قريش للدلالة على جنودها من كنانة . ولا يخفى ما في هذا الشرح من التزلف الى المكيين بالاشارة الى اقرار سيطرتهم القديمة . اما غاية الهجاء المدني — وسواء أكان حسّان أم كعباً ام ابن رواحة — فتظهر بعيدة عن هذا الشرح والتخريج . لقد اولى اللفظة ، هو وحده ، معناها الحقيقي المتداول في ذلك العصر . فاليه وحده يجب ان نستند في فهم هذا المعنى . يقول في بيته المذكور ، ان ذاك الجيش الذي ألفته قريش ، في محاربة النبي ، يمثل حشداً من السود ، يسيرون بضجتهم وجلبتهم متجمّعين ، دون ترتيب ، فهم اقرب الى « الاحابيش » عبيد افريقية منهم الى الرجال الاحرار ، الى العرب الخلّص الذين يجتمعون لنداء الدم ، بفضل النسب ، فيحتشدون حول الراية مدافعين عن قبيلتهم[2] . ولا يخفى ما هناك من توافق بين هذا القول واللهجة الشاملة في القطعة الهجائية ، وما فيه من تلميح دقيق ينال ، ضمناً ، من تعصّب سادة مكة اعداء النبي واعداء الانصار . والمعروف عن حسّان أنه كان يبالغ في هذا النوع من الهجاء « فيقبل على الانساب »[3] والأعراض ، ولهذا مال اكثر النقاد الى جعله هو صاحب القصيدة المذكورة ، لا كعباً ولا ابن رواحة .

---

١) راجع اسد الغابة ٣ : ١٥٧ ؛ ٤ : ٢٤٨ .

٢) هذا معنى : « جُمّع بلا نسب » . ويرجّح التقليد ان « النسب » خاصة العرب وحدهم ، اما الانباط والاعاجم فيُعرفون بالنسبة الى قريتهم .

٣) اسد الغابة ٤ : ٢٤٨ .

وها ان ابن هشام يفيدنا شيئاً في تأليفه الظاهر الاهتمام بالدقة التاريخية[1] ، فيمهد لنا السبيل لحلّ مقبول . يميّز هذا المؤلف ، بل يدوّن ، على الارجح ، ما رآه في الكتب التي نقل عنها من تمييز بين « احابيش » قريش ، وحلفائها العسكريين ... فيقول « اجتمعت قريش باحابيشها ومَن اطاعها من قبائل كنانة واهل تهامة ... »[2] . ولنحفظ هذا التمييز المهم ، منتقلين الى نصوص تبدو اوضح واوفر دلالة على ما قدّمنا . هي نصوص دونها الواحدي ، والطبري ، والواقدي[3] ، وفي بعضها ذكر جيش « استأجر (صاحبه) الفين من الاحابيش ... سوى مَن اجاب له من العرب »[4] ، وهناك غيرها من النصوص يُميّز فيها بين الاحابيش ومأجورة بني بكر من الغفاريين . ولا يهمنا ، في هذا ، ان يكون كلّ الجتماع والمؤرّخين دقّقوا في الفرق بين الجيشين ، او انهم بالعكس لم ينتبهوا للتمييز ، فخلطوا بين الاحابيش ومأجورة العرب . انما المهم ان يكونوا نقلوا هذا التمييز عن الروايات القديمة ، شأنهم في كل ما يؤلفونه على ذاك الاسلوب التقليدي الاسنادي في تدوين التاريخ القديم . ولقد كان من فضل هذا الاسلوب — على ضعفه ونقصه ودلالتـه على الابتدائيات في فنّ الكتابة — انه سهّل علينا الوصول الى النصوص الاصلية[5] .

ينتج من كل ذلك ، على مـا نرى ، ان مجموعة الوثائق في الموضوع ، المنظّمة في القرن الاول للهجرة ، كانت تشير الى وجود عناصر غير بدوية في

---

١) من مظاهر الاهـتمام بالدقة التاريخية في سيرة ابن هشام جهد المؤلف في تمحيص الشواهد الشعرية ، والاشارة ، وان بطريقة خفية ، الى شكّه في صحة بعضها .

٢) ابن هشام : السيرة ٥٥٦ ؛ قابل بما في ٦٧٥ ؛ الواقدي ١٩٩ ؛ الطبري ١ : ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ؛ الاغاني ١٤ : ١٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٤٧ « احابيشهم ومن تبعهم من العرب » ؛ السمهودي : الوفاء ١ : ٢١٤ .

٣) راجع الحاشية السابقة وانظر ابن الاثير : الكامل (الطبعة المصرية) ١ : ٢٤٧ : كنانة جميعها والاحابيش .

٤) الواحدي : الانساب ١٧٧ ، قابل بما في الطبري ١ : ١٦٣٥

٥) وذلك على خلاف طريقة ابن خلدون التي يرمي فيها الى الجمع بين « الروايات » المختلفة والتوفيق بينها ، ليجعل منها كلها رواية واحدة متناسبة الاقسام .

قوّات مكة العسكرية. وهكذا كانت وحدات « الاحابيش » تتألف ، دون شك ، من جنود سود . على ان هؤلاء الاحباش كانوا يختلطون بالبدو ، بعدد من المقاتلة عربيي الاصل ، اقل سواداً من ابناء خام . ولقد ذكرنا من هؤلاء ، في بد. مقالنا الاول ، مَن كان العرب يدعونهم بالخلعاء ، والصعاليك ، والفتّاك ، واللصوص ، والشياطين[1] . واكثرهم من بني كنانة لجأوا الى ارض الحرم ، حول مكة ، ولم يكن لهم من عمل الا انتظار اول طالب فيؤجرونه سيوفهم وتباعهم . وليس ببعيد ان يكون من هؤلاء الشذّاذ اولئك المغامرون المُلحقون بكتائب قريش ، والذين يشير اليهم قدماء المؤرخين عندما يذكرون رجال القبيلة « ولفّها »[2] . يأتي بعد ذلك رجال القبائل المجاورة لمكة ، وقد دعاهم وقتياً الى حلفها وحدة الاصل والرغبةُ في السلب. ولقد كان سادة قريش يأخذون من هؤلاء البدو ، احلافٍ ومجاورين ، رجال القيادة والترتيب او رجال الملاك العسكري ، كما نقول اليوم ، فيعهدون اليهم في تنظيم شؤون ذاك الجيش الاسود . فاتّسع ، آذ ذاك ، مدلول لفظة « الاحابيش » حتى أُطلقت على افراد الجيش انفسهم ، وعلى مَن كان يدبّره ويقوده من المؤلفين او الضباط العرب[3] . وهذا على نحو ما نرى في ايامنا من ان لفظة الكتائب السنغالية ، او « العسكرية » (*askari*) تُطلق ، لا على افراد تلك الكتائب الافريقية وحدها ، بل على مَن يديرها ، ويدبّرها ، ويقودها من ضباط الاوربيين . ويجب ألا ننسى ما يدل عليه لفظ « الاحابيش » من كثرة الحامّين المستعبَدين في مكة اذ ذاك . وهو امر توضحه النصوص المشيرة بصراحة الى ان امثال وَحْشي[4] ، وصُوّاب ، وابي رُوَيحة ، كانوا « من سودان مكة » او « من عبدان اهل مكة » .

---

١) راجع « مشرق السنة الحالية » ، ص ١–٣

٢) الواقدي ١ : ٣٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٦ ، ٧٩ ؛ العقد ٢ : ٤٧ ؛ وقابل بما في الاغاني ٩ : ١٧ ؛ ويجب ان نضيف « الضرائط » ، كما في اسد الغابة ٤ : ٢٨٣ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٥ ؛ ابو زيد : النوادر ٥٤ ؛ الجاحظ : كتاب الحيوان ١ : ٢٢ ، ١٧٧

٣) ولهذا رأينا عدداً من البدو المخلّص ، يُدعون « بالاحابيش » .

٤) وهو اسم كثير الانتشار بين « سودان مكة » .

وقد كان لهؤلاء الاحابيش ، في نظامهم المحدَّد ، سيِّد خاص يُدعى « بسيِّد الاحابيش » ، يقوم بالقيادة العليا ، ويكون عربيًّا من تهامة ، منتسباً ، على الغالب ، الى بني كِنانة[1] . الا اذا كان رجال العسكر البيض كلهم من خزاعة ، فيجب اذ ذاك ان يكون « السيِّد » خزاعياً[2] . وهو تقليد كان معروفاً قبل ان تحالف الخزاعيُّون مع محمد[3] . ولا يخفى ان المنافسة بين القبيلتين المشهورتين بتغذية جيش « الاحابيش » برجالهما ، وهما غِفار واسلم ، كانت تبلغ اشدَّها احياناً ، فتضطرّ السلطة الى تعيين « سيِّدَين » للاحابيش من كل قبيلة سيِّد[4] .

ولم يكن مركز السيد المذكور بالهيّن ؛ ولم يكن السيد نفسه بالمتساهل او المتغافل عما يوليه منصبه من سلطة ، وشموخ ، وصراحة في الكلام تتجاوز احياناً الى القحة ، لا يهاب احداً من امثاله البدو ، ولا من القرشيين انفسهم ، وان يكن ابا سفيان . بل تراه لا يتنازل عن زهوه ، ولا يخفي تلك العنجهية العابثة ، النازعة الى الاستقلال بالرأي والانفراد بالعمل ، الماثلة من اشهر خصائص البدو[5] . تفهم ذلك اذا ما عرفنا ان ارباب « البطحاء » من سراة قُريش ، وقد كان لهم وحدهم حقّ عقد المجالس والاندية في « فناء » الكعبة[6] ، دُفعوا الى مشاركة بني غفار هذا الحق ، لما قام به هؤلاء من خدم جليلة اثناء الحروب المتتابعة[7] . هذا ، ويظهر من تاريخ السنوات الستّ الحافلة بالوقائع المطّردة بين

١) ابن هشام : السيرة ٣٤٥ ؛ العقد ٣ : ٤٧

٢) الاغاني ١٩ : ٧٦ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٦

٣) وبعد المحالفة ايضاً ، لان الحلف لم يشمل جميع بطون خزاعة (اسد الغابة ٢ : ١٦) ، بل ان منهم ، كبني المصطلق ، مَن حاربوا النبي فكسرهم شرّ كسرة .

٤) ابن الاثير : الكامل (الطبعة المصرية) ١ : ٢٤٨ . ويذكر الاغاني (١٩ : ٧٩) سيداً للاحابيش قُتل في الحرب .

٥) ابن هشام : السيرة ٥٨٣ ، وقابل بما في ٣٤٥–٣٤٦.

٦) وهو معنى التعبير الجاري : « وقريش في انديتهم » اسد الغابة ٢ : ٢٥٧ ؛ ابن هشام : السيرة ٢٠٢ ؛ ثم اسد الغابة ٤ : ٥٥، ٥٦، ٥٨، ، وقابل بما في كتابنا *La Mecque à la veille de l'Hégire*, p. 87... ; 136

٧) اسد الغابة ٣ : ١٥٠ – ولم يكن لبني خزاعة ، على ما لهم من منازل في مكة ، شيء من هذا الحق في فناء الكعبة . والسبب ان القرشيين ، لو سمحوا لخزاعة بشيء من ذلك ،

النبي واقاربه المكيين ان « سيادة » الاحابيش كانت تنتقل من واحد الى واحد، فلا تطول مدة «السيد » في منصبه. والسبب ان المكيين، على حاجتهم الى معونة اولئك البدو ، لم يكونوا ليغفلوا عما يتصف به سادة القفر من نزوع الى الاستبداد بالسلطة ، وميل الى العبث بالاوامر ، فكانوا لا يدعون السيد منهم مدة طويلة على رأس الجيش خوفاً من سيطرة عسكرية . وهكذا عملوا على اضعاف نفوذ السيد، إلا في ما خصّ قيادة الجيش اثناء الحرب، قيادةً زمنية وقتية. وهو ما تشير اليه النصوص القديمة بقولها: « وكان يومئذٍ سيّد الاحابيش»[1]. ولا يخفى ان هذا التقلقل في المنصب، وهذه المراقبة الغيرى من قبل القرشيين لمن اوضح الادلّة على التقاليد الديموقراطية ، وعلى تنبّه المكيين وحذرهم المتيقّظ[2].

ثم ان هؤلاء التجار الحاذقين كانوا ابعد من ان يغفلوا عما قد يجرّه من خطر ذاك الجيش الاسود المسلّح ، اذا ما تُرك دون رقابة ولا ضبط . وهم لم ينسوا بعد ما اتّصف به جدود احابيشهم، ابناء مملكة أكسوم القوية، من بطش وتنكيل ، عندما اكتسحوا الحجاز ، عام « الفيل » ، فاحتلّوا مكة نفسها . تلك الذكريات ، على غموضها ، كانت جديرةً بان تُثير في اذهان السودان المتقلقلة نزعات قد تكون شديدة الخطر على اهل مكة . ولا يخفى ان مملكة الحبش ، اذ ذاك ، كانت دولة حربية شديدة الوطأة ، لا تزال تتحيّن الفرص للعودة الى التدخل بشؤون جزيرة العرب[3]. هذه الدولة التاريخية القوية، الطموحة غير تلك الدولة الحبشية الوهمية، المتولّدة من تصوّرات جمّاع كتب «الصحيح»،

لتعرّضوا لخطر تقدر مبلغه اذا ما عرفنا ان خزاعة كانت صاحبة السدانة في الكعبة وسائد مكة ، قبل ان يغتصب قُصيّ منها هذا الحقّ . واذًا فهي لا تزال تأسف لفيئته وتحنّ الى ماضيها القريب.

١) ابو سعد : الطبقات ٢ : ٧٠ ؛ الاغاني ١٤ : ٣٠ ، ١٩ : ٧٩ ؛ ابن هشام ٢٤٥ ، ٧٤٢ ؛ العقد ٣ : ٤٧ ؛ وكان من اشهر اولئك السادة « سيّد القارة » ؛ البخاري : الصحيح (طبعة Krehl) ٣ : ٥٩ ؛ والقارة بطن من كنانة مشهور بريشه Wüstenfeld, *Register*, 419 ؛ الطبري ١ : ١٥٣٨ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٠٧ ، ويظهر فيها ان القارة من أسد خزيمة ، قابل بما في ابن هشام ٢٤٥

٢) مسلم : الصحيح ١ : ٤٨٦ ٣) راجع كتابنا *La Mecque...*, p 290

يحكمها نجاشي ميّال للاسلام[1] ، له اخ يأتي المدينة متطوّعاً لخدمة النبي[2] . يفيدنا التاريخ ان رجال الدولة الحبشية كانوا ينازعون المكيين انفسهم ، وفي مدينتهم مكة ، تجارة الهند ، وكان اسطولهم يسيطر على البحر الاحمر . لهذه الاسباب وما يماثلها كان القرشيون شديدي الحذر من رجالهم السود ، فعملوا على ضبطهم بانشاء ذاك النظام العسكري الذي اشرنا اليه . فاحاطوا الاحابيش بعدد من الضباط والقوّاد العرب مسؤولين عن اخلاص رجالهم وطاعتهم . وهو ما قام به اولئك « السادة » من بدو تهامة . ولقد كان من غاية القرشيين ، فوق ضبط الاحابيش ومراقبتهم ، ان هذا النظام يعزّز العاطفة الوطنية في اولئك البدو ، فيدفعهم الى الالتفاف حول قريش ، متناسين احقادهم وثاراتهم .

ولم يختصّ « الاحابيش » بسيدهم المستقلّ فقط . بل كان لهم ، فوق ذلك ، رايتهم الخاصة ، يحاربون وراءها الى جانب القرشيين[3] . وكان لهم ايضاً ميزات متعدّدة مدوّنة كتابةً في معاهدة تنصّ بالتفصيل على كيفية معاونتهم للجيش القرشي ، وعلى مدة خدمتهم العسكرية ، وما يتمتعون به من حصانات وامتيازات ، وما يتناولون من مرتّبات مقرّرة . حتى اذا اراد القرشيون ان يتملّصوا من تنفيذ شيء من هذه الشروط ، هاج الاحابيش فذهب سيدهم ، وانذر رؤساء قريش باحترام شروط الحلف والمعاقدة[4] ، مطالباً لرجاله بحقهم من الحماية والمنعة في ارض مكة[5] . وكان العرب من « الاحابيش » اعلق ببدويتهم من ان يتصاغروا للحضريين من اهل مكة . هم يعاونونهم في الحرب ، ولكنهم لا يرضون بان يعاملهم المكيّون معاملة المأجورين . فوجب على اهل مكة ان

١) ابن هشام ٧١٧

٢) اسد الغابة ٣ : ١٤٤ ، ٥ : ٣٢٣

٣) الواقدي ١٩٩ ، ٢٠١

٤) قائلاً : « حالفناكم وعاقدناكم . . . » الطبري ١ : ١٥٢٩ — يذكر ابن جبير في رحلته (*Travels*², 97,131) ان حرس امراء مكة الخاصّ كان ، في عصره ، مؤلّفاً من السودان . ولم تكد الحالة تتغيّر من ذاك العهد الى يومنا . راجع Burckhardt, *Voyages* I, L. Roches, *Dix ans à travers l'Islam*, 1834-1844, p. 110 ؛ ثم 152, 328, 329

٥) اسد الغابة ٣ : ١١٦

يترضوهم دائماً ، ولاسيما « سادتهم » ، لئلا يثوروا ويُثيروا الجيش معهم ، او لئلا « ينفروا بالاحابيش » ، كما كان يُقال[1] .

٣

كل ما تقدّم من التفاصيل يقودنا بالفكر الى قرطاجة ، الى البندقية ، الى تلك الجمهوريات التجارية التي تشترك مع مكة الجاهلية في الكثير من مظاهرها . ولا يجد الباحث صعوبة في ان يستخرج من النصوص المتعلقة « بالاحابيش » موادّ صالحة لتأليف رواية قرشية لا تبعد في شيء عن سالّمبو « *Salammbô* » فابن جُدعان ، وابو سفيان[2] ، وغير واحد من زملائها « الاشراف » ، سراة « البطحاء »[3] ، يحلّون بسهولة محل ابطال فاوبير من امثال أميلكار ، وهانون ، وغيرهما . وفي تلك البيئة الجاهلية الخليعة ، التي كثيراً ما شكا القرآن من عبثها وفساد اخلاقها ، لا يندر ان يرى الباحث واحدةً من « ذوات النِطاقين »[4] العديدات ، تقوم مقام بطلة الرواية المذكورة[5] . فالمحيطان يتشابهان ببسيطرة الماليين من ارباب التجارة ، واصحاب رؤوس الاموال ، وبحاجتهم جميعاً الى حماية الجنود المأجورين .

١) وهو معنى : « لأنثرنّ بالاحابيش » ، ابن سعد : الطبقات ٤ : ٧٠

٢) قابل بما في الاغاني ١٩ : ٧٥

٣) لا تختصّ لفظة « البطحاء » بالدلالة على « مجرى السيل » ، انما تفيد ايضاً « الحصى » او « الحصباء » . قابل بما في اسد الغابة ٤ : ٤٣ : « فبحث بيده في البطحاء » . نذكر هذا لنبرّر شرح هوبير في رحلته : Ch. Huber, *Voyage dans l'Arabie centrale*, p. 54 (extrait du *Bull. Soc. Géogr.* de Paris, 1884-1885) فنردّ على نقد وجهه اليه قلم التحرير في المجلّة المذكورة . ولا شكّ في ان هوبير ، المتضلّع من اللهجة البدوية ، دوّن الشرح الذي سمعه في ذاك المكان ، فلم يخطىء القصد مستعملاً « الشامل بدل المشمول » كما نرى في تعليق المجلّة . وليقابَل ذلك ايضاً بهذا التعبير في اسد الغابة ٤ : ٧٣ : « اناخ بالأبطح ثم كوّم كوماً من البطحاء » ، وبما في السهودي : الوفاء ١ : ٩٤ ، ٣ : ١٦٤ : ابن الاثير : النهاية ١ : ٨٣ ، ٤ : ٢٣٨ ؛ شيخو : شعراء النصرانية ٧٧١

٤) راجع كتابنا في *Fāṭima...* p. 5

٥) ولنشر ، جذة المناسبة ، الى اولئك الفتيات البدويّات اللواتي كان يُعهد اليهنّ ، في ميدان الحرب ، بحفظ التبّة المقدّسة او بيت الحجر المؤلّه . اطلب بحثنا في *Le culte des bétyles...* dans *L'Arabie occidentale avant l'hégire*, p. 112... 124

ولنترك هذه الذكريات القديمة الغارقة في غموض التاريخ الجاهلي ، منتقلين الى مظهر حديث في الجيوش العصرية لا يخلو من شبه بنظام الاحابيش - هو نظام الفرق الايطالية المعروفة « بالعساكر » « *askaris* » او نظام جيوش المستعمرات. وفيها تتألف الجنود من السودان، وضبّاط الجيش من البيضان، كما كان في جيش الأحابيش ، ان جاز لنا ان نطلق لفظة البيضان على بدو الحجاز السُمر الالوان. وقد اشرنا الى ان جميع الضبّاط والقوّاد والموظفين في ذاك الجيش الافريقي ، من المدعوّين بالسادة ، والرؤساء ، والعرفاء ، كانوا كلهم من العرب ولهم وحدهم الحق « بالأنفال » او اسلاب العدو[1]. وقد كان من الطبيعي ان تفتكر قريش لتعيين هؤلاء الضبّاط بمن كان يلجأ الى حرمها من الخلعاء والمتشرّدين كالبرّاد ، وابي الطحان ، وحاجز ، والحرث بن ظالم ، فتسلّحهم[2] وتعيّنهم على رأس أحابيشها . ولما كانت « الحرب خدعة »[3] ، ولما كانوا اشهر ما يشتهرون به من الصفات الخداع والجرأة ، كان لا بدّ ان يتكل عليهم رجال الملأ ، او مجلس القبيلة الاعلى ، فيتنادون من انحاء الجزيرة ، ويؤجرون الملأ سيوفهم ، متضجّرين من اقامتهم بالسكينة والراحة في ارض الحَرَم[4] . ولم تكن مكّة لتجهل قيمة مساعديها هؤلاء ، فلا تبخسهم حقّهم ، بل تعاملهم معاملة الضيف الكريم والجار العزيز ، وان اساء الجوار[5] ، فتغضّ النظر عن المساوئ وتنعم عليهم بلقب « حلفاء قريش » ، وهو لقب يجرّ منافع ماديّة ، وواجبات حربية[6] . وكان من فضل هذا التدبير أن يشغل هؤلاء الشذّاذ فيصرف الى طريقة نافعة

١) وقد يعد السادة عبيدهم بالإعتاق ، اذا ما انتصروا ، كما جرى لوحشي في أُحد . وهو ما كان يُجرى عليه في جيوش النبي ايضاً . اما الفائتة من الأحرار فكان لهم الحقّ بسهمهم في الاسلاب .

٢) الاغاني ١٠ : ٢٨

٣) راجع *Berceau*, I, 248 ، وكثير من هؤلاء الحلفاء كانوا يسمّون الجواد في ركضه، اسد الغابة ٥ : ١٧٨ ؛ *Berceau*, I, 248 وتراجم اللصوص تتوسّع معجبة بهذه الحيل

٤) كابي الطحان ، راجع *Berceau*, I, 172

٥) قابل بما في الاغاني ١٩ : ٧٥ عن موقف البرّاد في مكة ، وكيف جرّ القبيلة ، بافعاله وتمرداته ، الى حرب الفجار .

٦) راجع ابن سعد : الطبقات ٣ . وكان حلفاء الانصار المديدون من اليهود يشتركون في «مشاهد» النبي ، ولنكتفِ بالاشارة الى حلفاء بَلِي، اسد الغابة ٣ : ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٨ ،

ميلهم الفطري للغزو[1] .

ثم ان مكة كانت تستلحق غفارًا ، وخزاعة ، وغيرهما من القبائل البدوية البطّاشة بما تدفعه لسادتها من مال ، فتستخدمهم جميعاً في المحافظة على مصالحها الخاصة . قد لا يكون في هذه التدابير مظاهر جليّة للشجاعة القرشية ، ولا دلائل على جرأة اولئك الرأسماليين ، ولكنها تُشير الى ما اتصفت به قريش من دهاء وحذق ومرونة في السياسة والادارة ، حتى اصبح من نوع الامثال الكلام عن « أحلام قريش » و « حلماء قريش »[2] .

أوَ هل نستغرب ، بعد كلّ ما تقدم ، الّا يكون مدوّنو « السيرة » انتبهوا لجميع هذه الامور المتشعبة المتشابكة ، وهم الذين أثّرت فيهم العواطف القومية المتأخرة ، فقادتهم الى ضيق المجال في البحث والتصوّر ، والى الايمان الدائم بسيطرة قريش[3] حتى في العصر الجاهلي ! أوَهل نستغرب ان يكون المستشرقون انفسهم أخذوا بهذا العمل ، فظلّوا مدّة طويلة لا يشعرون بضرورة النقد الدقيق في درس أصول ذاك التاريخ ![4]

ولقد عرضنا لهذا الموضوع في كتابنا « فاطمة وبنات محمّد » (ص ٢٩) فاوردنا تحفّظات قليلة في ما خصّ تلك الاعمال الفائقة قدرة البشر العاديّين ، ينسبها المؤرّخون ، دون احتياط ، الى ابطال الهاشميين ، ولاسيما علي بن ابي طالب[5] . ويمتاز الواقدي[6] الشيعي ، بين جميع مدوّني « المغازي » ، بازدرائه كل

---

٥ : ١٠٦ ، ١٤٤ ، ١٤٦ . وهناك حليف ثقفي يحارب مع قريش في حُنين ، اسد الغابة ٤ : ٧

١) راجع *Berceau*, I, 177

٢) اسد الغابة ١ : ٢٧١ ، ٥ : ٣١ ؛ حلم ابي سفيان ، في الاغاني ٥ : ١١

٣) ولنا الامثلة العديدة على الايمان بهذه السيطرة القرشية ، كقول ابن هشام : « كانوا إمام الناس وهاديهم » (السيرة ٩٢٢) ؛ قابل بما في ابن سعد : الطبقات ١ : ٣ ؛ ابن الديبع : تيسير الوصول ٣ : ١٠٨ . وقد درسنا الموضوع في كتابنا عن « يزيد »

٤) قابل بما في C. de Perceval, *Essai*, I, 253 ; Sprenger, *Mohammed*, index s. v. *Aḥābīš* ; Grimme *Mohammed*, I, 106 ; Cl. Huart *Hist. des Arabes*, I, 144

٥) راجع *Fāṭima*, 45 ، اما ترجمة علي الواردة في اسد الغابة ٤ : ١٦ فاكثرها مستندة الى النصوص الشيعية .

٦) الواقدي ١٧٩ — وفيه التعبير : « شموني . . . من الاحمر والاسود » وقد يدلّ

قياس في مروياته[1]. اما الآن ، وقد دققنا بعض الشيء في فهم المؤسسات العسكرية المكية ، فنتساءل ألا ينبغي لنا ان نزيد من تلك التحفظات ! ونستفيد من هذه الابحاث التمهيدية في نظام مكة الجاهلية ، موادّ لنقد « السيرة » نقدًا داخليًا. وقد قُيّض لنا ان نبحث في « السيرة » ، في مقالٍ نشرناه منذ ربع قرن بعنوان « عُمر محمد وطريقة التاريخ في السيرة »[2] ، وقلنا فيه عن هذه المجموعة : « لا نرمي الى طرح كل شيء . وبدل ان نقلب هذا البناء الضخم الذي عمل الحديث على رفعه ، لنكتفِ بتفكيكه حجرًا حجرًا ، فنفحص قيمة ما استُعمل فيه من موادّ . هو عمل عملٌ ، ولكنه ضروري ! » ولنا الأمل بان هذا البحث في « الاحابيش » يأتي ببرهان جديد يبرّر قولنا السابق . وعلى مَن تقع التبعة ان عِيل هذا البرهان على اضعاف الثقة بتلك الموادّ الاسلامية القديمة ؟

ثم اذا استندنا الى الاقوال الرسمية المتداولة ، نرى عليًا ينشأ في كنف محمد ، مَن عرفناه بميله طبعاً الى السلم والطمأنينة[3] . واذًا فلم يكن لهذا المحيط الهادئ ، محيط خديجة وبناتها[4] ، ان يعزّز تلك النزعات الحربية التي نراها ، بعد ذاك ، في زوج فاطمة . ولا يخفى انه كان مِن آخر مَن هاجر ملتحقًا بالنبي في المدينة . وهو لا يظهر ، قبل وقعة بدر ، في اي معركة من تلك المعارك البسيطة ، المعروفة بالغزوات ، التي كانت تحدث من وقت الى وقت فتبدّد شيئاً من ملل العهد الاول ، عهد الاستقرار في المدينة . اذا استندنا الى هذه المعلومات ، وكلّها مستقاة من « السيرة » ، ومن اجدر كتب « الصحيح » بالثقة ، فلا نرى ما يبرّر ذاك الانقلاب السريع في اطوار الهاشمي الشاب ، ولا كيف انتقل من

« الاسود » على الكتائب السودانية . راجع Caetani, *Annali*, II, index s. v. *Aḥābīš*

١) لا يظهر الامويون في كتابه الأ بظهر بئير الضحك فالازدراء ، مثلًا في ص ٢٦٨ — ٢٦٩ اما الهاشميون فكلّهم ، حتى النساء ، على غاية الكمال ، ص ٢٨١—٢٨٢ ، ٢٦٧

٢) *L'âge de Mahomet et la chronologie de la Sîra*, *Jour. asiat.*, 1911¹, 209-250

٣) راجع *Fāṭima*, p. 23 . وقد استغلّت الشيعة هذا القول لتحلّ ، بين علي وابي بكر ، مشكلة « اول من أسلم » . راجع كذلك ترجمة علي في اسد الغابة ٤ : ٦٦ — ٦٨

٤) *Fāṭima*, p. 2... وفي القرآن (٣٣ : ٥٩) : « قل . . . لبناتك » وهو يفرض اثنتين على الأقل .

حياة هادئة خفية مدة السنين الاولى الى حياة حربية يُظهر فيها ، منذ اول معركة ، ودون ان يمرّ بطور انتقال طبيعي ، صفات فروسية عجيبة ، ومهارة في الكرّ تفرض اختبارًا وتمرّنًا طويلين[1] .

شاء بعضهم ان يرى في تجارة القوافل دافعًا الى النزعة الحربية في باعة مكة وعاملتها ، ومن ثمّ داعيًا الى تمرينهم على استعمال الاسلحة المتنوّعة . واننا لنودّ ان نشاركه هذا البعض بقبول فرضية قد تظهر طبيعية ، لو لم يكن القرشيّون قد تخلّصوا قديمًا من الهمّ العسكري ، في تنظيم القوافل ، فعهدوا الى غيرهم في حفظها والسهر عليها ، كما رأينا . ولم تكن حادثة الحرث بن هشام المخزومي ، المستقيل عن الحرب حبًّا لعائلته[2] ، بفريدة في ذاك المحيط . من الحقّ ان البدو كانوا ينتقمون لأنفسهم من الاهانات المتعدّدة اللاحقة بهم في مصارف مكة ومتاجرها ، فيهزأون بجبن القرشيين ، ويبالغون . ولكن من الحقّ ان تهكّمهم وحده لا يكفي لتبرير هذه الشهرة الواسعة اللاحقة بجبن اهالي مكة . والّا فكيف امكن اعداء محمد من القرشيين ان يتكلوا على اولئك البدو — وهم من عرفوهم بضعف الاخلاص والميل الى النهب والسلب — في الدفاع عن مدينتهم وعن اموالهم ؟ وكيف امكنهم ان يظلّوا مدة طويلة على هذه السياسة الشديدة الخطر ؟

ولنا الشواهد العديدة على ضعف الاخلاص في البدو . نكتفي بالاشارة ، في ذلك ، الى ما قام به بعض الخزاعيين والغفاريين من مصانعة النبي ومحالفته ، بل من التجسّس له على القرشيين[3] بينما كان ذوو قرباهم من ابناء غفار وخزاعة يحاربون ، مأجورين ، في الجيش القرشي . ولنلاحظ ان مجموعات التراجم تتردّد على الغالب في نسبة الصحابة البدو ، تتردّد بين غفار ، وأسلم ، وخزاعة[4] .

١) ولقد أُنكر عليّ عليّ هذا الاختبار ، فيما بعد ، راجع *Fāṭima* p. 29 ، وكيف جرّب ان يدافع عن نفسه ، الاغاني ١٥ : ٤٥

٢) راجع الابيات المنسوبة الى الحرث بن هشام في السيرة ٥٢٢

٣) ولا سيما بنو خزاعة ! اسد الغابة ٤ : ٢٩٠ . وهناك غفاريٌّ يُطلع محمدًا على بعث قريش ، الواقدي ٢٠٣ ، قابل بما في Caetani, *Annali*, II, 1071, 1072

٤) اسد الغابة ٣ : ٢٤٤

وهناك رجل من مشاهير غفار ، التحق اولًا بالامويين ونال لقب حليف ، ثم نراه يُقتل ، في سبيل الإسلام ، لدى ابراج خيبر[1] . وليست هذه الحادثة بوحيدة من نوعها . بل ان البدو ، وكأنهم تعوّدوا هذا التقلقل السياسي ، ينتقلون بسهولة من جيش الى جيش وفقًا لميلهم المتردّد او لمبلغ ارباحهم المالية . وكثيرًا ما كانوا ينالون بركات النبي في مساعداتهم له ، كما نالوها كثيرةً ، مدوّنة في كتب الحديث القانونية ، لانخراطهم في الجيش المدني[2] . واذا بقي من شكّ في تفهّم خُلق القرشيين الحربي ، ونفورهم فطرةً من المعارك والمخاطر ، نراه يتبدّد اذا ما القينا لمحةً دقيقة على ما اتخذه المكيون من تحفّظات واستدراكات عديدة خوفًا من مفاجآت تقلب عليهم عسكرهم المأجور . ولم يكن رئيس ذاك العسكر يتردّد في تهديد القرشيين[3] ، اذا ما ابدى هؤلاء اقل معاكسة .

. . .

ويجب الّا نتوهّم وجود نظام عسكري مستقرّ بثكناته او معسكراته ، وكتائبه الدائمة . انما الخدمة المأجورة[4] ، او الاتفاق ، كان لمدّة الحرب فقط ، بل لمدّة غزوة واحدة احيانًا . هذا اذا لم يترك البدو القتال قبل نهاية الاتفاق ، فيفرّون جماعات ، او ينتقلون الى جيش العدوّ . تتحقق فيهم هذه النزعات الفوضوية بتاريخ حصار المدينة ، وحوادث وقعة الخندق . اما زمن السلم ، فكان الخلط ومَن على شاكلتهم يعيشون في جوار مواليهم من ارباب المصارف القرشية[5] . وينتقلون معهم ، في رحلاتهم من مكة ، ليدافعوا عنهم ، او ليدافعوا عن اموالهم وتجاراتهم ، وفي هذه الحالات كانوا يسافرون مع القوافل كما كان يفعل البرّاد . وهكذا كانت مهمة بني غفار وانسبائهم من بدو تهامة ان يحفظوا

١) اسد الغابة ٣ : ٢٧٠ وكان الغفاريّون عديدين في هذا الحصار .

٢) وقد استفادت اسطورة ابي ذرّ من هذه الحالة ، اسد الغابة ٥ : ١٨٧ — ١٨٨

٣) يهدّدهم بالانتقال الى جيش النبي ، الطبري ١ : ١٥٢٩

٤) اما في ما خصّ عدد الجيوش فلا يتفق المؤرخون . هذا الواحدي يذكر «الفين» وابن سعد يشير الى « اربعة الاف » من الاحابيش والبدو (الطبقات ٢ : ٤٧)

٥) كان الغرباء ، في مكة ، يتمتّعون بخدمة الأشراف ؛ اطلب اسد الغابة ٣ : ٢٨٨ ؛ وعلى الغريب ان يلتجئ الى احد إمّا عن طريق « الحلف » ، او عن طريق « الجوار » .

التجار ، ويسهرون على القوافل القرشية ، يؤجرون اربابها ابلهم وسيوفهم بثمن باهظ بعض الاحيان !

اما شأن الاحباش ، او سودان افريقية ، فكان يختلف عن شأن البدو . كان السودان مفروضا عليهم خراج ، او ضريبة يومية ، يؤدونها الى ساداتهم ، وقد لا يصلون الى حريتهم الا بشق النفس والعمل المجهد في حوانيت المدينة . وهم ، فوق ذلك ، مضطرون مستعدون لتلبية طوالبهم لدى اي طلب . وكان اكثر هؤلاء الموالي من سراة المخزوميين ، ارباب الاموال الذين كانوا يستغلون تجارة الرقيق استغلالهم سائر مرافق الحياة الاقتصادية اذ ذاك . فاذا دنت ساعة الخطر ، وسمع « الصريخ » دوي صوت الانذار[1] ، كان يهتم القرشيون بتنظيم العساكر . وكثيرا ما تطلب هذا التنظيم الاسابيع الطويلة ، بل الأشهر بكاملها . وهو ما حدث في بعثة أحد ، فقد اضاع المستعدون سنة كاملة . وكان يقوم بالتجييش ، او التعبئة ، بعض الأشراف او كبار الصيارفة من اهل مكة ، اولئك الواسعو العلاقات ، الكثيرو المعارف والاصدقاء والاقارب[2] في القبائل البدوية . فيذهبون من حي الى حي في مجاهل تهامة ومناطق الغور ، يستأجرون الرجال[3] . وقد يرتقون جبال السراة في جنوبي شرقي الطائف ، ليستنزلوا الأزد ، وهم من اشجع سكان الحجاز[4] . فيمدون الجميع بالمال الكثير والأسلاب العديدة ، ويرجعون ورءاءهم مجموعة من الابطال والصماليك واللصوص ، « حرشة الضباب » و« أكلة اليرابيع » ، قطاع الطرق[5] « وسراق الحجيج » . بينما كان الباقون في مكة من

١) ابو « منذر الجيش » ، مسلم : الصحيح ١ : ٢١٩ ، قابل بما في ابن الأثير : النهاية ٣ : ١٠٤ ، ٤ : ١٦٦ .

٢) ولقد كان من شيوخ البدو وسادتهم من يشاركون القرشيين بتجاراتهم ، ومنهم من يصاهرونهم ، راجع ابن هشام ٢٧٣ ، ثم *Berceau*, I, 289

٣) ابن هشام ٥٥٦

٤) هم حلفاء الهاشميين وغيرهم من اشراف مكة (اسد الغابة ٣ : ٢٥٠ ، ٥ : ١١١) وحلفاء امية (اسد الغابة ٣ : ٤٠٢) . وقد شهد الحديث بشجاعتهم فورد : « نعم الحي الأزد والاشرون لا يفرون في القتال ولا ينلون » (اسد الغابة ٥ : ٢٢٩) .

٥) كانت القوافل القرشية تمر بمنازل بني غفار (اسد الغابة ٥ : ١٨٧)

السادة يهتمون بتسليح « الاحابيش »[1] وتنظيمهم . وهم ، في تلك الاحوال ، يسترضونهم بالأكل الطيب الذي لا يذوقونه في حياتهم العادية ، فيطعمونهم الخزيرة ، وهي حساء فيه من العجين ومن اللحم المقطّع[2] . ولا تكاد تنتهي الحرب حتى تتفرّق هذه الكتائب جميعها ، والّا فان القرشيين يعجلون في تفريقها ، كما جرى لهم بعد وقعة الخندق . ذلك انهم كانوا يخافون من حرب داخلية تتلو المعركة ، فلا تقل شدّة عليهم من العدوّ الخارجي ، لما تعرّض اموالهم ومتاجرهم ومصارفهم وبيوتهم لطمع اولئك الشذّاذ المسلّحين . واذًا فمن الضروري ان يعود البدو الى منازلهم من سهول تهامة ، والعبيد الى معاملهم في المدينة . وكذلك تعود المطايا ، واكثرها الابل — لأن الخيل من خصوصيات السادة وحدهم[3] — الى المراعي ، او الى اصحابها من البدو الذين استؤجرت منهم ؛ وتعود الأسلحة الى مخازنها الخاصّة في مكة .

ولم تكن هذه الأسلحة وافرة ، بل لم تكن كافية لجميع الاحابيش ، كما قد يُستخرج من قول كعب بن مالك في وقعة أُحد — ولا نرى ما يُخرج صيغة قوله — مشيرًا الى

أحابيش منهم حاسرٌ ومقنَّعُ !(٤)

وقد يكون الحاسرون من اولئك المكلّفين حفظ الأمتعة . الّا ان يقصد الشاعر رماة الحبش المشهورين باستعمال الحراب[5] ، وهي آلات لا يقرّ العرب بانها

---

١) ابن الاثير : الكامل ١ : ٣٤٧ ؛ الاغاني ١٩ : ٧٧

٢) ابو يوسف : كتاب الخراج ١٢٨ ؛ وخاصّة الجاحظ : البخلاء ٢٥٨ ؛ وقابل بما في ابن هشام ٢٧٤ ؛ من ان الخزيرة أكلة مكية . يطبخها الانصار لمحمّد في المدينة ، اسد الغابة ٣ : ٣٥٩ ؛ ٥ : ٤٨٠ ، ٤٨١ ؛ ابن الاثير ؛ النهاية ١ : ٢٩١ — ٢٩٢ ، تطبخها فاطمة للنبي السهودي ١ : ٣٣٣ ، ٣٦٦ ؛ البخاري ٥ : ١١٠

٣) اطلب ... *Fâtima* , p. 82 ; *Berceau*, I, 137 ولم يتفق للعرب مرةً بان نحوا بفرس للقيام « بالمدينة » (اسد الغابة ٣ : ٣٤٣) . وهذا على خلاف ما يزعمه المحدّثون ، فيدلّون على جهلهم بالحياة في القفر وبما يشبه الفرس في نظر سكان البادية .

٤) ابن هشام : السيرة ٣١٤

٥) اطلب القسم الاول من هذا البحث ، ص ١٠

من اسلحة الحرب.

هذا ولا يخفى ان وجود الجيش المسلح ، وان وقتياً ، يفرض وجود مخازن للاسلحة في يد السلطة الحاكمة ؛ ينقول هذا مع شعورنا بصعوبة الاستدلال على وجود الادارات العامة ، والنظم البلدية ، في مكة قبل الاسلام[1]. فليس ، في كل ما بين ايدينا من النصوص ، اشارة واحدة الى عمل الاسلحة والمعدات الحربية ، ولا الى تحفظها ، في تلك العاصمة التجارية ، التي طالما اغدق المؤرخون على سكانها مجاناً صفات الشجاعة والبطش والفروسية . كانت تأتيها جميع الاسلحة من الخارج : من الهند ، واليمن ، والشام . فكان سكانها ، من السراة خاصة ، ومن ورائهم اهل البدو يتفاخرون « بشرفيات » بُصرى[2] وبلاد أدوم او « مشارف الشام » ، وخاصة بالدروع النفيسة الثمينة التي كان يبلغ من افتخارهم بها ، وحرصهم عليها ، أنهم كانوا يتوارثونها أباً عن جد[3] . وقد بلغوا بثمن واحدة منها ، مع الحسام ، مبلغ مائة دينار[4]. وكان اكثر السلب قيمةً ، بعد وقعة بدر ، بضع دروع[5] اصاب علياً واحدة منها حفظها حتى جعل منها صداق امرأته فاطمة بنت النبي . ويذكر الرواة انه كان لصفوان بن امية الجمحي ثلاثون درعاً ، فكان يُعد من اغنى ارباب المصارف في مكة[6].

لم يكن في مكة خزائن عامة للسلاح ، انما كان فيها خزائن خاصة . كل

١) اطلب كتابنا ... *La Mecque à la veille de l'hégire*, p.62

٢) ابن السكيت : تهذيب الالفاظ (طبعة شيخو) ١٦٥ ؛ الاغاني ١١ : ٩١ ، ١٢ : ١٢٥ ، ١٢٦ .

٣) قابل بما في القرآن ٢١ : ٨٠ ، وفيه دورة تبريرية للدلالة على الدرع : « وعلّمناه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم لتُحصِنَكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ! ». وهؤلاء هم الشعراء يفخرون بقولهم أنهم « اكثر دروعاً صافيات » (ابو عجن (Abel) ١١ : ١ - ٣) ؛ وراجع *La Mecque*, p. 191, 204

٤) اسد الغابة ٥ : ٩٣

٥) الاغاني ٤ : ٣٩ . وكان لمحمد درعان ، او درع مضاعفة تغطي الظهر والبطن (اسد الغابة ٥ : ١٨٤) والدرع سلاح وافر الثمن في بلاد العرب ، اسد الغابة ٥ : ٣٥٩ ؛ الاغاني ١٠ : ١٤

٦) ابو داود : السنن (طبعة الهند) ٣ : ٦٩ ؛ ابن سعد : الطبقات ٣ : ١٠٨

بطن ، كل أسرة ، كبني جمح وبني جدعان وغيرهم كان لهم مخازن ومستودعات يجمعون فيها الأسلحة[1] . فيستعملونها ، إبان السلم ادوات واعراضاً للقايضة ، او يسلّحون بها حرس قوافلهم . وهكذا رأينا ابن جُدعان وحده يُسلّح الف بدوي من كنانة[2] . وتشير النصوص الى مبالغ عظيمة من الحراب والسيوف والدروع يحتفظ بها ارباب المصارف المكية . ومنهم صفوان بن امية المذكور آنفاً[3] ؛ ونوفل بن الحرث الهاشمي ، ولم يكن مخزنه ليقلّ كثيراً عن مخزن صفوان . ونحن نعرف انه افتدى نفسه من النبي ، في معركة بدر ، بالف من الحراب[4] . ولم يكن النبي ليغفل عن هذه المستودعات الخاصة في مسقط رأسه ، فاستغلّها كما استغلّ المصارف القرشية في تنظيم جيشه واستعداده لغزوة هوازن ؛ فاخذ من نوفل وحده ثلاثة آلاف حربة[5] .

. . .

ولنعد الى سياسة الحذر والتيقُّظ التي كان يقوم بها المكيون بالنظر الى احابيشهم وحلفائهم من البدو ، فانها تذكرنا بسياسة البيزنطيين تجاه معاونيهم من الغساسنة المكلّفين مراقبة الحدود السورية . وقد كان البيزنطيون ، قبيل المعركة او الغزوة ، يفتحون للغساسنة مخازن دمشق[6] وبُصرى ، فيسلّحونهم ،

---

١) الطبري ١ : ١٦٥٩ ، ١٦٣٠ ؛ الواقدي ٢٥ ، ٣٦ ؛ ابن الاثير : الموضع المذكور . وكذلك كانت الحالة في الطائف ؛ ابو محجن : الموضع المذكور .

٢) الاغاني ١٩ : ٧٦ ، ٧٨ ؛ الواقدي ٢٠٣

٣) ابن حنبل : المسند ٣ : ٤٠١ ، ٦ : ٤٦٥ ؛ اسد الغابة ٣ : ٢٢ . وهذا خالد بن الوليد « جعل دوابّه في سبيل الله . » ابو عبيد : الغريب (المخطوطة المذكورة) ص ١٠٠ ؛ ابن الاثير : النهاية ١ : ١٩٥ ، ٢ : ٢٠٠

٤) اسد الغابة ٥ : ٤٦ . وقد كان مستودع اسلحته في جدّة . وكان المسلمون ، في اول عهدهم ، تعوزهم الاسلحة ولم يكن يصنعها الا اليهود في يثرب . قابل بما في اسد الغابة ٣ : ٤١٦ . وهناك ذكر لعصاً يعطيها النبي احد المتحاربين فتتحوّل الى سيف (اسد الغابة ٢ : ٣) وثلاثمائة درع رُجدت في دومة الجندل (ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٢٠)

٥) اسد الغابة ٥ : ٤٥ . ويذكر المصدر نفسه دروع خالد بن الوليد (اسد الغابة ٥ : ٢٢٥ ؛ ابن الاثير : النهاية ٣ : ٥٩ — ٦٠)

٦) لم يرد ذكر لمدينة دمشق في النصوص العربية القديمة . انما كان الذكر لبُصرى ، وهي

ويضاعفون ذخيرتهم العادية من الحنطة . حتى اذا انتهت الحرب نُزعت الاسلحة من البدو ، وأعيدت الى مستودعاتها البيزنطية . تلك سياسة حكيمة دفع اليها اختبار البيزنطيين اخلاق البدو المضطربة المتقلقلة ، فحذروا منهم ، واحتاطوا . وكانوا يبالغون في تلك الحيطة حتى انهم كانوا اذا ما شكوا في اخلاص القبائل قطعوا عنهم ذخيرة الحنطة نفسها[1] ، واقفلوا في وجوههم حدود الامبراطورية .

على نحو من هذه السياسة كانت سياسة القرشيين بالنظر الى احابيشهم وحلفائهم . الا ان هناك استثناء في ما خصّ « سيّد الاحابيش » وبعض « الحلفاء » و « الطرداء » من الذين أُنعم عليهم بلقب « حلفاء قريش » . فان هذا اللقب كان يولّيهم ، من الحقوق المتنوّعة ، حق الاقامة في مكة[2] ، ذاك الحقّ الذي نالوه بتضحياتهم العديدة ، بل بدمهم يسفكونه في سبيل الدفاع عن تلك الجمهورية التجارية . وهؤلاء قتلى بدر فيهم العدد العديد من « حلفاء قريش »[3] . فكان اذاً لقيادة الاحابيش ، مثلي اولئك الغفاريين الفرضيين ، مركز منظور اليه في مكة بل مقام شبه رسمي . وكان لهم ناديهم الخاص[4] ، في النقطة المتوسطة من المدينة ، في فناء الكعبة المقدسة ، لا في ضواحي البلدة من « الشعاب » و « الظواهر »[5] . كان لهم حق الاشتراك بالاجتماعات القرشية ، يتكلمون فيها بجرأة ، وقد يفرضون ارادتهم ، كما جرى لابن الدُجُنّة[6] اذ دافع عن ابي بكر فاتخذه تحت حمايته ، عندما وجد عليه قومه بسبب ما اظهره

آخر محطات القوافل القرشية مما يلي الشام .

١) راجع Noeldeke, *Die Ghassân. Fürsten*, p. 29

٢) ولم يكن ليتزع منهم هذا الحق الا تنازل رسمي يقومون به أمام الكعبة ، راجع اسد الغابة ٣ : ٢٨٦ ، ٤ : ٥٤

٣) ابن هشام ٥٠٧

٤) كان للأسر الاستقراطية انديتها الخاصة قرب الكعبة ، ابن هشام ٨٢٢ ، ٩٩٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ١ : ١٢٧

٥) وفيها كانوا يحشرون السوقة ورعاع القوم ؛ الاغاني ١ : ١٥٦

٦) او الدُجَيْنة ، اطلب ابن هشام : السيرة ٢٤٦ ، والاسم مضطرب الضبط .

من الميل للدعوة الاسلامية ، قبل الهجرة[1] . وإبان مفاوضات الحُدَيبية ، نرى القرشيين يختارون سيّد الاحابيش فيوفدونه الى محمد مندوباً مفوَّضاً . وذلك وقت كانت مكة تحاول، بهذه المداورات السياسة ، ستر عجزها الحربي في كفاح النبي . واذ رأت نفسها مضطرّةً الى عقد الصلح ، ولمّا لم تشأ ان تُرسل لمفاوضة محمد احد أشرافها القرشيين، فتدلّ بذلك على اضطرابها وحاجتها الى السلم ، عهدت الى رئيس معاونيها وحلفائها من البدو، وهو « سيّد الاحابيش »، واسمه حُلَيس ابن علقمة . وقد وصفه لنا التاريخ الرسمي رجلًا تقيًّا « يتألّه »[2]، وهي صفة نادرة جدًّا في بدو تهامة الأجلاف . وبينا كانت المفاوضات تجري بصعوبة ، كاد احد موفدي النبي في مكة يلاقي حتفه لولا تدخل بعض بني قومه من خزاعي الاحابيش[3].

وكان سكّان مكة ، اذا ما ارتحل عنهم جيش الاحابيش وسائر المأجورين من العسكر ، بدل ان يتنفّسوا الصعداء لتخلّصهم من هؤلاء الشذّاذ الفوضويين، يوجسون خوفاً .ويعتريهم القلق اذ يرون المدينة ، ولاحامية فيها ، عرضة لأول غازٍ[4] . هكذا كانت عاطفة السكّان من القلق ، بعد ان ارتحلت عنهم تلك الكتيبة المأجورة المنظَّمة ، على غاية ما يمكن من السرعة، المُرسلة لنصرة قافلة بدر . حتى اضطُرّ احد سادة البدو الى تهدئة الخواطر في مكة[5] . ومع هذا ، فلم يكن قد ذهب من « الاحابيش » الاّ عدد قليل لم يقوَ القرشيون على جمع اكثر منه ، فالحقوه بسادتهم المسرعين الى مكان الحادثة . اما الباقون فلم يكن موقفهم على شيء من الوضوح بالنظر الى تلك الحرب الجديدة . أيبقون على

---

١) ابن هشام ٣٤٥ – ٣٤٦ ؛ البخاري : الصحيح ٢ : ٥٩ ؛ وهذا حُليس يلوم ابا سفيان بثبرة قوية في أُحد ؛ الاغاني ١٤ : ٢١ – ٢٢ ، قابل بما في ابن سعد : الطبقات ٢ : ٧٠

٢) ابن هشام : السيرة ٧٤٣–٧٤٥ ؛ الطبري ١ : ١٥٣٨–١٥٣٩ ؛ الاغاني ٤ : ١٩ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢ : ٧٠ وفيها ان حُليس « كان يتألّه » وابو يوسف في كتاب الخراج (طبعة مصر) ٢٤٨ يدعوه ابن الحُلَس .

٣) الواقدي ٣٥٣ ؛ ابن هشام ٧٤٥–٧٤٦ الطبري ١ : ١٥٤١ ؛ اسد الغابة ٢ : ١٦

٤) ولم يكن فيها شرطة بلديّة . راجع . . . *La Mecque*, p. 64

٥) ابن هشام ٤٣٣ ؛ الطبري ١ : ١٣٩٦ ؛ الواقدي ٢١–٢٢

عهدهم لمكة ؟ أم تغويهم التجارب فينضمون لبدو الحوار ويهجمون منتقمين من هذه المدينة التي طالما أهانتهم واغاظتهم بطامع اهليهـا ، ومظاهر ترفهم وازدرائهم؟ [1] فكان للمكيين ، والحالة هـذه ، مل. الحق بان يتآلفوا ، ويحاذروا ، قلقين مضطربين كلما فكّروا بتلك الاحقاد المتراكمة المتداعية في المعامل ، والمصانع ، ومحلات الاشغال الشاقة المنتشرة في ضواحي المدينة يملأها العبيد من سودان وغيرهم ، وبين جولهم من « الأبّاقين »[2] المتغلغلين في مجاهل تهامة ومطاوي الغور . حتى اذا قام فيهم رجل ابرز شخصية من عامّتهم ، كأبي بشير[3] مثلاً ، التفوا حوله ، ولجأ اليهم فضخم عددهم كثيرٌ من المظلومين ، من ضحايا النظام الاجتماعي في مكة ، من « المستضعفين » ، على قول « السيرة » ، ومن اولئك الذين لا يرضيهم نظام فيقضون الحياة مفتشين عن غيره ، متفائلين بأيّ انقلاب كان . ثم ينتقل هؤلاء جميعهم الى المدينة ، فيستقبلهم النبي ، ويُرسلهم في « حرب العصابات » كما نقول اليوم ، فيقطعون الطرقات ويسلبون المسافرين ، ويقتلون سادتهم بالأمس[4] ، « لا يظفرون برجل من قريش — على حدّ قول ابن هشام — الاّ قتلوه ، ولا يمرّ بهم عير الاّ اقتطعوها »[5] ، وفقاً لما عُرف من التقاليد المتقادمة في بني غفار !

ومما كان ينشر الذعر بين المكيين في تلك الاحوال الاضطرابية ، اعتقاد قديم متداول بين القرشيين ، ومحفوظ صداه في عدد من الاحاديث ، مفاده ان الكعبة يهدمها الاحباش[6] . وقد ظلّ هذا الاعتقاد راسخاً حتى في الاسلام ،

---

١) الاغاني ٨ : ١٩٠ ، ١١ : ٨٩ ، ٩٥ ؛ ١٢ : ٣٥

٢) كان الكثير من العبيد يلجأون الى الهرب ، « فيأبقون » تارة كين لسادتهم حسرةً وهمّاً ؛ اسد الغابة ٥ : ٥٣٠

٣) وقد تحوّل « صحابياً » فاستلته « السيرة » لتضخيم الحادثة

٤) النسائي : السنن ٢ : ١١٢

٥) ابن هشام : السيرة ٧٥٢ ؛ اسد الغابة ٣ : ٣٦٠ ، ٥ : ١٥٠ . وهناك ذكر لكثير من السودان والعبيد الأبّاقين اللاحقين بمحمّد في اسد الغابة ٤ : ٣٦

٦) الازرقي ١٩٣ ؛ *Chroniken, III, 81* ؛ ابو داود ٢ : ١٢٣ ؛ ابن الديبع : تيسير الوصول ٣ : ١٢٠ ابن الأثير : النهاية ٢ : ١٩٣ ، ٤ : ٢٦٤ ، ٦ : ١٨٨

فحاول ابن الزُبير ، بعد الهجرة بسبعين سنة ، ان يستأصل هذا الوهم من عقول المكيين ، فلجأ الى خطة ساذجة مضحكة عندما اعاد بناء الكعبة[1] . اما ما يهمنا من الأمر فهو ما يدلّ عليه من صدى بليغ في اذهان العرب لانتصار الاحباش عليهم؛ ومن ذعر تلك في عقول المكيين لدى رؤية هؤلاء السودان بالسلاح الكامل . كانوا يحذرون ، في ما لو نزل رجال النجاشي على ساحل تهامة ، ان يلتحق بهم ابناء قومه من الاحابيش . وهو فرض لم يكن من الغرابة في شيء[2].

أوَ لم يهجم ، بعد ذلك ، عدد من الاحباش على ساحل مكة في حياة النبي ؟[3]

أوَ لم تتعدّد هذه الغزوات بعد وفاة النبي، فيضطرّ عمر بن الخطاب الى ارسال حملة خاصّة على بلاد الحبش ، فتهلك كلّيا ؟[4]

أوَلم يقل النبي من حديث : « لا تبعثوا الرابضين الترك والحبشة . اي المقيمين الساكنين ، يريد : لا تهيّجوهم عليكم ما داموا لا يقصدونكم . »[5] ولا يخفى ما في ذكر الترك الى جنب الحبش ، من إشارة الى دور الاتراك المقيل في جيوش الخلافة العبّاسية ، وهو اشبه بدور « الاحابيش » في الجيش القرشي .

يظهر من كل ما تقدّم مركز مكة الحرج بالنظر الى اولئك العساكر المأجورين الذين كانت تتكل عليهم في الدفاع عنها ، وتحذر سيطرتهم عليها، اذا مكّنتهم الظروف . يظهر كذلك تجرّد المكيين عمّا يُنسب اليهم عادةً من صفات الشجاعة والرجولية . وهو ما يؤيّد حكم استرابون منذ العصور القديمة ،

---

١) السيرة الحلبية ١ : ١٨٣ : *Chronicon*, III, 81

٢) راجع الازرقي ١٩٣–١٩٤

٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١١٨

٤) اسد الغابة ٤ : ١٤

٥) ابن الأثير : النهاية ٢ : ٥٩ : ابو داود ٢ : ١٣٣ : ابن الديبع ٣ : ١١٠ ؛ قابل بما في السيوطي : الموضوعات ١ : ٢٢١–٢٢٢

وقد قال : « العرب تجّار وعساكر ، ولكنهم من اضعف الجنود . »[1] وقد كان لنا ان نشير الى هذه النتيجة في بحث سابق[2] ، وها اننا نساق اليها اليوم في درسنا النظام العسكري في مكة .

ويبدو لنا ان النبي ادرك هذا الأمر وقد وقف بنفسه على نظام الاحابيش الفاسد . ولم يرَ خيرًا في التهوّر بحروب عقيمة ، فنصح قومه بان لا يلجأوا الى السلاح الّا وهم على ثقة من احراز النصر ، وإلّا فعليهم بالسعي في الصلح . اما اذا كانوا على نصر فلا صلح ولا سلم . وهو معنى الآية : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلَون . »[3] وقد رأى النبي انه ادرك هذا التفوّق الحربي ، بعد معاهدة الحديبيّة ، وكان قد عمل على استمالة القبائل التي كانت قريش تتخذ منها ضبّاط الاحابيش[4] . فاستمال اولًا بني خزاعة ، « من عرفنا حقدَهم على قريش ، ثم بني غِفار[5] واقرباءهم من كنانة . وكان انه جرّب شجاعة هؤلاء ، في حصار خيبر ، غاضًّا النظر عن وجود النساء الغفاريّات بين العسكر بصفة بائعات ومرّضات[6] . حتى اذا استفاد من هذه التجربات ، وايقن ضعف المتسوّلين القرشيين ، ويأسهم من الحرب بعد ان تركوا وشجاعتهم الخاصة ، عزم على ان يضرب مسقط رأسه الضربة القاضية ، فينال « فتحًا مبينًا »[7] ، بل « فتح الفتوح » كما يقول الحديث .

---

١) جغرافية اسطرابون ١٦ : الفصل ٤ ، الرقم ٢٢

٢) *Berceau*, I.191 ، وقابل بها في ارميا ٣ : ٢

٣) القرآن ٤٧ : ٣٥ ؛ وقابل بها في ٣ : ١٣٩

٤) وقد احتلّ ابو رهم الغفاري منصب عامل المدينة على مرّتين (اسد الغابة ٥ : ١٤٧ ؛ ابن هشام ٨١٠ ، ٩٠٥)

٥) السهودي ١ : ٥٤٧ . وفيها ان النبي اعتاهم ارضًا في المدينة . وهناك ذكر لمسجد وارض غفارية في المدينة (السهودي ٣ : ٥٤٧ – ٥٤٨) ومرافق غفارية في خيبر (اسد الغابة ٥ : ٥٧٦)

٦) ابن هشام ٧٦٧ – ٧٦٩ ؛ اسد الغابة ٥ : ٤٠٥ ، وهو الشرح الرسمي في الحديث الاسلامي . راجع كتابنا في ... *Bibles*, p. 123

٧) القرآن ٤٨ : ١

وكان من نتائج هذا الفتح انه جعل مكّة ولاية متعلّقة بحكومة المدينة ، فاضمحلّ جيش الاحابيش[1] وما اليه من نظام عسكري قديم ، بل اضمحلّ اسم « الاحابيش » بعدئذٍ في تاريخ المدينة القرشية .

١) ولكن لم تتلاشَ الكتائب السوداء من الجيوش الاسلامية . وهناك عدد كثير من السودان في بلاد العرب (جغرافية المقدسي ، ٩٥) وأكثر العبيد في الحجاز من الحبش (ابن الاثير : النهاية ١ : ١٥٩) ، وحرّاس مسجد المدينة من الاحابيش (السمهودي ١ : ٤٦١) وفي بعض كتب الحديث مدح صارخ للحبش ، كما في السيوطي : الموضوعات ١ : ٣٣٠ ؛ وكتر العمّال ٦ : ٦١٤ العدد ٢٧٣٨ ، وفيه : « قسم الشجاعة عشرة اجزاء فتسعة في السودان وجزء في سائر الناس . . . » (كذا) وظلّ الحجازيون يستخدمون العبيد في الحرس الرسمي حتى عصرنا هذا ، فكان حرس الشريف الأكبر من السودان . قال عنهم ديديه : « وكان من الضروري ظهور وجوه الآبنوس هذه كي لا يظهر العرب سود الوجوه تمامًا » Didier, *Séjour chez le Grand Chérif*, p. 244

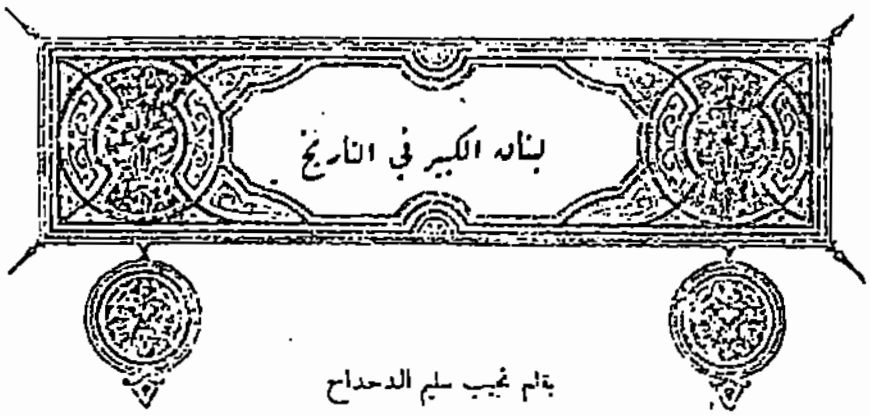

بقلم نجيب سليم الدحداح

تمهيد

في شهر اذار الماضي ، اجتمع بعض الاشخاص في احد منازل بيروت ، واطلقوا على اجتماعهم اسم « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة » . ولم يشاؤوا ان تبقى اجتماعهم سرّاً دفيناً يمرّ دونه التاريخ ، فدوّنوا اقوالهم في كرّاس صغير . ثم عقبَ هذا الاجتماعَ مؤتمرٌ آخر دُعي « المؤتمر الاسلامي » ولم تكد تختلف شخصيات المجتمعين اولاً عن شخصيات المجتمعين ثانياً .

اما غاية المؤتمرَين فواحدة ، تبرز لنا من مطالعة كلام احد الحاضرين في افتتاح الاجتماع الاول : « تعلمون ايها السادة اننا في ظروف خطيرة ... ولما كنتم من مفكري هذه الامة ، ومن مجاهديها المخلصين ، فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرّر فيه موقفنا نحن ابناء الاقضية والمدن المنسلخة عن أمنا سورية ... »[1] .

وليس قائل هذا الكلام إلا ابناً في الرأي لبعض سياسيي دمشق . وهؤلاء لا ينفكون عن المطالبة بضمّ بيروت ، ووادي التيم ، وبعلبك والبقاع ، ومنطقة صيدا ، ومنطقة طرابلس ، الى سورية مردّدين انها « اقضية ومدن منسلخة عن أمها » ألحقت بلبنان ، ظلماً وعدواناً .

---

١) « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة الذي عقد في دار السيد سليم علي سلام في بيروت » في ١٠ اذار سنة ١٩٣٦ ، ص ٣-٤

فهل يكون لبنان بحدوده الحالية بدعةً اتتنا بها مؤتمر الصلح بعد الحرب الكونية ؟

أوَ لا يكون هناك معرفة سابقة لهذه المناطق بلبنان ؟

هـذا ما سوف نراه متصفّحين تاريخ بلادنا ، منذ القرن السادس عشر ، لعلّنا نجد شيئاً يصف علاقات المناطق المذكورة بلبنان.

واذا لم نذهب الى ابعد من ذلك ، فلم نذكر فنيقية الممتدة على هـذه السواحل من اللاذقية الى حيفا ، ولا « فنيقية اللبنانية » في عهد الرومان وقد ضمّت عاصمة بني أمية ، ولا بيروت يحكمها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أمراء الغرب من اعمال جبل لبنان ؛ اذا لم نفعل ذلك فلكي لا نُتّهم بالبحث عما قدم وزال . ونزجو ايضاً من القرّاء ألّا يروا في ما يلي تاريخاً منظماً للحوادث الواقعة في البلدان التي سنتكلم عنها . فاننا لا نورد هنا الا بعض الحوادث التي رأينا لها صلة بموضوعنا في علاقات هذه البلدان بلبنان.

لمحة عامة

لما استولى العثمانيون على سورية ولبنان ، سنة ١٥١٥ ، قسموا سورية الى ثلاث ايالات : حلب ، ودمشق ، وطرابلس ؛ واصبح على رأس كلٍّ منها « بكلربكي » تركي. وتركوا للبنان استقلاله تحت ادارة امرائه ، ولم يلزموه إلا بدفع الاموال الاميرية .

وقد كان يحكم لبنان الامراء آل عساف، وسيفا ، والحرفوش ، والمشايخ آل حماده ، والامراء آل تنوخ ، وعلم الدين ، ومعن ، وشهاب . ثم تمكّن المعنيّون، حكّام «جبل الدروز »، اي الشوف والمتن، وخلفاؤهم الشهابيون، من جمع شتات لبنان تحت حكمهم. فتوحّد مدّةً على يد فخر الدين . ثم عاد فانقسم الى المعاملتين : الشمالية ، والجنوبية . وسنة ١٧٧١ جمع ثانياً الامير يوسف الشهابي بين هاتين المعاملتين.

وكان يراقب امراء لبنان ويوجّه اليهم خلع الولاية ، من قبل السلطان العثماني ، ولاةُ طرابلس في بلاد جبيل وتوابعها ، وولاةُ صيدا في بلاد الشوف

وتوابعها ، وولاةُ دمشق في البقاع ووادي التيم.

والآن نرى ما كان من بيروت و« الاقضية الاربعة » في تلك الحقبة.

بيروت

في ١٦٠٨ ، قدم الى حلب ، الوزير العثماني مراد باشا ، فأرسل اليه الامير فخر الدين المعني الثاني ولدَه الامير علياً. فاستقبله الوزير باكرام ، وقبض منه مبلغاً من المال ، وجدَّد له خلَع الولاية على بيروت . وكان عمر عليّ اذ ذاك تسع سنوات[1].

وفي ١٦١٣ ، اثناء الخلاف الناشب بين رسول الترك ، احمد حافظ باشا ، وبين فخر الدين ، ارسل هذا الاخير رسالةً الى الوالي العثماني . وكان يحمل الرسالة وفد مؤلف من عدة علماء بينهم اربعة مشايخ من بيروت[2]. وفي غياب فخر الدين عن لبنان ، اذ كان ينتقل في قصور ايطالية ، كان يحكم مكانه ابنه علي . وقد جاءه سنة ١٦١٨ رجلٌ اسمه احمد انا ، فسلّمه من قبل الصدر الاعظم ، خلَع الولاية على سنجق بيروت « كما كان »[3]. وفي ذاك العهد كانت بيروت عاصمة لبنان. فكثيراً ما كان يجمع الامير رجاله في هذه المدينة ويطلب اعوانه اليها . ودونك هذه العبارة الصريحة ، وهي مثال لكثير مثلها في تاريخ الصفدي ، قال المؤرخ : ان فخر الدين « جمع اهل الشوف جميعاً واهل الغرب والجرد والمتن وكسروان الى عنده بمدينة بيروت»[4] سنة ١٦١٩. وكانت لبيروت اهمية كبرى في نظر أمراء لبنان ، وقد صرف الامير علي المعني لاجل اصلاحها « خمسة الاف غرش » وكان يرغب فيها لقربها ولتوسطها بين مقاطعاته[5].

---

١) الصفدي : تاريخ الامير فخر الدين المعني (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني) بيروت، ١٩٣٦ ، ص ٦

٢) الصفدي : الكتاب المذكور ص ١٢

٣) الصفدي : ك. م. ص ٦٥

٤) الصفدي : ك. م. ص ٧٤

٥) الصفدي : ك. م. ص ٦٧

وقد اقتنى الشهابيون لهم « قيساريات » فيها . وكان اولهم، على ما نظن، الامير منصور سنة ١٧٤٤[1].

وسنة ١٦٥٦ ، استولى الاتراك على المدينة ، وجعلوا لها والياً مستقلاً عن امير لبنان . ولكن الامير ملحم حيدر الشهابي ، حاكم لبنان الجنوبي ، لم يرقه وجود والٍ غريب في بيروت . فأمر الشيخ شاهين تلحوق ، صاحب الغرب الاعلى ، بان « يخرق » في اطراف المدينة ، ففعل. فعجز الوالي التركي ، ياسين بك، عن الحكم، وكتب الى عثمان باشا ، بتكاربكي صيدا ، يخبره بالواقع . فعرض عثمان باشا ولاية بيروت على الامير اللبناني فقبلها من صميم قلبه سنة ١٧٤٩[2]. وظلّت في يده ويد خلفائه حتى سنة ١٧٧٦ حيث انتُزعت المدينة من لبنان على اثر مساع هذه خلاصتها : قدم الى دير القمر احمد الجزّار هارباً من مصر سنة ١٧٧٢ . فأشفق عليه الامير يوسف ، حاكم لبنان ، وجعله والياً من قبله على بيروت . فما لبث الجزّار ان انكر جميل اللبنانيين ، محاولاً فصل بيروت عنهم والاستقلال بها . فحاصروه في المدينة ، وساعدهم على ذلك ظاهر العمر ، والمراكب الروسية. واضطرّوه الى الفرار والالتجاء الى ظاهر المذكور. ولكنه حظي سريعاً بالتفات الباب العالي ، وعُيّن والياً على صيدا . فحاول مرةً ثانية الاستيلاء على بيروت . غير ان حسن باشا قائد الاسطول العثماني ، اقامه منها بعد ان « زجره بالمقال»[3]. ثم جاء الاميرَ يوسفَ مصطفى قرامنلا ، كاخية الجزّار ، سنة ١٧٧٦ يطالب بالاموال الاميرية. فرفض الامراء اللمعيون مساعدة الحاكم على دفع ما ترتّب عليه . عند ذلك طلب الامير يوسف من مصطفى قرامنلا ان يأتي بعساكر الى بيروت لإحراق ارزاق اللمعيين. فاغتنم رسول الجزّار الفرصة ، واخذ من الامير اللبناني صكّاً بتسليم بيروت . فخرجت من يد اللبنانيين[4].

---

١) الامير حيدر احمد الشهابي : الدُّرر الحسان في اخبار ابناء الزمان (طبعة اسد رستم وفؤاد البستاني) ، بيروت ١٩٣٣ – ١٩٣٤ ، ص ٣٤

٢) الامير حيدر : الكتاب المذكور ، ص ٤٠ و ٤١

٣) الامير حيدر : ك.م. ٩٦–١١٧ ٤) الامير حيدر : ك.م. ١٣٠

اما بيروت هذه المسارخة عن لبنان فانها لم تكن على ما هي عليه اليوم من الاتساع . ورد في تاريخ الامير حيدر ان الجزّار اقترح على الامير يوسف الاجتماع به « قرب البلدة »، فنزل الامير عند رغبته ، وقدم مع قليل من رجاله الى « المصيطبة المقاربة المدينة »[1].

هذا ، ومن جهة ثانية لما جاء الشاعر الفرنسي لامرتين بلادنا سنة ١٨٣٢ ، نزل في دار وجيه من عائلة الجبيلي . والمنزل لا يزال معروفاً ، وهو واقع في حي مار مارون ، شارع سعيد عقل . ويقول عنه لامرتين : « بيت منفرد على نحو عشر او خمس عشرة دقيقة عن المدينة »[2].

وفوق ذلك ، وجدنا في معروض قدّمه قرنسيس مسك الى قنصل انكلترة ، طالباً حماية ارزاقه الواقعة في « ضواحي بيروت » ، ان المعترض ، في تعداد ارزاقه هذه ، يذكر داراً له « بجانب بوابة يعقوب بزقاق البلاط » . وكان ذلك في ٣ تموز ١٨٤٠[3].

فكانت اذاً بيروت محصورة ضمن اسوارها المعروفة الى مدة قريبة بين « بوّابات » السراي ، ورجال الاربعين ، والدركة ، ويعقوب ، وادريس ، والصنطية ، والدبّاغة[4] . اما سائر الاحياء المهمة المأهولة اليوم ، ومنها البسطة نفسها ، فقد كانت لبنانية من جبل لبنان . . .

وفي سنة ١٨٢١ ، لما اضطرّ الامير بشير الكبير الى هجر الجبل ، عيّنه صديقه عبدالله باشا ، والي صيدا ، حاكماً على بيروت[5] . ثم سافر الامير بشير الى مصر . وبعد عودته الى الحكم في الجبل ، حدث ان مراكب غريبة جاءت الى بيروت تريد ان تنهبها . فخاف السكّان ، واستغاثوا بالامير اللبناني ، فأرسل اليهم ابنه الامير خليلاً ، فاستقبله ، في غابة الصنوبر ، متسلّم المدينة واعيانها محتفلين به شاكرين حمايته .

---

١) الامير حيدر : ك . م . ٦٦

٢) Lamartine, *Voyage en Orient*, p. 168

٣) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٥ : ١٢٦

٤) المشرق : ٢١ [١٩٢٣] ٥٨٢ ٥) الامير حيدر : ك . م . ٢٢٤

وظلَّ الامير بشير متخذًا مهمة الحامية على بيروت ، وان لم تكن تابعةً له رسمياً . ففي السنة نفسها ، بعد ان زال خطر المراكب الاجنبية ، حوَّل مسلمو بيروت غضبهم على المسيحيين ، ونهبوا محلاتهم . فاضطُرَّ هؤلاء للإلتجاء الى الجبل . فتدخَّل الامير حاملًا عبد الله باشا على إنزال العقاب بالمتعدين . وكتب الوالي المذكور الى المسيحيين يطمئنهم ويطلب منهم ان يعودوا الى المدينة ، فلم يُذعنوا . فكتب اليهم الامير بشير بدوره ووعدهم بان تُعاد اليهم « ارزاقهم ومحلاتهم وحوانيتهم ومخازنهم » ، فلبّوا نداءه[1].

ولما استولى محمد علي باشا ، عزيز مصر ، على سورية ، سلَّم حليفه الامير بشيرًا مدينة بيروت بموجب « المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع » الموجّه من ابراهيم باشا الى مفتي بيروت ونقيب اشرافها وسائر علمائها . والمرسوم المذكور مؤرخ في ١ جمادى الاول ١٢٤٨ هـ. (٢٦ ايلول ١٨٣٢ م)[2].

ودارت بعد ذلك الدائرة على المصريين ، وعلى حلفائهم اللبنانيين ، وسقط الامير بشير من الحكم سنة ١٨٤٠ . واستولت الدولة العثمانية على بيروت ، وعيَّنت فيها والياً اصبح ، في سنة ١٨٤٢ ، مرجعاً للقائمقاميتين اللبنانيتين الدرزية والمارونية . ثم أُلحقت بيروت بولاية الشام سنة ١٨٦٤ ، على انها جُعلت سنة ١٨٨٦ مركز ولاية منفردة[3] ، بعد توسيع المدينة على نحو ما هي الآن.

فتكون بيروت منذ الفتح العثماني (١٥١٥) الى اندحار المصريين (١٨٤٠) ظلّت لبنانية مدة ماية وست وسبعين سنة . وكانت ، في باقي الاوقات ، تابعةً لولاية صيدا الملحقة بحكومة الباب العالي رأساً . ومتى قيل « بيروت » في ذاك العهد عُنيت المدينة القديمة المحصورة ضمن بوّابات السور . ولم تتبع بيروت والي الشام إلا مرةً واحدة من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦ ، اي مدة إثنتين وعشرين سنة لا غير.

لهذا ظلَّ البيروتيون ، بعد فصل مدينتهم عن لبنان ، يحنون الى وطنهم ،

١) الامير حيدر : ك.م. ٧٨٠ و٧٨١

٢) اسد رستم : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ٣ : ٤٦

٣) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت (طبعة شيخو) : ص ٢٧٠-٢٧٦

الاصلي، ويلجأون اليه وقت الملمات. وقبل اعلان الحرب الكونية بسنة ونيف، في ١٢ اذار ١٩١٣، تقدّم نوّاب بيروت في اللجنة الاصلاحية، السادة نخله التويني، ويوسف الهاني، وبترو طراد، وايوب ثابت، ورزق الله ارقش، وخليل زينيه، بمذكرة الى مسيو كوجه، قنصل فرنسة العام، يطلبون فيها إلحاق بيروت بلبنان[1]. وقد أعدمت الدولة العثمانية، في اثناء الحرب، احد موقعي هذه المذكرة يوسف الهاني.

وادي التيم

هذا ما كان من امر بيروت. اما وادي التيم، ومنه حاصبيا وراشيا ومرج عيون، فقد كان يحكمه، منذ القرن الثالث عشر، الامراء الشهابيون[2]. وكان لهؤلاء الامراء علاقة وثيقة بالمعنيّين، حكّام لبنان، وقد خلفوهم في الحكم سنة ١٦٩٧.

كانت هذه المقاطعات تابعةً لفخر الدين الكبير، امير لبنان. ففي سنة ١٦١٨، قبل عودة فخر الدين من ايطالية، عيّن ابنه علي الاميرَ عليًّا الشهابي مدبّرًا لمرج عيون[3].

ولما جهّز فخر الدين عسكرًا لمحاربة يوسف باشا سيفا، جمع رجال الشوف وكسروان، وكتب الى ابنه بان «يرسل الى الامير علي ابن الشهاب ليأتي برجاله اليه ثم يمشي بهم على اثر والده»[4].

وبعد مدة وجيزة، اختلف الاميران الاخوان: علي واحمد الشهابيان، فأرسل فخر الدين اليهما مشايخ من الشوف وفقوا بينهما واعطوا حاصبيا لعليّ وراشيا لاحمد[5].

---

١) «ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكّل بماليه» (نُشرت من قبل جمال باشا)، ١٣٣٦، ص ٤١ من النسخة العربية.

٢) الشدياق والمنطوربني وغيرهما.

٣) الصفدي: ك.م. ٦٣

٤) الصفدي: ك.م. ٧٤

٥) الصفدي: ك.م. ٨٤

وفي معركة عنجر(١٦٢٣) التي انتصر فيها خمسة آلاف لبناني على اثني عشر الف عثماني بقيادة والي الشام مصطفى باشا ، كان بجانب الامير فخر الدين ، الامير علي شهاب بجميع رجاله[١] .

وكان من الطبيعي ، بعد تولي بني شهاب على لبنان ، ان تكبر سلطة حاكم لبنان على وادي التيم . فاصبح الامير اللبناني مرجع انسبائه جميعهم ، سواء أكانوا في الشوف او في وادي التيم .

ففي سنة ١٧٧٤ مثلاً ، جاء الامير محمد الشهابي من راشيا الى الامير يوسف يطلب منه إنصافه وتوليته مع اخيه الامير منصور على راشيا . فلبّى الامير اللبناني طلبه وقسم بلاد راشيا بين الشقيقين[٢] . وبعد ذلك بست سنوات(١٧٨٠) اراد الامير سيد احمد ان يزاحم اخاه يوسف على الولاية ، فاستحصل من الوزير محمد باشا ، والي الشام ، خلع الولاية على « بلاد وادي التيم الفوقانية والتحتانية »[٣] . وغضب مرةً الجزّار من الامير اسمعيل ، امير حاصبيا ، فكتب الى الامير يوسف بان يتولى مباشرةً مقاطعة مرج عيون ، ففعل[٤] . (١٧٨٣)

وقد تصرّف الامير بشير الكبير بوادي التيم تصرّف الحاكم بامره ، فولّى الامير اسعد ابن الامير سليمان على حاصبيا ، مكان الامير يوسف ابن الامير فارس ، سنة ١٧٩٠[٥] . وبقي كذلك ، طول ايام حكمه ، يقيم في تلك المقاطعة من يشاء ، ولا يجرأ احد على مقاومته فيها . ففي سنة ١٨٢٦ قتل الامير فندي الشهابي عمه الامير منصوراً ، والي راشيا ، واستولى على املاكه . فغضب عليه بشير الكبير . فخشي الامير فندي بطشه ، وجاء اليه في دير القمر طالباً العفو ، فبلغ ما اراد ، وسلّمه الامير اللبناني الاحكام في راشيا[٦] .

ثم فُصلت مقاطعة وادي التيم عنا ، بعد سقوط الامارة اللبنانية ، وأُلحقت

١) الصفدي : ك.م. ١٤٦
٢) الامير حيدر : ك.م. ١٠٥
٣) الامير حيدر : ك.م. ١٢١
٤) الامير حيدر : ك.م. ١٢٥
٥) الامير حيدر : ك.م. ١٥٠
٦) الامير حيدر : ك.م. ٧٨٥

بولاية دمشق. وقد فكّر اعضاء اللجنة الدولية المجتمعة في بيروت سنة ١٨٦١، باعادة هذه المناطق الى لبنان. ومندوب انكلترة نفسه، رغم مقاومة دولته للبنان آنذاك، اقترح ضم جاصبيا وراشيا ومرج عيون الى «القائمقامية المسيحية». ولكن الاقتراح سقط، مع سائر اقتراحات المندوب الانكليزي في تجزئة لبنان الى ثلاث قائمقاميات: مارونية، ودرزية، وارثوذكسية[1]. فتكون منطقة وادي التيم، والحالة هذه، ظلّت حتى ١٨٤٠، مدة قرون، في حكم الامراء الشهابيين الخاضعين، في اكثر الاحيان، لانسبائهم ولاة لبنان من معنيين وشهابيين.

بعلبك والبقاع

اما بعلبك فقد كان يحكمها الامراء الحرافشة، ويراقبهم وزراء الدولة العثمانية في دمشق[2]. وكانت البقاع من المقاطعات «الملكانية»، اي التابعة للولاة الترك. ولكن امراء لبنان تولوا فعلًا عليها اذ كانوا يضمنونها. وها ان فخر الدين عيّن حاكمًا عليها كاخيته الحاج كيوان سنة ١٦١٣[3].

ولما اراد الوزير العثماني مصطفى باشا، والي الشام، ان يدافع عن الامير يونس الحرفوش، صاحب بعلبك، ضد فخر الدين، جهّز هذا الاخير عسكرًا وسار الى نبع عنجر، في البقاع، حيث تلاقى الجيشان: العثماني واللبناني. فظفر اللبنانيون، وولى خصومهم مدبرين. وأسر الوزير مصطفى باشا يوم الاربعاء ٨ محرّم ١٠٣٣ هـ. (١ تشرين الثاني ١٦٢٣)، وتابع الامير اللبناني مسيره المظفّر حتى وصل مدينة الشمس فحاصرها حصارًا شديدًا. وفي ١٠ ربيع الثاني ١٠٣٣ جاء رسول السلطان مراد حاملًا الى فخر الدين خلع الولاية باسم ابنه علي[4].

---

١) Jouplain, *La Question du Liban*, p. 461

٢) المينوريني والشدياق وغيرهما

٣) الصفدي: ك.م. ١٣٨

٤) الصفدي: ك.م. ١٦٦ وما قبلها.

وسنة ١٧٤٨ ، تسلّم الامير ملحم ، حاكم لبنان ، مقاطعة البقاع ، وولّى عليها اخويه منصورًا واحمد . ثم رام والي الشام ، اسعد باشا ، استرجاع البقاع . ولكن اللبنانيين احتفظوا بها . فوقع الخلاف بين الدولة العثمانية والامير ملحم ، وجرت معركة بين الفريقين في برّ الياس انتصر فيها اجدادنا . والمؤرخ الامير حيدر يقول ان ملحماً « رجع بعد ذلك الى دياره . وعليه من النصر علامات . وبين يديه من السعادات رايات . فعلت همته . وعظمت هيبته . ودخل اسعد باشا الى دمشق مكسور العزيمة . موشحاً من الذل ثوب الهمة الذميمة ».

وبعد الاستيلاء على البقاع ، اتخذ الامير ملحم السائحة ليثبت سلطته ايضاً على بعلبك ، فسيّر اليها جيشاً طرد منها الامير حيدر الحرفوش ، لانه كان موالياً للترك ، وولّى اللبنانيون مكانه اخاه الامير حسناً[1] .

والامير يوسف ، ابن الامير ملحم ، كتب بدوره الى عثمان باشا المصري ، والي الشام ، ليفوّض الى اخيه الامير سيد احمد ولاية البقاع ، فرضي الوزير . واستوطن الامير سيد احمد قبّ الياس ، وعمّر تلك القرية ، وحصّنها ، وجهّزها بالمدافع والآلات الحربية . وظنّ عثمان باشا ان في امكانه استرجاع البقاع ، فوجّه عسكرًا الى برّ الياس . غير ان حظه لم يكن بافضل من حظ سلفائه . فان الامير يوسف انتصر عليه ، واستبقى البقاع لاخيه . ولكن الامير سيد احمد اراد الخروج على اخيه حاكم لبنان ، فتغلّب عليه اللبنانيون ، وتولّى البقاع الامير يوسف بنفسه سنة ١٧٧٤[2] .

وكان الامراء الحرافشة يعترفون بسلطة أمراء لبنان عليهم . ففي سنة ١٧٧٤ توفي الامير حيدر الحرفوش فورثه في الحكم اخوه مصطفى . ولما اراد الامير درويش ، ابن حيدر ، ان يزاحم عمه جاء الى الامير يوسف يتوسّل اليه طالباً لنفسه الولاية . فرفض الامير اللبناني طلبه اولاً ، ثم عاد فقسم ، بناء على رجاء الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا ، بلاد بعلبك بين النسيبَين المتزاحمين[3] .

١) الامير حيدر : ك . م . ٣٨

٢) الامير حيدر : ك . م . ١٠٤ و ١٠٥

٣) الامير حيدر : ك . م . ١٠٦

وسنة ١٧٨٢ ، ارسل الامير يوسف عسكراً الى بعلبك ، بقيادة المؤرخ الامير حيدر والامير بشير قاسم الذي اشتهر فيما بعد بالولاية . فعزل اللبنانيون الامير مصطفى الحرفوش عن حكم بعلبك ، وولّوا مكانه إخاه الامير محمداً[1].

وسار الامير بشير الشهابي الكبير على منهج سلفه في السيطرة على بلاد بعلبك. فانه ما كاد يستلم الاحكام في لبنان حتى عزل الامير جهجاه الحرفوش، ووضع مكانه الامير قاسم ابن الامير حيدر الحرفوش سنة ١٧٨٩[2].

وان في تاريخ الامير حيدر الشهابي عبارةً بليغة في صلة البعلبكيين بلبنان. اسمع كلام المؤرخ في اخبار السنة ١٢٣٧ هـ. الموافقة للسنة ١٨٢١ م : « ثم رجع عسكر الامير بشير من بلاد بعلبك الى قرية المرمل لاجل طرد الامير سلطان واخوه الامير امين الحرفوش والشيخ حمود حماده الذين كانوا تظاهروا في الخيانة مع بيت حماده حين كان الامير في بلاد حوران .»[3] وظاهرٌ ان المؤرخ ، في قوله هذا ، لا يجعل اقل فرق بين بيت حماده ، اصحاب المنيطرة ، وهي من مقاطعات بلاد جُبيل ، وبين الامراء الحرافشة، اصحاب بعلبك ؛ بل يصف مقاومة الفريقين لامير لبنان بالخيانة.

وكذلك البقاع بقيت في يد الامير بشير يتصرّف بها تصرّفه في الشوف وكسروان ، فيمنع حيناً اهالي المتن من الاقامة او المرور بارض البقاع وزحله (١٨٠٥)[4].

والشيخ ناصيف اليازجي يُعدّ، في رسالته التاريخية، البقاع من جملة مقاطعات جبل لبنان كالمتن وبلاد جُبيل[5] (١٨٣٣)

وهناك حادثتان رائعتان تأيدت بهما سيادة الامير بشير على البقاع وبعلبك باجلى مظهر. اما الاولى فجرت سنة ١٨٠٩، اذ اراد يوسف باشا ، والي الشام ،

---

١) الامير حيدر : ك.م. ١٢٤
٢) الامير حيدر : ك.م. ١٥٠
٣) الامير حيدر : ك.م. ٦٩٢
٤) الامير حيدر : ك.م. ٤٢٧
٥) الهلال : ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥١٥

ان يستولي على البقاع . فرفض اللبنانيون قبول طلبه ، واستعدوا لمنازلته . وساعدهم سليمان باشا ، والي صيدا ، ورفع الامر الى الاستانة ، فعزلت يوسف باشا ، وعيّنت مكانه سليمان باشا . فسار هذا برفقة الامير وعسكر لبنان الى دمشق ففتحوها عنوة ، وطردوا يوسف باشا . وبعد ان أيّد الامير بشير مركز الوالي الجديد في دمشق ، و « تمّم جميع ما يلزم من النظام » ، تَرَكَ المدينة ، « ورجع الى بلاده بالعزّ والنصر . » وفي هذه الواقعة يقول المعلم نقولا الترك ، شاعر الامير ، قصيدة طويلة مطلعها :

عرا الكونَ خطبٌ هوله لا يقدّر اثارته اوغادٌ من البدو فُجّرُ

ومنها ، بعد ذكر انتصار الامير بشير :

بهذا يجازى من يخاصم اميرنا ومن يسعى طرق البغي لا بدّ يعثرُ

. . .

وذاع الثنا لاميرنا الفاتح الذي له غرةٌ عن وصفها اللسن تقصرُ(١

واما الثانية فجرت في صفر ١٢٣٧ (١٨٢١) اذ جاء حسن اغا العبد ، حاكم البقاع من قبل الوالي العثماني الى عتيق فطرده اهلها . فسرق الطرش (ثمنه ٨٧٠ كيساً) الخاص باهالي الجبل وساقه الى دمشق . فأمر الامير بشير الجبليين الموجودين في تلك الناحية ان يرحلوا الى زحلة ، واستعدّ لارسال عسكر الى ولاية دمشق. فقبض درويش باشا على اللبنانيين الموجودين في ولايته وعيّن محمد اغا بوزو حاكماً على البقاع ، وارسل معه ٢٠٠ خيال « فاعرض الامير الى عبدالله باشا عن تجرّي باشة الشام على قرايا البقاع وارسل عسكره » ، فوعده بالمساعدة. وارسل الامير ابنه الامير خليلاً بعسكر الشوف الى البقاع . ولدى وصولهم فرّ محمد بوزو من وجههم ، عائداً الى مولاه في دمشق.

فعرض درويش باشا على الامير أن يضع الشروط التي يراها للصلح. فاجاب طالباً :

١ً رفع الضبط عن بعض قرى البقاع الخاصة ببيت جنبلاط.

٢ً ان يكون حاكم البقاع تابعاً للامير اللبناني « كما كان قديماً » و « يرفع

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٥٥٠، ٥٥٩ -- ٥٦٢

زود المطالب المستجدة على رعايا البقاع ».

٣ً ان يختار الامير اللبناني حاكم وادي التيم من بيت شهاب فيكون تابعاً له.

٤ً ان يعين الامير بشير الامير الحرفوشي لحكم بعلبك « لاجل رفع المظالم عن رعايا تلك البلاد »[1].

ولم يستغن اللبنانيون ، في ساعة من الساعات ، عن بعلبك والبقاع بعد استيلاء الاتراك عليهما سنة ١٨٦١. فان داود باشا ، اول متصرف على لبنان ، ضمن البقاع من الباب العالي وسمّى عليها قائمقاماً من قبله خورشيد بك ، والد اسعد بك خورشيد المقتول في بيروت في ٧ نيسان ١٩٢٢ . على ان الدولة العثمانية استعادت البقاع في عهد رستم باشا (١٨٧٣—١٨٨٣).

اما اهالي تلك المناطق فاسمع ما يقول قنصل فرنسة في دمشق عن مساعيهم. نقتطف الفقرة التالية من رسالة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩١٣ موجهة من « القنصل العام المكلّف بالقنصلية الى فخامة السيد بومبار :

« لي الشرف بان احيط فخامتكم علماً اني استقبلت مرتين ، في بحر الاسبوع الماضي ، وجيهاً ذا نفوذ واسع في بعلبك ، هو نخله باشا مطران ، وقد كان منذ سنتين اميناً للسر في السفارة العثمانية ويعرف الكثيرين من رجال سياستنا . وهو ينتمي الى طائفة الروم الكاثوليك. . . قال لي : ان الحالة الحاضرة لا تطاق . اننا عازمون على الحصول على ضم بعلبك وسهل البقاع الى لبنان ، واليه يرجعان جغرافياً . نحن في حاجة ، في ذلك ، الى مساعدة وحماية الحكومة الافرنسية. اننا جميعاً ، من مسلمين ومسيحيين ، متفقون لان نتوصل الى هذا الامر . ونعرف كيف نتغلّب على المعارضة العثمانية اذا حصلت . فان قسماً من اهالي بعلبك مؤلف من عصاباتنا ، والمدينة موقع فريد : فهي مفتاح سورية الداخلية وطرقها. ان الزعيم الشيعي ، اسعد بك حيدر ، وهو الرجل الاكثر نفوذاً في المنطقة ، وعبد الغني الرفاعي ، زعيم المسلمين ، عازمان معي على إلحاق بلادنا بلبنان سواء أرضيت تركية ام لا . وقد اتفقنا على الذهاب الى بيروت لمحادثة

---

١) الامير حيدر : ك.م. ٦٦٨

السيد كوجه بمشروعنا ، لان حضرته يهتم خصوصاً بما له صلة بلبنان . ولكن رأيتُ من واجبي ان احادثكم ايضاً بها باسمي، وبالنيابة عن اسعد بك وعبد الغني ، لان بعلبك داخلة في دائرة اعمالكم »[1].

ان هذه القطعة ، واستشهاد نخله باشا في كانون الثاني ١٩١٥ على افظع صورة عرفها تاريخ الهمجية ، يكفيان في نظرنا لإثبات حقوق لبنان على البقاع وبعلبك ، وللتعبير عن عواطف اهالي تلك الاراضي الطيبة نحو وطنهم العزيز .

منطقة صيدا

كانت امارة فخر الدين ممتدّة جداً من الناحية الجنوبية . فالمؤرخ الصفدي يلقّب دائماً امير لبنان « بامير لوا. صفد »[2] ، وكثيراً ما كان ممثلو الباب العالي يجدّدون للامير خلع الولاية على صيدا . نذكر من هذا القبيل تسليم الصدر الاعظم مراد باشا « سنجقية صيدا وبيروت واغزير » للامير علي ابن الامير فخر الدين سنة ١٦٠٨[3].

وكان فخر الدين ، او ابنه علي اثناء غياب الاول ، يولّي اناساً من قبله على صيدا وسائر مقاطعات الجنوب. ولما اراد احمد حافظ باشا اغتصاب صفد من لبنان ، وعيّن والياً عليها حسين اليازجي ، اضطرّ العسكر اللبنانيّ الواليَ المذكور الى الفرار. واستعاد الامير علي صفد ، فولّى عليها « مصطفى كتخدا » ، وسلّم صيدا لطويل حسين « وصرّفه في جميع بلادها وصرّف عمّه الامير يونس في بلاد بني بشاره »[4] ، والبلاد الاخيرة من مقاطعات جبل عامل.

وعندما عاد فخر الدين من اوربة، سنة ١٦١٨، اقبل اليه في عكا جميع مشايخ جبل صفد وجبل عامل وصيدا « حضروا الى عكا وقبّلوا اياديه » ،

---

١) كتاب جمال باشا المذكور . اغفلنا في تعريب الرسالة على النسخة الافرنسية ص ٤١ – ٤٢ ، لارتباك الترجمة في النسخة العربية ص ٢٢

٢) الصفدي : ك.م. ٥

٣) الصفدي : ك.م. ٦

٤) الصفدي : ك.م. ٦٣

ويتابع المؤرخ : « وكان يوم دخوله الى صيدا يوماً مشهوداً »[1].

واستغلّت الدولة العثمانية تضعضع لبنان على اثر سقوط فخر الدين ، فاستولت على مقاطعاته الجنوبية ، ومنها صيدا حيث جعلت ، سنة ١٦٦٠ ، مركزاً لولاية واسعة . ولكن في سنة ١٦٩٨ ، عجز الوالي التركي عن حكم جبل عامل ، فولّى عليه الأمير بشيراً الاول . فقدم الامير اللبناني الى المقاطعة العائدة ، وتغلّب على الثائرين و « رجع الى دير القمر مايداً منصوراً »[2] . ثم عاد الاتراك بعد مدة قليلة فاغتصبوا جبل عامل ثانية .

وفي السنة ذاتها (١٧٠٥) ، طلب الامير حيدر الشهابي من الوالي المذكور ولاية بلاد بشارة لتأديب اصحابها بني علي الصغير . فتأثر الباشا بهدايا الامير ، ورضي بولاية حاكم لبنان على تلك المقاطعة . فسار الامير حيدر بعسكره الى النبطية ، وظفر فيها ببني علي الصغير ، وولّى من قبله على بلاد بشارة الشيخ محمود ابو هرموش ، من الشوف ، « ورجع بعد ذلك الى دير القمر منصوراً مظفراً يصحبه العز والتأييد »[3].

توفي الامير حيدر سنه ١٧٣٠ ، فرفع بنو علي الصغير رأسهم وشمّروا به ، فاغتاظ منهم الامير ملحم ، ابن الامير حيدر ، ووريثه ، واستحصل على خلع الولاية على ديار بشاره ، وسار على بني علي الصغير . وفيما هو سائر عليهم قدم اليه سلمان الصعبي ، صاحب مقاطعة الشقيف ، طالباً منه الامان . ولما تغلّب الامير ملحم على اعدائه ، ولّى على بلادهم من قبله سلمان الصعبي المذكور ، ثم اعاد الولاة السابقين حكّاماً بالنيابة عنه (١٧٣١)[4].

واصبح لبنان بعد ذلك ملجأ لاهالي جبل عامل . ففي سنة ١٧٩٩ مثلاً ، لما سافر بونابرت بالجيوش الافرنسية الى مصر بعد حصار عكا ، خاف العامليون من انتقام الجزّار لمساعدتهم الافرنسيين ، فجاءت وفودهم الى الامير بشير الكبير في دير القمر تطلب حمايته[5].

---

١) الصفدي : ك.م. ٧٠
٢) الامير حيدر : ك.م. ٥ و٦
٣) الامير حيدر : ك.م. ٨ و٩
٤) الامير حيدر : ك.م. ٢٩
٥) الامير حيدر : ك.م. ١٩٣

وفي المدة ذاتها قدم من الاستانة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا لمحاربة الافرنسيين . فأرسل الامير بشير ، للسلام عليه ، في قره مرط ، الشيخ حنا الدحداح والشيخ حسون الورد ابن شيخ عقل الدروز . فاستقبلهما باكرام ، ووعد الامير بالخير . وفعلاً ، بعد ما قبض مبلغاً من المال ، ارسل الى الامير بشير خلع الاحكام على « جبل الدروز (اي الشوف والمتن وكسروان) ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وبلاد جبيل . يكونوا مالكانات له لا يرجعوا لتحت يد الدولة . ولا يكون الى الباشاوات عليه تسلط . بل اموال المليه تنورد منه الى الخزينة العامرة كما كانت في زمان ابن معن »[1] :

وكان من الطبيعي ان ينتزع الجزّار جبل عامل من اللبنانيين . ولكن محمد علي ، وابنه ابراهيم باشا ، اعادا الى الامير بشير صيدا وصور وكل ايالة صيدا ، جاعلين « جميع المتسلمين واصحاب المقاطعات تصرفهم من يد الامير امراً ونهياً »[2] .

وهذا ما يقوله الشيخ ناصيف اليازجي ، في رسالته المكتوبة سنة ١٨٣٣ ، لدى كلامه عن البلاد اللبنانية : « وهذه البلاد اعظم بلاد العشاير قدراً واشدها بأساً واكثرها اشرافاً واوسعها بقعة وحاكمهم اكبر حكام العشائر وكلهم ينتمون اليه ويعظمونه ولاسيما اصحاب جبل عامل ووادي التيم وبعلبك فانهم يعتبرونه كحاكم عليهم ولا يصدرون في العظائم الا عن امره »[3] .

ثم استولى الاتراك ، بعد عودتهم ، على الجنوب ، كما استولوا على جميع المناطق المتسة للبنان (١٨٤٠) . وقد حاول اللبنانيون ، مع داود باشا ، ان يوسّعوا حدود حكومتهم الممتازة في الجنوب ايضاً . وقدّم اهالي صيدا بالاجماع معاريض طالبين إلحاقهم بالجبل اللبناني . وشدّد داود باشا في الامر حتى قدم كتاباً الى الباب العالي يطلب فيه إما تحقيق رغائب اللبنانيين وإما قبول استقالته . فاختارت الدولة المخرج الاخير[4] .

---

١) الامير حيدر : ك . م . ١٩٥ ، وتاريخ روفايل كرامه (طبعة المطران قطّان) ١٥٧ .

٢) الامير حيدر : ك . م . ٨٢٢ .

٣) الهلال ١٣ [١٩٠٤ – ١٩٠٥] ٥٢٠ .

٤) George-Samné, *La Syrie*, 1920, p. 213

وبقيت هذه المنطقة تابعة ولاية بيروت الى نهاية الحرب الكونية. ولم تتبع ولاة الترك في دمشق الا مرة واحدة ، مثل بيروت ، من ١٨٦٤ الى ١٨٨٦ ، اي اثنتين وعشرين سنة لا غير ، بينما ظلّت اربعة قرون كاملة في اخذ ورد بين امراء لبنان ووزراء الدولة العثمانية في صيدا.

منطقة طرابلس

بقي علينا الكلام في منطقة طرابلس ، ومنها عكّار ، والضنية.

كانت عكار مقاطعة خاصة آل سيفا « حكام غزير ». وتولى بعدهم عليها آل حمادة ، اصحاب بلاد جبيل في القرن السابع عشر ؛ اخيرًا استقرّ الحكم فيها للمراعبة . والأسر الثلاث ورد ذكرها في تاريخ الميخائيل البيطوريني (١٨١٩) في باب هذا عنوانه : « اصل الامراء والمشايخ في لبنان »[1].

وفي الحروب التي وقعت بين فخر الدين الكبير ويوسف سيفا ، والي طرابلس ، دخل العسكر اللبناني مرارًا ارض عكار . وقد منع فخر الدين خصمه من ان يبني في هذه المقاطعة حصونًا . ولما خالف ارادته ، ذهب الامير الى عكار ، وارسل مع الامير سليمان سيفا ، ابن اخي يوسف باشا ، رجالًا ليحاصروا سكمانية الوالي في « حارات عكار » . فطلب السكمانية الامان واستسلموا . فهدم فخر الدين جميع « الحارات » التي جدّدها عدوّه ، وابقى في عكار الامير سليمان سيفا مع « خمسة باركباشية من باركباشيته »[2] (١٦٢٠).

وفي ١٦٢٣ عُيّن عمر باشا والياً على طرابلس ، فرأى ، لدى وصوله اليها ، ان يساير فخر الدين ، فوجّه اليه خلع الولاية على عكّار والضنية ، طالباً منه عشرة آلاف غرش. فأرسل له الامير خمسة عشر الف غرش. ثم ذهب بنفسه الى طرابلس فاستقبله في سرج البحصاص ، عمر باشا ، وقاضي طرابلس ، وجميع اعيانها ؛ ودخلوا به مدينتهم عزيزًا مكرّمًا[3].

وظلّ اصحاب عكار والضنية يتصرّفون ، في مناسبات شتى ، تصرّف المعترفين

١) البيطوريني : في « المشرق » ٣ [١٩٠٠] : ٧٧ وما يليها.
٢) السعدي : ك. م. ٤٧ ٣) السعدي : ك. م. ١٢٢-١٢٣

بسلطة امراء لبنان عليهم . نورد مثالاً على ذلك ما جاء في تاريخ سنة ١٧٧٩ للعينطوريني ، لدى كلامه عن حصار الجزّار لمدينة جُبيل : « والعسكر الذي كان داخل جبيل كان عقيدة الامير حيدر اخو الامير يوسف . ومعه داخل الحصار الشيخ عثمان شديد بعسكر عكار ومشايخ بيت رعد بعسكر الضنية ومشايخ بيت ضاهر ومشايخ بيت الدحداح برجال بلد جُبيل والفتوح ومشايخ الجبّة ومشايخ الكوره بيت العازر وكامل رجال مقاطعات المذكورين. »[1]

نرى من هنا ان المؤرخ العانش في المحيط اللبناني ، في عهد الامير بشير الكبير ، لا يميّز بين بيت رعد وعثمان شديد ، وبين البيوتات المعروفة بلبنانيتها ، ولا بين عكار والضنية ، وبين مقاطعات لا جدال في لبنانيتها ايضاً . وكان بيت رعد والمراعبة يشتركون في بعض الحزبيات اللبنانية . ففي ١٧٩٦ تظاهر فاضل الرعد، حاكم الضنية ، بتأييد اولاد الامير يوسف، وساعدهم على الامير بشير[2].

وكانوا يلجأون في الملمّات الى امراء لبنان. في سنة ١٨٣٢ خاف محمود بك وابراهيم بك الاسعد من ابراهيم الباشا المصري فما احتميا إلا بالامير خليل ابن الامير بشير الكبير ، فطمأنهما[3].

من هؤلاء اللبنانيين ، بني سيفا والرعد والمرعب (شديد والاسعد) ، كان كثيرون من ولاة طرابلس. واشهرهم: يوسف باشا سيفا (١٥٩٠—١٦٢٤) وعلي باشا الاسعد (١٨٢٥) وعثمان باشا شديد، ومتسلّم طرابلس فاضل الرعد(١٧٩٥)[4].

وقد جرت بين الاول ، يوسف باشا سيفا ، وبين فخر الدين الكبير ، حروب كثيرة . وكان امير لبنان يفوز دائماً ، فاصبح الطرابلسيون يخافون منه خوفاً شديداً . ففي ١٦١٩ ، توجّه فخر الدين الى البترون لمناظرة احوالها ، وما كاد يعرف ابناء الفيحاء بتوجّه الامير شمالاً حتى هبطت افئدتهم ، وركضوا الى القلع والابراج يتحصّنون فيها. . . ولم يستعيدوا صوابهم الا عندما

١) العينطوريني : مخطوطة المكتبة الشرقية N° 47 ، ٤٥

٢) الامير حيدر : ك.م. ١٨٠ ٣) الامير حيدر : ك.م. ٩٠ و٩١

٤) الامير حيدر : ك.م. ٢٦٢ و١٢٥ و١٨٠

تحققوا ان الامير لم يقصد مدينتهم[1].

واشتدّت العداوة بين الامير والباشا . فارسل الاول كاخيته الى الاستانة ليطلب ولاية طرابلس ، إمـا له ، وإما لاحد انصاره ، حسين باشا الجلالي . فنجح الكاخية في مسعاه ، واستحصل على خلع الولاية لحسين باشا . ولكن يوسف باشا استدرك الامر ، فتصالح والامير ، واتفقا على ان يتزوّج الامير علي ابن فخر الدين ابنـة يوسف باشا ، والامير بلك ابن يوسف سيفا ابنة فخر الدين[2]. فبقي يوسف باشا في مركزه (١٦٢٠).

ثم اختلف الرجلان من جديد. واستحصل فخر الدين من الباب العالي اوامر بمطالبة يوسف باشا بالاموال الاميرية . ولما ابطأ الوالي عن الدفع ، سار الامير اللبناني بعسكره الى طرابلس ، واستولى عليها. ويقول المؤرخ : « وبعد ذلك عاد الى طرابلس منصوراً وما عاد احـد خرج من الجماعة التي في الابراج لانكسارهم وذلتهم التي حصلت لهم . » (١٦٢١)[3]

ورأينا اعلاه كيف ان عمر باشا ما كاد يُعيّن والياً على طرابلس حتى شعر بضرورة الحصول على صداقة امير لبنان فأعطاه عكار والضنية.

وظلّ لامراء لبنـان شأن في حوادث طرابلس وتأثير على ولاتها ، سواء أكانوا غرباء ام لبنانيين . ففي ١٧٩٢ قبض خليل باشا ، والي طرابلس ، على محمد بك الاسعد من عكّار ووضعه في السجن. فاستنجد اخوه شديد بك بالامير قعدان الشهابي المتولّي في تلك السنة شؤون لبنان . فجمع الامير رجالاً وتوجّه الى البترون من حيث كاتب خليل باشا بشأن الاسعد، فأطلقه لقاء كفالة مالية[4].

وقـد تمشّى الامير بشير الكبير على سياسة سلفائه في التدخل بشؤون طرابلس . ولمـا هاج بعض اصحاب المقاطعات في ولاية طرابلس على الوالي مصطفى اغا برير ، كتب هذا الاخير الى امير لبنان يطلب مساعدته « مظهراً له خلوص طويّته » ، فأجابه بشير الى طلبه واصلح له الحالة[5].

---

١) الصفدي : ك. م. ٨٣ ٢) الصفدي : ك. م. ص ٩٠ و ٩١
٣) الصفدي : ك. م. ص ١٠١ ٤) الامير حيدر : ك. م. ص ١٦٩
٥) الامير حيدر : ك. م. ص ٥٢٩

كانت اذاً منطقة طرابلس متصلة بلبنان اتصالاً وثيقاً. فان عكار والضنية خضعتا مراراً لامراء لبنان ، وطرابلس نفسها كانت دائماً تحت تأثيرهم . فكان من اللازم لواليها ان يساير حاكم لبنان ويماشيه حتى يبقى في مركزه . ولم تتبع طرابلس ولاة دمشق قبل ١٨٤٠ إلا احياناً قليلة. وبعد ١٨٨٦ اصبحت متصرفية ضمن ولاية بيروت. وقد طالب بها داود باشا سنة ١٨٦٨ مع صيدا والبقاع.

***

هذه خلاصة ما وجدنا في تصفحنا للتاريخ . ولا بدَّ من الاشارة الى اننا لم نعثر على اية كلمة تشير الى وجود شيء يُسمّى سورية كان في امكانه ان يزاحم لبنان على حدوده الجغرافية . وانما كان هناك وزراء عثمانيون في دمشق وفي صيدا ، وامراء لبنانيون يحكمون بلادهم فيوسّعونها محاولين بجميع الطرق توحيدها ، ويضطرّون احياناً للتخلي ، مرغمين ، عن بعض المناطق. او بالاحرى كان فريقان لا ثالث لهما : لبنان بضعفه وايمان اهليه الوطني ، والدولة العثمانية بقوّاتها من رجال ومال.

وما الاراضي المنضمّة الى لبنان ، بعد الحرب ، الا مناطق نعرفها وتعرفنا ، كنّا ، في كل حين ، اذا فصلوها عنا ، نبحث عنها وتعود الينا حرَّة كريمة لبنانية . اما الحكم اللبناني فنترك الكلام في وصف آثاره لعالم جليل من علماء الاسلام، هو الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي، كاتب فخرالدين. فبعد ان وصف شقاء الديار الصفدية، قبل حاول فخر الدين فيها ، قال ما يلي عن الامير اللبناني : « امنت به الطرقات . ونجت به النفوس من الهلكات. وانقطعت بها اثار اللصوص. الذين كانوا ينصبون لاذى المسلمين فيها الشصوص. وعمرت البلاد . ورجع من كان نزح منها من العباد . وساد العدل في الرعية . ورضيت بأفواله وافعاله البرية . . . وازهت لذلك وربت. ومن كل زوج بهيج انبتت. واكتست رونق الحسن والجمال. . وهجم على اهاليها السرور والفرح. . . فعاشوا في ظله بعيش رغيد. ونسأل الله تعالى ان يديمه علينا الى يوم الوعد والوعيد. وما ذلك على الله ببعيد . »[1]

---

١) الصفدي : ك.م. ٢ و٣

نقد نقّاد المتنبي

ابراهيم اليازجي – الحسين المرصفي – جرجي زيدان – احمد الاسكندري – احمد حسن الزيّات – حافظ ابراهيم – احمد شوقي – احمد ضيف – كامل كيلاني – زكي مبارك – فؤاد افرام البستاني – الدّرينيّ – محمد كمال حلمي – عبّاس محمود العقّاد – ابراهيم عبد القادر المازني – شفيق جبري – محمد الاسمر

بقلم رجيس بلاشير

الاستاذ في معهد اللغات الشرقية الحيّة في باريس

تكاثرت ، في الآونة الاخيرة ، المنشورات في درس ابي الطيّب المتنبي ، فكان بعضها مقدمات للاحتفال بذكراه المائية ، وكان بعضها لتالية لذلك الاحتفال ؛ وجلّها يمت بالسبب القوي الى المناسبات الظرفية والنزعات العالية . حتى اصبحنا نتوق الى درس يترفع عن تأثير البيئة والعصر ، فيصل الى النظرة الشاملة دون ان يعرض عن التفصيل الدقيق . فعلى لنا – من ابحاث قليلة في هذا النوع – بحث وافٍ مستفيض للمستشرق رجيس بلاشر (١ ضمّ في صفحاته الشاهدة بالعلم والجلد خير ما تُرجى معرفته عن المتنبي واثره . ولا يتسع لنا المجال اليوم لتدبر الكتاب حقّ قدره ، فنعود اليه في جزء مقبل ، ان شاء الله . انما نكتفي الآن بنشر فصل من فصوله (٢ ، خصه المؤلف بنقد نقاد المتنبي من ادباء الشرق المعاصرين ، بعد ان قدّم كلمة في انتشار طبعات الديوان ، فعلّنا نُلمّ ان ينظر من ابعد مما ينظر اليه ادباؤنا ، فيحكم عليهم بما قد لا يستطيعون الحكم به . قال:

لقد كان من نتائج إدخال المطبعة الى العالم الاسلامي ، في مطلع القرن التاسع عشر ، العمل على نشر شعر المتنبي.

ففي الهند ، في كلكوتا سنة ١٢٣٠ (١٨٢٤) ، ولأوّل مرّة ، مثّلت المطبعة دورًا في مصير ديوان ابي الطيب[٣]. وابتداء من هذا الحين اخذت

1) Régis Blachère, Un poète arabe du IV^e siècle de l'Hégire (X^e siècle de J.-C.) : Abou ṭ-Ṭayyib al-motanabbi. (Essai d'histoire littéraire) In-8°, XIX+366 pp. Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935.

٢) هو الفصل الرابع من القسم الثاني من الكتاب ، وعنوانه في الاصل : ديوان المتنبي والعالم « العربي » العصري .

٣) طبعه احمد شِرواني في مجلد واحد ، صفحاته ٤٠٢ وهو مفقود اليوم . انظر بروكلمان ١ : ٨٨ ؛ سركيس ١٦١٦ وهو يذكر خطأً السنة ١٢٣٠ ؛ راجكوتي : زيادات ، في المقدمة . سلستر دي ساسي : منتخبات عربية (الطبعة الثانية) ٣ : ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٠ اعتمد مرّات عديدة على هذه الطبعة الاولى للديوان

الطبعات تتعدد : في هُوغلي سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠)[1] ، وفي ديوبند[2] ، وكلكوتا سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) ، و١٢٦١ (١٨٤٥) (مع شروح بالفارسية)[3] وفي سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) طبع ثانيةً (مع شرح العكبري)[4] . وسنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) و١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي ممزوجين)[5]، وفي بومباي سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) (مع ترجمة الشاعر مأخوذة من كتاب ابن خلّكان ، وشرح الواحدي)[6] ثم سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢)[7] و١٣١٠ (١٨٩٢)[8]

وكان على مصر ان تنتظر نصف قرن قبل ان تحذو حذو الهند. ففي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) ، ظهر في القاهرة نصّ الديوان ، وعلى هامشه شروح مأخوذة من الواحدي والعكبري[9] . ومنذئذٍ اخذت الطبعات تتتابع دون انقطاع : في بولاق سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) (مع شرح العكبري كاملًا)[10] وفي القاهرة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) (مع شرحي العكبري والواحدي على الهامش)[11] وفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠) (مع شرح العكبري ، وعلى الهامش صبح البديعي) ؛ وسنة ١٣١٠ (١٨٩٢) (النص وحده)[12] واخيرًا سنة ١٣١٥ (١٨٩٧)[13]..

١) طبعة عبد الله خان ، ٢+٣١٠ صفحة . انظر سركيس ، ١٦١٦

٢) منه نسخة في القاهرة (فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ (ب) بدون تاريخ .

٣) شروح المجي صفحاتُهُ ٦٦٤ . انظر سركيس والراجكوتي : في الاماكن المذكورة .

٤) طبعه بدرناوي ، ٨٥٦ ص . انظر سركيس ٢٩٥ ، ١٦١٦

٥) ذكرها فؤاد افرام البستاني — المشرق ١٩٢٧ : ص ٩٠٤

٦) طبعه عبد الحسين حسام الدين طبعة حجرية ، ٢٥٨ صفحة . انظر سركيس ١٦١٦ .

٧) طبعه مول جلال الدين طبعة حجرية ، ٢٩٦ ص . انظر سركيس : المكان المذكور

٨) جدّد طبعه مختصرًا عن الطبعة السابقة ، ٢٥٤ ص . انظر سركيس : المكان المذكور ، وبروكلمان ١ : ٨٨ .

٩) هو نصّ اثبته محمود منقارَى الفرضي . واختار الشروح من مؤلّفي الواحدي والعكبري عمر الرافعي ؛ طبعة حجرية في ٣٩٢ ص . منها نسخ في القاهرة (فهرس دار الكتب) ٣:١٤٦ ، (ا) ، وفي رباط .

١٠) في مجلدين ؛ وهو نادر جدًا . انظر سركيس ٢٩٦ ، ١٦١٦ .

١١) مطبعة ابو زيد ، طبعة حجرية ، ٣٥٦ ص . سركيس ١٦١٧ .

١٢) مطبعة امين هنديه . منه نسخة في القاهرة (فهرس . . .) ٣:١٤٦ (ب)

١٣) سركيس ١٦١٧

كانت نتيجة عمل التعميم الذي قامت به المطبعة ان ادخلت ديوان ابي الطيب في جميع نواحي العالم الاسلامي . ففي افريقية الشمالية يستشهد به أدباء الطراز القديم ، ولاسيما المراكشيون منهم ، في ظروف عديدة . اما الجيل الناشئ المؤثرة به المؤثرات الشرقية ، فيبدو ، هو ايضاً ، معجباً بالمتنبي اعجاباً لا يحار من التأثر بالاحكام السابقة ، انما يظهر بروح غير الروح المعروفة في آبائه[1] . وكذلك نرى ديوان المتنبي معروفاً ، منذ اربعين سنة ، في منطقة من العالم العربي ، بعيدة عن هذه المنطقة ؛ في عُمان ، كان الادباء المثقفون يعرفون آثار شاعرنا[2] . ثم ان الهند ، التي كانت اول طابعة للديوان ، كما رأينا ، لا تزال تهتم به الى اليوم - يشهد بذلك درس حديث للراجكوتي ، الاستاذ في جامعة عليگره ، جمع فيه مقاطع للمتنبي غير موجودة في طبعات الديوان الاخيرة[3] .

وسواء أنظرنا الى افريقية ام الى الهند ام الى اية ناحية أخرى من العالم

---

١) سألني طلبة مراكشيون، لبضعة اعوام خلت ، ان اشرح لهم قصيدتين او ثلاث قصائد لشاعر الكوفة. فكان لبعضهم ما اضحكهم لدى قراءة ابيات بارزة التكلف. وقد لاحظت عند آخرين شيئاً من خيبة الأمل لتلاوة قصائد شاعر لا يفهمونه الا بمعونة الشروحات الكثيرة. واذاً فقد كان اعجابهم الأول مؤسساً على الاحكام السابقة.

٢) Reinhardt, *Ein arab. Dialekt... in Oman*, XIII

٣) طبعت هذه المقاطع في القاهرة ، سنة ١٣٤٦ (١٩٢٧) ، بعنوان « زيادات ديوان شعر المتنبي » . وهي مأخوذة :

ا من طبعات الديوان الظاهرة في كلكوتا سنة ١٢٥٧ و١٢٦١

ب من مجموعات ادبية مختلفة

ج من مخطوطتين للديوان محفوظتين في بومباي ، ترقى احداهما الى القرن السادس للهجرة ، (الثاني عشر) .

د من مخطوطة للديوان محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ١١٥٣ (١٧٤٠)

ه من مخطوطة أخرى محفوظة في حيدراباد ، مؤرخة في السنة ٦١٥ (١٢١٨) ، مستندة الى النسختين الاصليتين :

ا نسخة رجاء بن الحسن ، المنسوخة عن نسخة ضبطها المتنبي وابن جني .

ب مخطوطة علي بن عبد الرحمن السُّلمي (ت ٥٧٦ = ١١٨٠) استاذ الحكبري (اطلب ارشاد الاريب ٥ : ٣٤٧ ، وبغية الوعاه ٢٤١) المنسوخة عن نسخة ضبطها علي القُشَيري وأخرى ضبطها علي البصري ، ترقى اثنتاهما الى نسخة المتنبي الاصلية .

الاسلامي ، فاننا نتحقق ان معرفة قصائد ابي الطيب لا تزال من خصائص عدد محصور من المتأدبين . وليس في هذا ما يدعو الى الاستغراب . كذلك القول عن القرون الوسطى اذ كان الاشخاص القادرون على التصرف بالعربية المدرسية بسهولة يمكنهم وحدهم ان يطمحوا بمعرفة هذه القصائد . بيد انه في مصر وسورية، حيث تستند الثقافة الى تضلّع بليغ من العربية، كان لفهم القصائد جمهور اوسع واوفر خبرة من جميع من عداه . واذاً ففي هذين القطرين وجب ان تتوصل الدروس الحديثة في المتنبي الى اوسع انتشارها .

***

وقد ظهر ، بادئ بدء ، ميل الى تجديد الشروح . لان شروح الواحدي والعكبري اصبحت قديمة مهملة . فرغب الناس في غيرها ، رغبوا في شروح واضحة ، موجزة ، اضبط من الاولى .

في السنة ١٨٦٠، اصدر العالم الماروني بطرس البستاني[1] ، المدينة له الآداب العربية بالشيء الكثير، في بيروت شرحاً جافاً ادرك النجاح حالاً ، وجددت طبعته عدات مرات[2] .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام السوري ناصيف اليازجي[3] — الذي سيمثل في نهضة بلاده الفكرية دوراً يعادل، على الاقل، دور البستاني — فدرس بحميّة قصائد مادح سيف الدولة . فتأثر به تأثراً عميقاً في شعره الخاص . وقضى حياته منصرفاً الى تأليف شرح له لم يسمح له الموت باتمامه . فجمع ابنه ، ابراهيم اليازجي[4] هذه المواد وطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ تحت عنوان « العَرف

---

١) ولد في لبنان سنة ١٨١٩ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٨٣ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٨٣٥

٢) بيروت المطبعة السورية سنة ١٨٦٠ ، ٣٨٣ ص . جددت طبعته سنة ١٨٦٧ و١٨٨٢ و١٨٨٧ ٣) ولد في لبنان سنة ١٨٠٠ ، وتوفي في بيروت سنة ١٨٧١ . اطلب دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٤ — ١٢٢٥

٤) ولد في بيروت سنة ١٨٤٧ وتوفي في هذه المدينة سنة ١٩٠٦ . دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ١٢٢٥ (ب) — [المشرق : قلنا : والصواب ان الشيخ ابراهيم اليازجي توفي في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، لا في بيروت .]

الطيب في شرح ديوان ابي الطيب »[1] . اما قصائد المتنبي ومقاطيعه فمرتبة في هذه الطبعة الجديدة حسب نظام تاريخي يكاد يكون اكثر ضبطاً منه عند الواحدي . وقد حُذف شيء من بعض القصائد[2]، واثبتت روايات لبعض الابيات لم تكن دائماً موفقة[3] . ويظهر ان شرح الواحدي كان مستنَد ناصيف اليازجي وشروحه على كونها اوسع من شروح البستاني ، تقتصر على الزبدة ، بل انها تنحصر احياناً في حلّ بسيط للنص الشعري . بيد ان هذا الاثر ، بصورته الموجزة ومظهره السهل التداول، يبدو متمماً موفقاً لشرحي العكبري والواحدي، فيظهر شيئاً فشيئاً جديراً بان يُعتبر اثراً مدرسياً . وبعده لا يُنوَّه الا على سبيل الذكرى بالطبعة المهذَّبة المشروحة التي نشرها الماروني سليم صادر[4] .

ولم تحذُ مصر حذوَ لبنان الا متأخرةً جداً . ففي السنة ١٣٤٨ (١٩٣٠) فقط، أخرج الناقد البرقوقي[5] « شرح ديوان المتنبي »[6] . لكنه ، بانصرافه الى ترتيب القصائد حسب نظام قوافيها الابجدي ، وبما يظهره من ازدراء بدرس البيئة التاريخية وبالمعلومات عن حياة الشاعر[7]، يخرج اثره بعيداً كل البعد عن التوفّق، ولا يبدّد شيئاً من الغموض العالق بالشروح الاخرى . انما مظهره الطبعي وحده

---

١) ص ٢ مقدمة عن المتنبي ؛ ص ٢ – ٦٢٤ شرح ؛ ص ٦٢٥ – ٦٢٦ مُلحق . ص ٦٢٧ الى الآخر درس لابراهيم اليازجي في المتنبي

٢) في القصيدة ٢٤ حُذفت الابيات ٥ – ٨ . وفي القصيدة ١٦٨ نُشر ١٩ بيتاً بدل ٢٩

٣) يازجي ٨٤ السطر ٤

٤) «ديوان ابي الطيب المتنبي» بيروت سنة ١٩٠٠ ، ٥٠٠ صفحة . ترجمة قصيرة للشاعر مأخوذة عن «الصبح» ثم قصائد مرتبة حسب النظام التاريخي، فهرس للقوافي . ولها طبعة جديدة سنة ١٩٢٥

٥) عبد الرحمن البرقوقي ، منشئ مجلة «اليان» المصرية . انظر شيخو : « المشرق » كانون الاول سنة ١٩٢٢ ص ٩٤٦ . وتاريخ الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٦ ؛ سركيس ٥٥١ .

٦) طبع في القاهرة ١٣٤٨ (١٩٣٠) في مجلدين . الأول ١٦ + ٥٠٤ ص . ، والثاني ٥٥٥ + ١٨ ص . مقدمة ، نص وشروح في الحواشي ، ملحق ، فهرس .

٧) ويرى البرقوقي ان الاطلاع على ترجمة حياة المتنبي لا يضيف شيئاً الى فهم النص . انظر المقدمة ١ : ١ .

قد يُمهّد له مجال الاستعمال .

***

كل هـذه الشروح التي ذكرنا تظهر نهائياً أشبه بتجديد لشروح القرون الوسطى منها باعمالٍ مبتكرة . ذلك لان الموضوع لم يكن في الحقيقة ليتّسع لشيء آخر . وبضدّ ذلك ، نرى دروس البحّاثة السوريين والمصريين ، التي سيخصّصونها بحياة المتنبي وشعره تدلّ يوماً فيوماً على مقاطعة القرون الوسطى . على ان هذه المقاطعة لن تكون جازمةً البتة . ذلك اننا نرى عند الكثيرين تقهقراً ، وتردّداً ، وكثيراً من بقايا الماضي . ففي درس ظهر في بيروت سنة ١٨٨٧[1] ، يأخذ ابراهيم اليازجي على نفسه (ص ٦٥٢) ان يدرس شعر المتنبي « من حيث هو كلام تُراد منه المطابقة بين المسموع والمفهوم » ، ولكنه ينسى تماماً هذه الغاية ويهتمّ خاصة بتبيان نواقص دروس القرون الوسطى ، واصلاح الاخطـاء التفسيرية ، التي تشوّه أثر فنّان طائر الصيت قد يكون ، في عبث الصبي ، توصّل الى ابيات فارغة المعنى حتى لا نتصوّر نسبتها الى اضعف الشعراء . غير ان حسناته في عهد نضجه لا تحصى .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، قام الشاعر المصري البارودي[2] ، مَن دانت له الآداب العربية بيقظتها الجديدة ، فاستشهد في مجموعته « المختارات » بنحو ثلاثمائة بيت للمتنبي كامثلة للمدح ، والرثاء ، والتوسيعات الحكميّة[3] .

وبعده ببضع سنوات ، قد يكون شاعر مصري آخر ، هو توفيق البكري[4] ، الّف مقالاً عنوانه « مناقب المتنبي ومعايبه »[5] ، خصّه ، على الارجح ، بشخصية

---

١) مطبوع في آخر العَرف الطيب ، ص ٦٥٢ وما يليها

٢) محمود سامي باشا البارودي وُلد في القاهرة سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) وتوفي فيها سنة ١٣٣٢ (١٩٠٤) . سركيس ٥١٤ . زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٤ : ٣٤٩ ؛ وتراجم مشاهير الشرق ١ : ٢٤٨

٣) المختارات ١ : ٢٥ وما يليها . و ٣ : ١ وما يليها ، ٢٣١ وما يليها ؛ ٤ : ١٠٤ وما يليها ، ٢٥٣ وما يليها ، و ٤٢٧ وما يليها ، و ٤٧٤ وما يليها .

٤) شاعر ، وكاتب ، وناقد ، ولد في القاهرة سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وتوفي في بيروت . انظر زكي مبارك : النثر العربي ٧١–٧٣ ؛ واحمد عبيد ١٦٨–١٧١ ؛ وسركيس ٥٨١

٥) وقد يكون ظهر هذا المقال في مجلة «المقتطف» ١٨٩٣ م ١٧ ص ٢٦١ . وهو موضع

الشاعر الخُلُقيَّة.

وهكذا نرى انه لا البـارودي ولا البكري تحرّرا من آراء القرون الوسطى الأدبية. فهما يكتفيان بترداد الأحكام التي أُطلقت على المتنبي لمدة قرون خلت.

وبقايا الاعصر القديمة هذه نفسها نتحققها ايضاً في اقوال الحسين المَرصفي[1] الذي يظهر للسامع كانه احد شيوخ ابن خلدون عند ما يُصرّح لتلاميذه: «مسلم بن الوليد، وحبيب بن أوس (ابو تمام) وابو الطيب المتنبي، وابو العلاء المعرّي، قومٌ تكلّفوا البديع، واخضعوا المعنى للفظ، وتعمّقوا في درس مذاهب الفلاسفة. ولم يخلُ كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين مذاهب العرب البادين. فدرسهم خطل، والعناية بهم حمق، والإعراض عنهم الى الشعراء المطبوعين اصابة وتوفيق.»[2]

على انّ هذا الموقف العدائي منفرد كل الانفراد. فتلاميذ المرصفي انفسهم كانوا اوّل الثائرين عليه بسبب معاكسته الميول المُحدَثة المرتسخة في الشرق يوماً بعد يوم، هذا الشرق البالغ الى معرفة النقد التاريخي والاسلوب الادبي معرفة تزداد جلاء كل يوم. حتى ان الانفصال عن بقايا القرون الوسطى يكاد يتمّ فلا يبقى الّا بزوغ القرن العشرين لاثباته وتأييده.

***

هذه المؤثرات تظهر، قبل كل شيء، بمحاولة اسلوب جمعي تأليفي (synthèse) ميّز خاصة تلك الكتب التعليمية في التاريخ الأدبي، المطبوعة

اشار اليه فؤاد افرام البستاني في «الروائع» ١١: ٣٨. غير ان هذه الاشارة غير صائبة، ومع كل اجدني لم اوفق الى العثور على المقالة.

[المشرق: استغربنا من المستشرق الفاضل ان لا يجد المقالة المذكورة. وقد رجعنا الى المجلد ١٧ من المقتطف (سنة ١٨٩٣) فاذا المقالة هناك في عشر صفحات من ٢٦١ الى ٢٧١]

١١ الحسين بن احمد المرصفي مدرس في الازهر – القاهرة – توفي سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠). سركيس ١٧٢٥. زيدان: آداب ٤: ٢٦٥. شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢: ٤.

١٢ اوردها طه حسين في ذكرى ابي العلاء: المقدمة: ب.

حوالى ذلك العصر . هكذا تبدو تراجم حياة المتنبي لمحمد المرصفي[1]، وجرجي زيدان[2] ، والاسكندري[3] ، والزيات[4].

ثم نرى ان النقد يجتهد شيئاً فشيئاً في اكتشاف مفكر ، مبتكر ، عميق ، في المتنبي. فيما كان المعاصرون موقف « شرق » القرون الوسطى القليل الاكتراث للابتكار المعنوي ، والمعجب خاصة بفنّ الشعراء[5]، معتبرين ان لا شعر حقيقي بدون عمق شعور وابتكار فكرة يرفعها جمال المبنى الذي انما هو محمل الفكرة ليس غير[6].

على أنّ شهرة المتنبي في الاوساط الاوربية ، في دمشق ، والقاهرة ، وتونس ، في وقتنا هذا ، صادرة عن ينبوع آخر . هي تلك المؤثرات القومية والعربية

١) ادب اللغة العربيّة . هُديت الى هذا الدرس ، ولكني لم استطع أن اختبر محتوياته .

٢) آداب . ٢ : ٢٤٥-٢٤٩ : ترجمة، بحث ادبي، تعداد اشهر الدروس النقدية والطبعات لديوان المتنبي.

٣) تاريخ أدب . . . العصر العبّاسي ص٢٧٥-٢٨٨ : حياة الرجل واخلاقه، قيمة الشاعر، ميزة قريحته ، شعره الحكمي.

الوسيط (بالاشتراك مع مصطفى عناني) ٢٢٣-٢٢٦ . ترجمة حياته ، موازنة بين المتنبي وابي تمام والبحتري.

٤) تاريخ الادب . . . ص٥ ٢٢-٢٢٧ . ترجمة مأخوذة من «اليتيمة» ، حُكم مأخوذ قسم منه من الكتاب نفسه ، مع آراء للمؤلف.

٥) ولنا بهذا المعنى تصريحات جازمة عديدة في القرون الوسطى. من ذلك قول قدامة : «اذ كان الشعر انما هو قول . واذا اجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد . » (نقد الشعر ٤٥) وقول الجاحظ : «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي . وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج . » (الحيوان ٣ : ٤١) واقوال العسكري الكثيرة في هذا الباب : «وليس الشأن في ايراد المعاني . . . وانما هو في جودة اللفظ وصفائه . . . مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف . . . والكلام اذا كان لفظه حلواً مذيباً، وسلساً سهلاً، ومتناه وسطاً ، دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع النادر . » ثم يذكر ابياتاً «ليس تحت الفاظها كبير معنى وهي رائقة معجبة» (الصناعتين ٤٣) ولنختم بقولنا ان الثعالبي في «يتيمته» ١ : ١٢٤ يعدّ من « معايب شعر المتنبي ومثالبه» خروجه «عن طريق الشعر الى طريق الفلسفة » . كذلك عند ما يعنى الحاتمي المتنبي بخلقه شعراً فلسفياً ، لا يُعجب بابتكار الفكرة بل بمهارة الفنّان الذي نقل الى العربية فكرة مأخوذة من ارسطو.

٦) كما يُستخلص من رأي لشوقي استشهد به عبد الفتّاح : أدباء ١ : ٢٦

الشاملة ، التي تحمل المسلمين على أن ينتبروا ، في « شرق » القرون الوسطى ، عن رجالٍ يقابلون بهم رجال الغرب ، تجعل من مادح امرأة سوريّة ومصر وفارس مثلاً للعبقرية العربية ، منتصباً تجاه العبقرية الاعجمية او غير العربية . وهكذا يظهر المتنبي بمظهر ڤيني (Vigny) او گوته (Goethe) ، بل بمظهر نيتشه (Nietzsche) شرقيّ يبرهن بقدرة باهرة عن المساواة الثقافية في بلاد هي اليوم تحت وصاية اوربّة الفكريّة والسياسيّة

وليس علينا ان نقف لدى الملاحظات الموجزة ، على وضوحها ، في فلسفة المتنبي ، وعروبة شعره الخالصة ، كالتي تصادفها في كتب زيدان والاسكندري[1] . فما هناك في الحقيقة سوى افكار عامة تحاول ، في غير توفيق ، ان تستر فقر الفكرة النقدية . وقد يكون اوفر فائدةً أن ننتبه لتصريحات الزيات[2] الذي يرى في ابي الطيّب لا فنّاناً « وفّق بين الشعر والفلسفة ، وجعل كل عنايته بالمعنى » فقط ، بل مجدّداً « اطلق الشعر من القيود التي قيّده بها ابو تمام وشيعته ، وخرج به عن أساليب العرب المخصوصة . فهو زعيم الطريقة الابتداعية (romantique) (كذا!) في الشعر العربي » . واذا بمدّاح امرأة القرن العاشر ، المعروف بوافر احترامه للتقليد الأدبي ، لا يظهر كمفكّر بل كشاعر من نوع هوغو (Hugo) يأتي باسم الالهام الحرّ ، فيقلب تلك العقائد المبالَغ في توقيرها في المذهب المدرسي . ولو قابلنا بما تقدّم تصريحات الشاعرين حافظ ابراهيم[3] ، وشوقي[4] ، المتأثر كلاهما

---

١) انظر الاسكندري : تاريخ ادب . . . العصر العبّاسي ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ؛ زيدان : آداب ٤ : ٢٤٧

٢) تاريخ الادب العربي ٢٢٧

٣) محمد حافظ ابراهيم المولود في القاهرة سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) كان ضابطاً في اول امره ، ثم عيّن اميناً في دار الكتب في القاهرة سنة ١٣٢٩ (١٩١١) . انظر سركيس ٧٢٦ ـ السندوبي ٢٤٦ وما يليها . وهو القائل في مقدمة ديوانه : « واكثرت التأمل في شعر ابي الطيّب فاذا شعره حيّ يتفزّز . ولم ارَ في الشعراء نفساً أعلى من نفسه ، ولا طريقاً الى المعالي اخصر من طريقه . وخير شعره ما كان في الحكم والامثال . ولو سلمت اقواله من ذلك التناقض ولم يكن أسلوبه عاقاً لاساليب اللغة العربية ، لكان أشعر شاعر في الاسلام . » كتب هذا سنة ١٣١٩ (١٩٠١)

٤) احمد شوقي بك وُلد في القاهرة سنة ١٨٦٨ ، درس دروسه العالية في مونپلييه . وزار

تأثرًا عميقًا بالفن « المتنبي » ، وحُكمَ الناقد احمد ضيف[1] المصيب بقوله انه لا يرى في المتنبي الّا سابقًا لابي العلاء المعري — لما تجاوزت هذه التصريحات مجال التلميح الخفي المتردّد.

وحتى هذا الزمن، وعلى الرغم من الشهرة المتزايدة يومًا عن يوم التي يتمتع بها ديوان المتنبي في الاوساط المثقفة في مصر وسوريّة ، لم يظهر درس واحد اجماليّ رصين . انما كان يُكتفى بنظرات عامّة ، سطحيّة ، وبترجمات الكتب التعليمية في تاريخ الأدب ، وببعض المقالات الفارغة . حتى كانت السنة ١٩٢٠ فبدأت عصرًا جديدًا للدروس « المتنبّية ».

اخذ النقد الشرقي يعرض احيانًا بتعمق لبعض نواحٍ من حياة شاعر الحمدانيين ، ولبعض مظاهر نتاجه الأدبي . ومن هذا النوع مثلًا ، نذكر مرّةً واحدة مقالات كامل كيلاني المختصة بعلاقات ابي الطيب بابن خالويه، وبابي فراس في حلب[2] . ومن هذا النوع ايضًا تطويلات زكي مبارك في أطروحته « النثر العربي في القرن الرابع »[3] او البحث الذي ظهر غفلًا في « القبس » في مزاج الشاعر العربي[4] .

واحيانًا اخرى ، يأخذ النقد على نفسه ان يُؤدّي للجمهور دروسًا اجمالية

الجزائر وانكلترة . انظر عبد الفتّاح ١ : ٢ ؛ وعيد ١ : ٦٣ وسركيس ١١٥٨ ؛ والبندوبي ٦ وما يليها . وهيكل : مقدمة الشوقيات . قال الشاعر في مقدّمته للطبعة الاولى (الشوقيات ١ : ٥–٦) : «معجز المتنبي لا يزال يرفع الشعر ويليه ؛ ويغري الناس به فيجدده ويحببه . وحسبك ان المشتغلين بالقريض عمومًا ، والمطبوعين منهم خصوصًا ، لا يتطلعون الّا الى غباره ، ولا يبتدون البدى الّا على مناره » (كتب ذلك نحو السنة ١٣٠٨ (١٨٩٨)

١) مولود في القاهرة ، وهو حاليًا استاذ في الجامعة المصرية . وهاك ما يصرّح به في «محاولته » ص ١٧١ «شعر المتنبي خاصةً بالفكرة الفلسفية التي كانت تلهمه في شعره ، وهي هذه الصبغة الفلسفية التي ترفع المتنبي الى مستوى ابي العلاء المعرّي ، وان يكن المفكّر الكبير الاعمى يظلّ فوقه . . . ولا يخفى ان هذا النوع من الشعر الانساني يكاد يكون مجهولًا بين العرب » (ظهر هذا الكتاب سنة ١٩١٧)

٢) مقالات نشرت في مجلة « المقتطف » تشرين الثاني ١٩٢٩ ، كانون الاول ١٩٢٩ ، كانون الثاني ١٩٣٠ ٣) ص ١٤٣ – ١٤٥ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١١٨ – ٢٠٠

٤) ظهر في شباط ١٩٣١ ، في دمشق.

اكثر فنّيّة ، واقل اقتضاباً ، من الدروس التي في كتب التاريخ الأدبي.

هذه هي حال درس فؤاد افرام البستاني الظاهر في بيروت سنة ١٩٢٧ تحت عنوان : « ابو الطيب المتنبي : الرجل والشاعر »[1]. ففي قسم اوّل ، يصف فؤاد افرام البستاني ، مستنداً الى مصادر قديمة وحديثة[2] ، حياة شاعر الكوفة (ص ٨٣١–٨٤١) . وفي قسم ثان يرسم صورة الشاعر الخلقية (ص ٩٠٠ وما يليها) . وفي قسم ثالث يعدّد اهمّ المؤلفات التي خُصّت به (ص ٩٠٣ وما يليها) . وأخيراً يذكر أثر ابي الطيب الأدبي ويستنتج بقوله : « ان المتنبي ، ككل شاعر عظيم ، عظيم الحسنات وعظيم السيّئات ايضاً . . . وبينا نشاهد حوله الجماعات من شعراء الغزل اللطيف ، والوصف الدقيق ، والمجون المستملَح ، نراه ، هو وحده ، شاعر العظمة » (ص ٩٠٦ وما يليها) .

فاذا كان فؤاد افرام البستاني — كما يظهر لنا من كلّ ما في مؤلّفه — قصد قبل كل شيء ، أن ينشر بين الشبيبة المثقّفة ما تجب معرفته عن حياة ابي الطيب وشعره ، فقد نجح كلّ النجاح . بل نحن نقول إنّ مقالته ، بما يكمّلها من جزءَي المنتخبات المنشورين في « الروائع »[3] ، تؤلّف انموذجاً من احسن النماذج الظاهرة في الشرق حتى اليوم في تعميم التاريخ الادبي.

وكنّا نود لو نستطيع القول نفسه عن سلسلة مقالات للدّريني ظهرت في القاهرة ، سنة ١٩٢٨[4] . وفيها ان ابا الطيب « اشعر شعراء العرب » دون شك ! ولكنه ، الى ذلك ، فنّان احتفظ بالاثر العميق الذي تركته في نفسه

---

١) ظهر في «المشرق» : تشرين الثاني ، وكانون الاول ١٩٢٧ ، ص ٨٣٠ – ٨٤١ ، ٩٠٠ – ٩٠٩ . وقد طبع هذا الدرس مقدّمة لمنتخبات المتنبي في مجموعة «الروائع» (بيروت ١٩٢٧) الجزء ١١ ١ – ٣٨ . وانا احيل على «المشرق» .

٢) مسرودة في الروائع الجزء ١١ : ص : كز وما يليها . وهذه هي : ابن خلكان ، نزهة الالباء ، ابن نباتة ، المكبري ، الواحدي ، الوساطة ، اليتيمة ، الحاتي ، الصبح ، من القرون الوسطى . وتوفيق البكري ، العقّاد ، غبريالي من العصر الحديث .

٣) بيروت ١٩٢٧ الجزء ١١ : المدائح والاهاجي ؛ الجزء ١٢ : المراثي والمفاخر والحكم ، مع شروح وتعاليق ادبية موجزة ، ولكنها وافية الوضوح .

٤) ظهرت في « الاخبار » في ١ و٦ و١٣ و١٨ ربيع الاخر ١٣٦٧ اي ١٤ و٢٠ و٢٦ و٣ تشرين الاول ١٩٢٨

مصر المضيافة . . وها اننا نجتاز خطوة جديدة. فبعد الشاعر—الفيلسوف «العربي» المنصوب تجاه الشعراء – الفلاسفة الاوربيين، نرى النقد يعمد الى تشريح المتنبي نفسه كي يقابل « العراقيّ » فيه « بالمصري » . وبعد هذه المقدمة ، لا نعجب للسذاجات التي تتضمنها هذه المقالات . فالدريني ، مثلاً ، يكتب ببرودة ان سيف الدولة ذهب خصوصاً الى حلب ليستقبل ابا الطيب ، وان هذا الاخير لم يدّع النبوة في الملوة ، لانه ينكر ذلك ، هو نفسه ، في احدى قصائده ! ثم ان هذا الدرس ، فوق ذلك ، ينمّ عن عجز غريب في الحكم على مؤلف في عصره . فالناقد لا يشعر بتا في المطالع الغزلية من اسلوب تقليدي مصطلح عليه . وهو يوافق ، دون تردّد ، على الحكم الذي اصدره اعداء الشاعر في القرون الوسطى على جملة القصائد المنظومة قبل وصول المتنبي الى بلاط الحمدانيين معجباً بعدّة مقاطع يستشهد بها من القصائد الموجهة الى سيف الدولة . ولكن فقر القصائد الموجهة الى كافور لا يمنعه القول ان اجمل ابيات المتنبي هي التي نظمها في مصر[1] . والنتيجة ان دراسة الدريني العارية اجمالاً من اية قيمة علمية لا تفيدنا الا اثبات بعض اتجاهات النقد العصري في مصر .

هذا ، وقد لا يكتفي النقد احياناً بالعمل التعميمي ، بل يُصدر ابحاثاً خاصة في حياة المتنبي ، وفلسفته ، واخلاقياته ، وصفات شعره البارزة.

من هذه الابحاث نذكر ، بالترتيب التاريخي، بحث محمد كامل حسني الظاهر بعنوان : « ابو الطيب المتنبي ، حياته وخلقه وشعره واسلوبه »[2]. وغاية المؤلف فيه تتضح من المقدمة ، اذ يذكر ان النقد القديم لم يكن يرى في الشعراء الا المدّاحين والهجّائين. اما اليوم فيريد التعرّف الى اوجه الشعراء ، وتفهّم انفسهم، والوصول الى افكارهم الصيتة . . . وهو يأسف اذ يرى القوم ينسبون لرجال كدانتي ، وشكسبير ، وهوغو ، وغوته ، عرض المقاييس الفنيّة ، والمذاهب الاجتماعية، والتجريدات الفلسفية ، والاكتشافات النفسية، بينما لا يجد في زملائهم

١) وليس هذا الحكم منفرداً . فقد ردّده ابن القدسي اثناء الاحتفال بذكرى المتنبي الالفية . انظر « الف با » بتاريخ ٦ حزيران ١٩٣٥

٢) القاهرة ١٣٣٩ (١٩٢١) ١٢ + ٣٩٠ ص

من ابناء اللغة العربية الا المدّاحين والهجّائين . ثم يقول الكاتب ما ملخصه : ان الكثيرين من ادباء العصر الحاضر يتهكّمون على الشعر المدحي ، وان بعضهم يتجاوزون ذلك الى القول انه شعر الشحّاذين ... ولكننا لا نرى رأيهم ، بل نقول لهم : ليغربلوا ابيات المدّاح ، وليتزعوا منها ما وضعه الشاعر استدراراً للمال ، وليظهروا ، بعد ذلك ، حقيقة نفس الشاعر ، ومظاهر طموحه ... ليحلّلوا مجالي رغباته وافكاره الخاصة . ولا شكّ ان هذه النتائج الضئيلة تقودهم الى نتائج اوسع مجالاً تعمل على تكبير شعرائنا في عيوننا وفي عيون الاجانب. (ص ٥ من المقدمة)[1] . واذاً فنحن امام نظرية يضعها الناقد قبل ان يباشر درسه . يريد حلمي ان يبرهن على ان الشعر العربي لا ينحط في شيء عن غيره. فهل المتنبي ذلك الرجل الموافق لمثل هذا المشروع ؟ بلا شك ، يجيبنا الناقد . (ص ٧ من المقدمة) ، ففي شعر ابي الطيب ، فوق ما يختص بعصره ، قسط وافر من الصفة « الانسانية ». فقد شارك هذا الشاعر البشر في آمالهم وآلامهم ، وصوّر نقائصهم ، ومفاسد قلوبهم ، ووصف الدواء لادوائهم ... (ص ٨ من المقدمة) ، وظاهر ان شعره تغلّب على الموت لان المدائح والاهاجي ليست فيه الا جزءا ضئيلاً بالنسبة الى المجموع.

قلنا : يُخشى ان مثل هذا الدوران في القياس ، المبرَّر جزئياً ، يؤدّي بحلمي الى تأويل غير مقبولة ، لما تتعرّض له من مبالغة . وعلى كلّ ، دونكم ما يتضمنه هذا البحث : يدرس المؤلف ، في فصل اول (ص ١ — ٧٨) حياة الشاعر بالتفصيل ، مكتفياً ، على الغالب ، بمراجعة اقوال اصحاب التراجم المعروفين . على انه بعض الاحيان — كما هي الحال في الدعوة الثورية في الدولة — يُجلّل الوسط التاريخي ، ويحاول ان يجد فيه شرحاً لافعال شوّهها التقليد . وفي فصل ثانٍ (ص ٧٩—١٢١) يرسم حلمي صورةً للمتنبي لا جديد فيها . وكذلك الفصل الثالث (ص ١٢٢ — ١٧٧) في شعر ابي الطيب وفي احكام النقد « العربي » المختلفة ، فانه لا يبدو اكثر ابتكاراً . اما الفصل الرابع (١٧٧ وما يليها) فانه

١) لخّصنا آراء الناقد عن الترجمة الفرنسية لانا لم نقف على اصل الكتاب . وهكذا القول عمّا يأتي من الشواهد المأخوذة من الكتاب نفسه . (المشرق)

بالضد يدلّ على جهد حقيقي في التجديد . يرفض حلمي تقسيم الفنون الشعرية المتبع في النقد الشرقي ، ويبتغي تقسيماً جديداً . فيدرس في الديوان : الشعر العاطفي (ص ١٧٨ وما يليها) الظاهر في الهجاء والنسيب والرثاء؛ فالشعر الوصفي (ص ٢١٠ وما يليها) كمشاهد الطبيعة والحيوانات والمعارك والاشخاص البشرية ؛ فالشعر الفلسفي (ص ٢٢٤ وما يليها) كبعض النظريات التشاؤمية والارتيابية ، واللاأدرية والزهدية المعبّر عنها في بعض الابيات . وعلى كل نوع من هذه الانواع يسرد المؤلف شواهد مبينة ، ويوضح المظهر الذي يظهر به هذا النوع في الديوان . وفي الفصل الخامس (ص ٢٥٤ وما يليها) يدرس الناقد فنّ المتنبي فيلاحظ اولاً (ص ٢٥٥) ان هذا الشاعر، على سيره في الطريق التقليدية، أدخل في الادب العربي المنظوم عنصراً جديداً يتخذه ابو العلاء من بعده : وهو القيمة المعنوية . ثم يشير (ص ٢٥٨ وما يليها) الى طريقة الشاعر في تجديد قالب تعبيري قديم يُوجزه او يتوسّع فيه ؛ والى كيفية ميل اسلوبه عامةً نحو الايجاز والتعبير الحكمي (ص ٢٦١ وما يليها) . ثم يبين (ص ٢٦٤ وما يليها) النفحة الخطابية التي تتخذها بعض التراسيع . وينتقل الكاتب ، بعد هذا ، الى القيمة الموسيقية في ابيات المتنبي (ص ٢٧٠ وما يليها) فيستشهد بتفاعيل وزنية صوتية ناتجة إما من المقابلات اللفظية ، او من تقطيع الشطرين تقطيعاً متساوياً ، او من مراجعة اللفظة نفسها . ويشير اخيراً الى ميزات الاسلوب (ص ٢٧٦ وما يليها) كاستعمال الفاظ غريبة قديمة ، او نادرة ، او مبتذلة ، ويهتمّ خاصة (ص ٢٨٣ وما يليها) بظهور التضاد في الابيات العديدة، وبتمارين اشبه بتمارين كبار البيانيين (ص ٢٨٥ وما يليها) كالنكات ، والتلاعبات اللفظية . وهكذا ينهي بحثه منتقراً الى نتيجة او خاتمة ، كما يبدو للمطالع . وذلك انه بعد ان اطلعنا على ذلك المبدأ الدائر في القياس الذي يقرّه حلمي في مقدمته، كان من المنتظر ، رفقاً للمنطق السليم ، ان نجد في آخر الكتاب ، نظرةً شاملة تُرينا « الانسانية » الخالدة في شعر المتنبي . والحال ان خلاصةً كهذه لم تكن ، بل يمكننا القول ان هذا الدرس ما كان الا ليوضح ، بطريقة نهائية : كل ما استفاده ابو الطيب من زمنه وسوابقه الادبية . وهكذا فان الموضوع استعبد حلمي حتى انه كاد يمس

تأويل تقرب من سوء الفهم الادبي . وليس من شأننا ان نتذمر من هذه الموضوعية (objectivité) غير المختارة. فانها افادتنا درساً لا يزال ناقعاً من غير شك ، ولكنه ارقى من كل ما تقدمه في الشرق « العربي ».

وقد ظهر منذئذٍ عدد غير قليل من الدروس تكتمل في نظر مؤلفيها ، ما اكتفى حلمي بمثله فقط.

من هذا النوع سلسلة مقالات للعقاد[1] ظهرت سنة ١٩٢٣ ، وهي تستحق انتباهاً خاصاً[2] . في احداها يعرض الناقد لموضوع ثورة ابي الطيب في السماوة (ص ١١٨—١٢٣). فيلقي بنظرية تقرب من نظرية كراتشكوفسكي، وتستند ، من جهة، الى حوادث مستمدة من البيئة التاريخية الدينية ، والى فكرة الشاعر الفلسفية من جهة أخرى . وتقود الى الاستنتاج ان المتنبي لم يدع النبوة بمعنى اللفظة الحرفي ، بل استعان بدعوة دينية على تحقيق مطامعه السياسية . وهذه الدعوة استحقّت له هذا اللقب. وفي المقالة الثانية (ص ١٢٤—١٣٠) يدرس العقاد ميل الشاعر الى احتقار العالم المحيط به ، والى التبجح بسموّه الشخصي. فيجد ، في هذه الاستعدادات الطبيعية ، مبرّرًا لبعض مظاهر الفن « المتنبّي » كالغلوّ في الفخر ، واستعمال التصغير الاحتقاري. واختصّ بحثٌ ثالث (ص١٣١ — ١٣٨) بشهرة المتنبي : والناقد يرى في هذه الشهرة مصدر الحسد والبغض والشحناء التي جرت وراء الشاعر، طول حياته ، والتي طالما تذمّر منها في شعره. ويلاحظ الناقد ايضاً ان هذه الشهرة قد استفادت — بحكم ردّ الفعل — من المشاحنات التي دارت حول الشاعر ، ومن المنافسات بين الامراء الراغبين في استمالة المادح كلٌّ الى بلاطه. ويضيف ، في مقالة رابعة (ص١٣٩—١٤٣) ، انه ، على الرغم من كل هذا ، يبقى المتنبي مديناً بشهرته لعبقريته قبل كل شيء. والعقاد يرى فيه « شاعرًا من شعراء العرب العظام. وجد الشاعر العظيم (عنده) هو ان تتجلى

١) عباس محمود العقّاد ناشر، وناقد ، وشاعر ، وُلد في اسوان سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩). انظر المشرق ١٩٢٧ ، ص ٩٤٤ ؛ وزكي الدين ١٠٨ وما يليها ، وسركيس ١٢٤٧

٢) هذه المقالات ظهرت في « البلاغ » ، القاهرة ، في ٤ و١٠ و١٩ و٢٥ و٣١ كانون الاول ١٩٢٣ ، وفي ٧ و٢٨ كانون الثاني ، و٦ شباط سنة ١٩٢٤ . ثم جمعها العقّاد في « مطالعاته » ص ١١٨ — ١٧٩ ، وعليها أحيل.

في شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها ، وجلالها ، وعلانيتها ، واسرارها ؛ او ان يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة، ومذهب في حقائقها وفروضها ».

ولا شك في ان المتنبي « لم يكن ممن شغفوا بتحاسن الطبيعة واسرارها، ولكنه كان ممن يُقبلون بجملتهم على جهاد الحياة في وسط المعمعة ... فافاده ذلك خبرةً وعلماً ، اذ فتح امامه سفر الحياة . » فاستخرج منه فلسفة عبَّر عنها بتعابير تزداد قوتها بازدياد تعشق الشاعر في اختبار حقيقتها . وفي مقالة خامسة (ص ١٤٤ — ١٥٥) يخطّ العقاد الخطوط العامة لفلسفة المتنبي . ذاك ان لهذا الشاعر العربي فلسفته الخاصة ، كما لكل من شكسبير ، وغوته ، وشلّير ، وهينه، وبيرون، فلسفته. والمتنبي اجدر من اي شاعر كان — ما عدا المعرّي — بلقب فيلسوف ، لانه يُحسن، في شعره ، ان يردَّ المطول الى علّته، على طريقة المفكرين . فما هو مذهبه اذاً ؟ هو ينحّي ، قبل كل شيء ، مسألة اصل الانسان ، او مصدر الحياة ، التي لا يتّفق عليها الناس ، ليصرف كلَّ همه الى الحياة الحاضرة في « سننها وصروفها ». فالحياة في نظره « حرب ضروس علاقة الانسان فيها بالانسان علاقة المقاتل بالمقاتل... وما المودَّة فيها الا حيلة من حيل الحرب او هدنة في حومة القتال . فاحذر الناس ، واستر الحذر . » وعليك ان تكون اقواهم في تنازع البقاء. هذا . كما عليك ان تعتبر الملذّات التي يعرضها هذا العالم ألهيّات لقتل الوقت ، فيجدر بك ألا تستسلم لها. اما هدف الانسان فالعظمة. والعظمة لا تُنال باللين بل بالقوة. ومن البديهي ان فلسفة كهذه لا تمرّ دون ان تذكّر بفلسفة نيتشه . واذاً فكان للعقاد ان يوازن في مقالة سادسة (ص ١٥٦ - ١٦٤) موازنة بين شاعر امراء القرن العاشر ، ومؤلف « هكذا قال زرادشت ! » ولنا ان نسأل هل كان التقارب بين المذهبين عرضياً محضاً ؟ اما الناقد فيرى التقارب العرضي ، على كونه لا يرى مستحيلاً ان يكون « نيتشه » عرف ديوان ابي الطيب في احدى الترجمات . ومهما يكن من أمر ، فانه يجمع ابياتاً كثيرة للمتنبي لا تخلو ، في الواقع ، من بعض الشبه بمقاطع « هكذا قال زرادشت » ، و« وراء الخير والشر » و « الشفق »[1]. ولكن

١) وهكذا يرى العقّاد ان هذه الفقرة في « ارادة القوة » : « ... السعادة ؟ — هي

الناقد لا يكتفي بهذا. بل يرمي ، في مقالة سابعة (ص ١٦٥ — ١٧٣) ، الى ان يبين ان فلسفة المتنبي تؤلف حلقة الاتصال بين « غريزة البقاء » لداروين و « ارادة القوّة » لنيتشه ؛ وان الشاعر بإخضاعه الشجاعة لحماية الفرد يتوصل الى التوفيق بين مبدئين يستحيل في الظاهر ردّ احدهما الى الاخر. ولا اقطع في البرهان عن ذلك من البيتين التاليين (القصيدة ١٠٨) :

٣٢ ارى كلّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبّا
٣٣ فحبّ الجبان النفس اورثه التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وهكذا تتكيّف « غريزة البقاء » نسبةً للعاملين من « اسياد » و« عبيد »، فتبدو في الاعمال المختلفة من شريفة ومحتقرة . واخيراً ، يبحث الناقد المصري اسلوب المتنبي في مقال ختامي (ص ١٧٤—١٧٩) فيقول : « اما ان كان الفنّ هو صقل العبارة ، وتوشية الكلام ، ولطافة المدخل ، وحسن الاحتيال ، ودقة الذوق ، ورقة الملمس ، ومهارة اليد ، فليس المتنبي من رجال الفنّ في مرتبة تُذكر... واما ان كان الفنّ يتسع لما تتّسع له الحياة من اختلاف العبارات والإشارات ، وتنوعّ الصيغ واللهجات ... فليدخل المتنبي عالم الفنّ في مقدمة الداخلين... يدخل ولكن من باب المتانة والصلابة لا من باب الجمال والزينة». ويستشهد النقاد بعدد غير قليل من الابيات المضحكة بتلوّها ، المنظومة تحت سيطرة الهام غير الهام طبيعة الشاعر الحقيقية. فابو الطيب اذاً لا يعرف الخضوع لاصطلاحات«الزيّ » الادبي ، وعندما يخضع لها يكون ذلك بدعوة من اولياء نعمته. ذلك ان طبيعته الرصينة لا تواتيه الإجادة إلا في موضوع رصين. أوَ ليس هذا في الحقيقة خير شهادة نؤديها لعبقريته ؟

اما قيمة مقالات النقّاد فكثيرة التفاوت ، كما يظهر للمطالع . ولا شك في ان بعضها اتت الشرقيين بمعونة مهمة في اقبالهم على الدروس « المتنبية » ، اذ القت نوراً جديداً على نقاط من حياة ابي الطيب واثره ، لم يكن اكتشفها

الشعور بان القوة نامية ، وان الغلبات مذلّة . فلا قناعة ، بل مزيد من القوة ؛ ولا سلم ، بل حرب ؛ ولا فضيلة ، بل شجاعة » ، يجب ان تُقابل ببيت المتنبي :

ومن طلب الفتح الجليل ، فانما مفاتيحه البيض الدقاق الصوارمُ

النقد « العربي » بعد . كما انها ، من ناحية اخرى ، تمثل في نظرنا شاهداً ثميناً على ما يراه المصريون حاليا في شاعر الكوفة.

وقد تكون من هذا القبيل فائدة ابحاث المازني[1] الخمسة المختصة بديوان ابي الطيب واخلاقه[2]. لان المؤلف لا ينظر الى ابحاثه إلا متمّمة لمؤلف حديث لا يسميه ، وهو بلا شك إما مؤلف حلمي او مؤلف العقّاد[3] . في بحث اول (ص ١٨٤) ينقّب الكاتب عن الاسباب التي جعلت المتنبي شاعرَه المصطفى ، بل الشاعر الذي يبقى اثره في ذاكرته اوفر حياة من اثر غيره . يبرّر هذا الامر تلك « القوّة » التي يصطبغ بها ديوان الشاعر باجمعه ، قوّة لا تنتج من قريحة سهلة ، بل من مقدرة المتكلّم وسموّ فكرته وقوّة مبناه: «وهي صفات قلما يخلو منها شاعر كبير ، ولكنها لا تؤدي الى مثل ما تحتمه من القوّة في شعر المتنبي إلا اذا اجتمعت.» فللادب العربي اذن في ابي الطيب شخصية ذات قيمة نادرة (ص ١٩٣ وما يليها) ، وهذه الشخصية نفسها هي التي استحقت لهذا المدّاح ، في القرون الوسطى ، كل هذا الاعجاب وهذا العداء . اما اليوم فقد شمل الهدوء والطمأنينة ، فاصبحنا لا نحكم على مادح سيف الدولة إلا بشعره. وهناك نجد الشاهد على قيمته ، وشجاعته ، واحتقاره للنام من البشر . هناك خاصة (ص٢٠٦ وما يليها) نجد عرضاً لمطامعه ومظاهر عنجهيته. ولقد كان من حظّه الغريب ان بهذه العنجهية لا تستدعي السخرية ، وان عرضت الشاعر لصغائر شبيهة بالتي تؤخذ على نابوليون . ولنضف الى ما تقدّم نواحي عديدة في المتنبي تذكّرنا بالامبرطور كدنائة الاصل ، وكره البشر ، والطمع. اما ما يسيطر على فلسفة المتنبي (ص ٢١٦ وما يليها) ففكرة الموت التي تجعل حركاتنا باطلة ، وشجاعتنا عديمة النفع ، ومظاهر حذونا وتعلّقنا من النوافل. وكل ما يقال في مجاله يستحق تدقيقاً اعمق (ص ٢٢٢ وما يليها) . من الحق ان ابا الطيب كان يحب

١) ابراهيم عبد القادر المازني شاعر وناقد مصري. انظر سركيس ، ١٦٠٨ ؛ وشيخو : الآداب العربية في القرن العشرين ، ص ١٨٤ و١٨٨.

٢) محاولات نُشرت في مجموعة عنوانها « حَصاد الهشيم » ص ١٨٤ – ٢٢٩

٣) « حَصاد الهشيم » ص١٨٤ الحاشية.

المال. ولكن المال لم يكن عنده «مطلوباً لذاته... بل لانه عون على الغايات. ولم يكن يخفى عليه ان المال «عضل» المساعي والمطالب الضخمة».

ويردنا درس المازني، في كثير من نواحيه، الى درس العقّاد. على انه اقرب الى الاصطباغ بالنزعة الشخصية (subjectivité) من الدرس الاول. ولكن سواء أقصدنا العقّاد ام المازني، فهذان المؤلفان — حتى في نظرياتها الاكثر تعرضاً للنقاش — يبرهنان عن ذكاء يجذب الانتباه. ونود لو نستطيع القول نفسه في طائفة من المحاضرات خصّها الدمشقي شفيق جبري[1] بابي الطيب[2].

ليس، والحقّ يُقال، من فائدة خاصّة في المحاضرات الست الأولى، وكلّها توسيعات لفظية، صبيانية احياناً، في المحيط الذي ولد فيه المتنبي (ص ٦١)، وفي اصله العربي (ص ٣٠ وما يليها)، وعواطفه القوميّة (ص ٧٩)، ووطنيته التي تدفعه الى خدمة المسلمين اذا لم يتوفّق الى الاكتفاء بمدح العرب الخُلّص (ص ٨ وما يليها) وفي دروسه، وقرابته الفكرية، (وجبري لا يمكنه ان يصادف لفظة: سيف، او رمح، او فرس، في بيت شعر الّا اكتشف فيها أثراً بدوياً!) وفي ثورته في الماوة (ص ١٠٦ وما يليها)، ومقامه في حلب، والفسطاط، وبغداد، وشيراز (ص ١١٥) حيث يقع الناقد في هفوات تاريخية باهظة. وعلينا ان نصل الى محاضراته في خُلق المتنبي (ص ١٣٨ وما يليها)، وشعوره (ص ١٤٩ وما يليها)، وتشاؤمه، وحبّه الحياة، وأنفته (ص ١٥٨ وما يليها) وفكرته الدينية والفلسفية (ص ١٦٧ وما يليها) حتى نجد اخيراً توسيعات مفيدة، وان كانت مجرّدة عن الابتكار. كذلك في مقاله عن عبقريّة المتنبي (ص ١٧٥ وما يليها) نجد عدة احكام مصيبة في قيمة ابيات الشاعر الغزلية. فجبري يقدر تماماً شعورَ وجل يتوصل الى التأثير إذ يتخلّص من سيطرة شعوره، ثم انه يحكم

١) شاعر وناقد وُلد في دمشق سنة ١٣١٣ (١٨٩٥). انظر شيخو في «المشرق» ١٩٢٧، ص ٦٤٣ وما يشير اليه، والآداب العربية في القرن العشرين، ص ١٢٨

٢) تحت عنوان «المتنبي» جمع شفيق جبري في مجلد واحد (دمشق ١٣٤٩ = ١٩٣٠): ١° ثماني محاضرات في الطريقة الادبية، ٢° ثلاث عشرة محاضرة في المتنبي وشعره، ومقالتين عن فن المتنبي. وسلسلتا المحاضرات ظهرتا في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي خلال السنتين ١٩٢٩ — ١٩٣٠

مصيباً في مراثي المتنبي التي تتهادى بين السخف والروعة ، وفقاً لاستسلام الشاعر لحزنه ، او الاهتمامه بالاعتبارات الفلسفية في الحياة. اما ابيات ابي الطيب الهجائية والمدحية فبعيدة من ان تستحق كلها الاعجاب في نظر جبري : فخشونة بعضها، وغلو البعض الآخر كثيراً ما يجعلها بغيضة ، بل ان افضلها تنقص ابتكاراً على الغالب . واذاً ففي الشعر الوصفي خاصة يظهر المتنبي بلا نظير . وسواء أعرض لمعركة، ام لشيء عادي، ام لمشهد من مشاهد الطبيعة، ام لحيوان، فانه يبرز ذلك بخطوط سامية خالدة . اما التوسيمات الفلسفية الداخلة تقريباً في كل قصيدة من قصائد الديوان فستبقى ابياتها غذاء روحياً لنخبة المتأدبين يعودون اليها كلما شعروا بالحاجة الى التشكي من القدر ، ومن العالم ، ومن الناس ، وما دامت اللغة العربية لغة قسم كبير من البشرية ... والناقد لا يعير مسألة السرقات كثيراً من الاهتمام (ص ١٩٨) فهو يحلها على اساوب التأثر الذاتي فلا يهتم اصل البيت اذا بدا حسناً . ثم ان البحث في اسلوب المتنبي (ص ١٩٩ وما يليها) يظهر سطحياً ، يستوحيه الناقد من الثعالبي مكتفياً بالاستنتاج — وقد يكون ذلك لفطنة فيه! — أن سحر الفن « المتنبي » يُشعَر به اكثر من أنْ يُعبَّر عنه . فالشاعر امير قدير يسيطر علينا حتى يلاشي ارادتنا . هذا ، وليس من فائدة في تفصيل ما في بحث جبري من النواقص ومظاهر التفاوت . فهو لا يمثل تقدماً في الدروس « المتنبئية » لا من حيث البحث التاريخي ولا من حيث النقد الأدبي . انما فائدته الوحيدة ان له قيمة الشهادة اذ يبدو ، وراء مظهر موضوعي علمي ، عرضاً كاملاً للأسباب الواضحة والغامضة — محتجة او مقبولة دون نقد — التي اكتشفها جيل الشرقيين ، المولود في أواخر القرن التاسع عشر ، ليبرّر اعجابه بابي الطيب .

بيد ان هناك طريقة اخرى لدرس ديوان المتنبي ، سار عليها محمد الأسمر في ست مقالات متوالية[1] وكان من الممكن ان تكون موفقة . بعد ان وضع الأسمر ، في بحث اول ، مبدأ انقسام الشعر ، بالنظر الى الالهام ، الى اربعة

١) ظهرت في « السياسة الاسبوعية » ، القاهرة ، في ١ و١٥ اذار ، و٥ و١٩ نيسان ، و٣ و١٧ ايار سنة ١٩٣٠

فنون : الغنـائي ، والعقلي ، والوصفي ، والملحمي ، اخذ يجتهد في ان يوضح الصفات التي اتخذها كل من هذه الفنون في شعر المتنبي . ثم حلّل في مقالة ثانية شعور ابي الطيب في قسم « النسيب » من قصائده ، مشيرًا الى ما فيه من مظهر اصطناعي ينسبه الى عدم اخلاص الشاعر . لا يستثني من ذلك الّا قصائد الصبّى وقصيدة او اثنتين من قصائد الكهولة . ولقد شعر المادح نفسه بعجزه في هذه التوسيعات عجزًا كان يجتهد في اخفائه بصناعة المبنى . ويعرض الاسمر ، في المقالات الثلاث التابعة ، لشعور المتنبي في المدح ، والرثاء ، والهجاء ، فيثبت ، قبل كل شيء ، الصلة المتينة بين هذه الفنون « وهي اغصان ثلاثة لشجرة واحدة » . ثم يظهر رغبته عن درس كل بيت بمفرده ، ولا خير في ذلك ولا فائدة ، آخذًا على نفسه ان يبيّن في اي شيء يمتاز ابو الطيب عن زملائه . فالمتنبي ، بخلاف سائر المدّاحين ، يُعجب بممدوحيـة ، ولا يحلم بالدراهم فحسب ، عنـد ما يشيد بمكارمهم ، انما يعزم عليهم بان يضعوا حدًّا لنوالهم (كذا) . وكذلك يمتاز المتنبي في الرثاء عن الشعراء القدماء بالصعوبة التي تعترضه في اظهـار حزنه (وقصيدته في موت جدته ذات اهمية كبيرة من هذه الجهة) . هو يبحث عن العزاء ، لا في السلوى الوقتية التي تجلبها الدموع ، بل في نوع من الجبروت الرواقي (stoïcisme) وفي العمل . فلا يخرج عواطفه الّا اذا كانت تدلّ على حقيقة . وهو هو في الهجاء ، يجتهد ان يكون صادقًا ابدًا . لهـذا نراه في هجائياته يستسلم للغضب فيهيجه ويدفعه الى التلفظ بكثير من الشتائم والبذاءات . ثم يدرس الكاتب ، في مقال أخير ، الشعر العقلي ، والوصفي ، والملحمي ، عند المتنبي . اما النوع الأوّل فيظهر مفقودًا عند هذا الشاعر الذي يبدع ، في الشعر الوصفي ، عند ما يصف المعارك فقط . كذلك الملحمة لا تُرى في ديوانه الّا في ذكر معارك سيف الدولة . واخيرًا يقول الأسمر كلمة في اسلوب المتنبي الذي ينبّه فنّه في مخيّلتنا مشاهد العالم المختلفة .

ومهما يكن من عطف المطالع على تجربة مبتكرة ، فانه لا يصل الى خاتمة هذا البحث الا ويتحقق خيبة شديدة . اولًا بسبب التوافه الصبيانية التي نجدها فيه : فان الاسمر يظهر وافر السذاجة حقًّا بتصديقه اقوال المادح الاعجابية في

اولياء نعمته. ثم بسبب ضعف التمييز الظاهر في بعض التوسيمات. وكيف يمكننا مثلاً الادعاء بان النوع الفلسفي لا اثر له في شعر المتنبي ، بينما نراه فعلاً في كل بيت من المقاطع الحكمية ، وحتى في النسيب الحبّي ، وفي الرثاء حيث تكاد العاطفة تفسح المجال دائماً لاعتبارات عامة في حياة الانسان وسرعة زوال حبه ؟ كيف يمكننا ألّا نلوم الاسمر على اهماله ، دون رشاقة ، درس النوعين الاخيرين الممثلين في الديوان ؟ بل ان الاكتفاء ببضعة اسطر لا غير لدرس الملحمة والوصف ، كما نجدهما عند ابي الطيب ، لا يمثل نقصاً فحسب ، انما قد يدلّ ايضاً على عدم فهم للاثر المحلّل.

بقي ان نشير الى فصل خصّه محمد صدر الدين بالمتنبي في كتاب حديث ، عنوانه : « سيف الدولة وزمانه »[1] . وفيه نعود الى سلسلة النظرات الاجمالية المستندة الى دروس قديمة ، وخاصة الى « يتيمة » الثعالبي . اما الطرافة في هذا الدرس فمائدة الى أنه مؤلف بالانكليزية بقلم هنديّ سَحَره تاريخ سلالة عربية صغيرة[2].

***

يبرز من التحليل السابق عدد من الصفات المشتركة بين الابحاث التي اوحاها شاعر الكوفة منذ ستين سنة . واول هذه الصفات ان الابحاث المذكورة ، — مع انتباهنا لما كان منها ابتدائيًا عن قصدٍ وتعمُّد — تبدو كلّها ، حتى اكثرها تعمقاً ، سطحيّةً ، ثرثارة . وذلك ان القضة تحلّ ، في القسم الترجمي منها ، محلّ الحدث التاريخي ؛ كما يغلب التأكيد والتعميم ، في القسم النقدي ، على التحليل الدقيق .

ثم ، على رغم الجهد في التخلص من سيطرة القرون الوسطى ، تبقى هذه السيطرة مستبدةً فعلاً ، ظاهرةً في الشواهد الطويلة بل في تحويرات بسيطة ، بعض الاحيان .

---

١) *Saifuddaulah and his Times* ، لاهور ، ١٩٣٠ ، خصوصاً الفصل الـ ١٥

٢) كان هذا الفصل تحت الطبع عندما جرت بالجامعة الاميركية في بيروت في ٢ حزيران ١٩٣٥ ، حفلات ذكرى المتنبي الالفية التي نظّمتها « العروة الوثقى ».

وهناك لوم آخر نوجهه الى هذه الابحاث ، وهو انها لا تُعنى ، على الغالب ، بتطور المتنبي الأدبي. من الحقّ انها تُقرّ ، نظرياً ، باختلاف بين شعر الصبى وسائر الديوان، ولكنها في الواقع ، تستشهد ، دون تمييز، بأبيات من كل عهد لتدعم احكامها في اسلوب ابي الطيب ، وفلسفته الخلقية.

واخيراً ، اذا صرفنا الانتباه عن ان هذه الابحاث جميعها ، ما عدا درس حلمي ، ترتكز على نقد شخصي (subjectif) يظلّ عرضةً للجدال ، لا يسعنا الّا الملاحظة ان عدداً كبيراً منها ، ومن اوفرها تصفاً بنوع خاص ، هو في الحقيقة نظريات او أطروحات . فعقائد القومية ، والوحدة العربية الشاملة ، التي تدفع بالنقّاد الى التنقيب عن نواحٍ في المتنبي تقربه من النوابغ الأوربيين ، تجرّهم الى مقارنات سريعة وتأويلات مفتعلة. ولا شك في ان من نصيب الرجال العظام ، ولاسيما في الأدب ، ان يكونوا مدينين بشهرتهم في غالب الاحيان ، لتزييف مريديهم والمعجبين بهم، اذا ما اغتبطوا باكتشاف انفسهم في آثار ظهرت في عصر قبل عصرهم وفي بيئة غير بيئتهم. على انه من النادر ان نجد تشويهات للحقيقة بالغة في التنظيم حدّاً بلغته في ما يختص بالمتنبي. لقد رأينا الى اين تؤدّي هذه التأويلات في ابحاث الدريني ، والمازني ، وشفيق جبري . وقلنا باية صدقة نجا حلمي من هذا الزَرَق . على اننا لا نشعر بخاطر هذا الميل في اي بحث كما نشعر بها في بحث العقّاد ، وقد أشرنا ، مع هذا ، الى ما في بعض مقالاته من قيمة معجبة. يبدو هذا الناقد — وقد سحره تحديدٌ للشاعر عزيز على فكتور هرغو — يرى في المتكتب بمدح سيف الدولة وكافور وابن العميد :

« غنّاً بالف صوتٍ جعلها الهي المبرد
صدىً رنّانًا في قلب كل شيء »

فيحلّل فلسفته تحليلاً نافذاً ، ثم يتبع ذلك بموازنة بين فكرة ابي الطيب ومذهبَي داروِن ونيتشه تظهر كلّ لفظة منها بمثابة سوء فهم[1].

---

(١) ولنا مثل على ذلك بيتين من القصيدة ١٠٨ ذكرناها اعلاه . وقد رأى فيهما النقد القديم نظماً لاحدى حكم ارسطو ، او لبعض القوالب الحكمية المعروفة (انظر المكبري١ : ٤٤ ، سطر ٣٠ وما يليه) ومهما يكن من امر فاننا اذا اعدناهما الى النص الاصلي ، تصبح لما

وافظع مما تقدم ان هذه التأويلات لا تكتفي بتشويه شخصية المتنبي باعطاء فكرة فاسدة عن شعره عموماً ، بل انها تحـط من مجد الشاعر الذي تدّعي خدمته . وكيف لا يشعر العقاد بأن الحكم في اثر ابي الطيب بالنسبة الى عصره، ومقارنته بما يشبهه من الآثار، يؤدّي الى اظهار عظمته؛ بينما ان مقابلته بمذاهب منطقية كمذهبَي دارون ونيتشه تظهر ما فيه من نقص وعدم اتّساق ؟

ولنختم اذا قائلين انه ليس للشرق « العربي » حتى الآن اثر نقدي جديرٌ حقًا بهذا الاسم ، في حياة المتنبي وشعره . اما من الوجهة التاريخية فغرانا ، حتى مع اعترافنا بقيمة كتاب حلمي وبعض مقالات العقاد ، مكرَهين على التحقق انه لا يزال مجال واسع للعمل . وذلك أننا لا نزال نبحث في هذه الكثرة من الدروس العصرية ، المؤلّفة بالعربية ، عن درس يستخدم جميع المواد الموجودة على طريقة دقيقة ، مُجرَّدة من كل تأثير غريب عن النقد التاريخي .

ومن جهة أخرى فاننا نرى في هذه الاعمال نقصاً فاحشاً في نظرنا : وهو انها تجعلنا نحسّ بالاسباب « العاطفية » التي تحبّب اثر شاعر الكوفة الى الشرق في الوقت الحاضر . واذا اردنا التخصيص قلنا ان العقّاد، والمازني ، وجبري، والاسمر، يطلعوننا بدقة على الاهواء الوطنية والقومية التي يغتبطون بايجادهـا في اقوال مادح سيف الدولة . وهم ، بخلاف ذلك، عاجزون عن بسط الاسباب « الأدبية »

قيمة تختلف كل الاختلاف عن القيمة التي ينسبها اليها العقّاد . ودونكم سياق الافكار المتتابعة :

٢٩ مضى [الدمستق]، بعد ما التفّ الزماحان ساعةً، كما يلتقّى الهُدبُ في الرقدة الهُدبا .
٣٠ ولكنه ولّى ، وللطعن سورةٌ اذا ذكرته نفسُه ، لمّس الجَنبا ،
٣١ وخلّى المذارى ، والبطاريق ، والقُرى ، وشُعثَ النصارى، والقرابين، والصُلبا .
٣٢ ارى كلّنا يبني الحياة لنفسه حريصاً عليها ، مستهاماً بها ، صبّا ،
٣٣ فحبّ الجبان [كالدمستق] النفس اورثه التقى ،
وحبّ الشجاع [كسيف الدولة] النفسَ اورده الحربا

وواضح ان هـذا البيت، بالتنسيح الذي يتضمنه ، ليس سوى مدح ماهر للحمداني، وان الفكرة فكرة مادحٍ اكثر منها فكرة فيلسوف . ومن السهل ان نذكر غير هذا من تآويل العقّاد المتعلة .

الخاصة بهم والتي تجعلهم يتحمّسون لبعض ابيات المتنبي . لا نقول هذا لانهم اهملوا ذلك في مؤلفاتهم ، بل لانهم ، عندما يبحثون اسلوب ابي الطيب ، يكتفون غالباً بنقل احكام النقد القديم. حتى ان حلمي، — وهو الذي عرض، من بينهم ، لهذا المشكل على الطريقة الاوفر دقة — يكتفي بنقل تحليل الثعالبي في « اليتيمة»[1]، مهملاً درس قيمة البيت الموسيقية الناتجة لا من الوزن والقوالب، بل من رنّة الالفاظ المختارة.

فبالنسبة الينا ، لا يزال ، كما هو ، سرُّ بعض الابيات التي يؤخذ بها الشرقيون، لا من حيث الفكرة التي تعبّر عنها ،ولا من حيث الفن الذي تتجلى فيه ، ولا من حيث الايقاع الذي تتصف به ، بل من حيث تمازجات مؤتلفة بين الأحرف الصوتية والساكنة لا تستطيع اذننا تذوّق سحرها.

وبالنسبة الينا أخيرًا ، لا تزال،كما هي، تلك المعضلة المقلقة ، معضلة المركز الذي يجب ان نمنحه في الشعر العالمي لشاعرٍ من القرون الوسطى لا يبرح ، حتى اليوم ، موضع الاعجاب من مراكش الى الهند . وهنا ، اكثر من اي مكان آخر ، نشعر بأن الفكر الشرقي لا يمكن ان يولينا اية فائدة . اذ ليس بمقدور أناس يعجبون بابي الطيب لدواعٍ قومية اكثر من اعجابهم به لاسباب ادبية ، ان ينيلونا الجواب المقنع. فهل يستطيع المستشرقون انفسهم اعطاءنا هذا الجواب ؟ هذا ما يجدر بنا ان نراه[2].

---

١) حلمي ، ص ٢٧٠ — ٢٧٦

٢) ويردف المؤلف هذا الفصل بفصل جديد عنوانه « المتنبي والمستشرقون ».

شذرات

الذكرى المئوية الثانية

للمجمع اللبناني ١٧٣٦—١٩٣٦

كان « المشرق »[1] في طليعة الداعين الى الاحتفال بهذه الذكرى الشائقة ، ذكرى انعقاد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة في ٣٠ ايلول و١ و٢ ت ١ ١٧٣٦ . وما ان وافى شهر ايلول من سنتنا الحاضرة ، مقرّباً تلك الذكرى ، حتى اصدر غبطة البطريرك الماروني رسالةً رعائية يدعو فيها ابناءه اجمعين للاحتفال بيوبيل المجمع الذي « كان له اعظم تأثير في الطائفة المارونية في ما يختصّ بسلامة الايمان ، وطهارة الآداب ، والتهذيب البيعي ، والارتقاء في معارج الفضائل المسيحية . » ، معيّناً للاحتفال يوماً رسمياً هو الاحد الواقع فيه ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

وفي صباح اليوم المذكور اجتمع ، في بكركي ، حول صاحب الغبطة وعشرة من اجباره ، ممثّلُ الحبر الاعظم ، وممثلو بطاركة الروم الكاثوليك ، والسريان الكاثوليك ، والارمن الكاثوليك ، مع ممثلي السلطة الفرنسوية برّية وبحرية ، وعدد كبير من اعيان البلاد اكليريكيين وعلمانيين . فبدئت الحفلات بالوتبة الدينية ترأسها غبطته . ثم دعي الحاضرون لسماع محاضرة قيّمة باللغة العربية ألقاها حضرة الخوري ميخائيل الرجي ، رئيس الكهنة في كاتدرائية القديس جرجس في الثغر ، وقد جال فيها «حول المجمع اللبناني» مستعدّاً لموضوعه بالدرس الطويل ، جامعاً الوثائق الجمّة ، منفردًا بتأويل بعضها ؛ فذكّر ما كان في الطائفة من حاجة الى الاصلاح ، وما رافق فكرة عقد المجمع من موافقات ومعاكسات ، تبعاً للاهواء المتباينة والنزعات المتبادلة بين افراد الاكليروس ،

---

١) راجع الجزء الاول من مشرق هذه السنة (كانون الثاني — اذار) ص ١١٩—١٢٠

وبين افراد الرعية ايضاً ولاسيما المشايخ . عرض كل ذلك بجرأة نادرة ، ونقد صريح ، وتفصيل كاد يستغربه السامعون ، خاتماً بنظريات لم يقرّه عليها الا نفرٌ من الحاضرين .

وبعد وليمة الغداء ، دُعي المحتفلون لسماع محاضرة اخرى باللغة الفرنسوية القاها سيادة المطران عبدالله خوري ، النائب البطريركي العامّ . فلخّص فيها تاريخ الموارنة ، مدنياً ودينياً ، قبل زمن المجمع اللبناني ؛ ثم بسط حسنات المجمع المذكور ، وما اشتمل من الاصلاحات ، وما اتصف به من الميزات ، اذ جمع بين القديم من القوانين والتقاليد الانطاكية المارونية ، والحديث من مختلف الشرائع الرومانية وانظمة المجامع المسكونية ومراسيم الاحبار الاعظمين . وقد طُبعت المحاضرة على حدة[1] فجاءت خير ملخّص للمجمع ، وخير ذكرى لذاك الاحتفال الشائق .

ميخائيل الغزيري

كثيراً ما قرأت في آثار معاصرينا من ارباب البحث العربي اسم العلّامة ميخائيل «الغزيري» على شكل «كازيري» كأنه اسم مستشرق غريب الدار . ولم ارَ من نبّه الى هذا الخطأ الّا الاستاذ فؤاد افرام البستاني في حاشية علّقها على وصف بعض كتب (ص ٤٧٩ من مشرق هذه السنة) ولكنها اتت موجزةً قد يتطلب قارئها مزيداً من المعلومات ، فرأيت ان اجمع ، في هذه الشذرة ، ما اطلعت عليه من ايضاحات في ترجمة هذا العالم الماروني استقيتها من مخطوطات عدة منها كتابات اللبردي الى رومة ، وتقرير السمعاني الى الكرسي الرسولي ، بعد عقد المجمع اللبناني :

لم يكن ميخائيل الغزيري منضوياً تحت قانون الرهبانية الحلبية المارونية

1) Mgr A. Khouri, Conférence sur le Synode du Mont-Liban, à l'occasion du deuxième centenaire 1736-1936. In-8°, 23 pp. Imp. des Miss. Libanais, Jounieh.

اللبنانية ، انما كان كاهناً مارونياً عالمياً ، وُلد في طرابلس (لبنان) سنة ١٧١٠ ، وذهب الى رومية حيث اتمّ دروسه الفلسفية واللاهوتية في مدرسة الطائفة المارونية هناك ، التي كان يديرها في ذاك الحين آباء الرهبانية اليسوعية الجليلة. نال الدرجات المقدسة في ٢٩ ايلول سنة ١٧٣٤ ، ومكث في دير الرهبان الحلبيين هناك يدرّس تلاميذ الرهبانية بكدّ ونشاط ، وظلّ قائماً باعباء مهمته هذه خيرَ قيام حتى دعاه مجمع نشر الايمان المقدس الى ان يرافق السمعاني الكبير الى لبنان ، ويساعده بوظيفة لاهوتي في التئام المجمع اللبناني الذي تمّ عقده في الثلاثين من ايلول والاول والثاني من تشرين الاول في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ .

في سنة ١٧٣٨ عاد الى رومية حاملاً الى مجمع نشر الايمان آراء الطائفة المارونية حول قعادة السمعاني ، وقطن دير مار بطرس ومرشّدَ للرهبان الحلبيين ، يساعد الرئيس الاب يواصاف الدبني البكنتاوي في تدريس الناشئة الرهبانية .

وفي سنة ١٧٤٨ ذهب الى اسبانية بدعوة من الاب (Borago) معرّف فرديناند السادس ، لان الاب المشار اليه كان استاذ عالمنا هذا في الفلسفة ، وهناك التصق بالمكتبة الملكية في مدريد ، فنقل بمعرفة ولي نعمته كتاباً عربياً يدعى شمس الحكمة الى اللغة اللاتينية . وقد اغتالت يد الضياع اصل الكتاب مع الترجمة .

وفي سنة ١٧٤٩ عُيّن عضوًا في ندوة تاريخ مدريد الملكية ، فاخذ من ثمّ يتردد ، بامر الملك ، الى مكتبة الاسكوريال جادًا في اعداد المواد التي تسعفه بوضع مكتبته العربية - الاسبانية (*Bibliotheca arabico-hispana*)

وفي سنة ١٧٥٦ ، بعد موت الخوري اندراوس للقديس يوحنا ، اقام الملك عالمنا مترجماً له في اللغات الشرقية . وبما ان صاحب الجلالة كان يود الغزيري ويعتبره اعتبارًا كبيرًا ، افرغ عليه في نفس السنة لقب نائب محافظ مكتبة الاسكوريال ، وجعل له راتباً شهرياً يتقاضاه وقدره ٢٠٠ غرش ذهباً ، وما انتقل محافظ المكتبة في ١٧٦٣ الى رحمته تعالى حتى اسندت اليه وظيفة

المحافظ الاول لمكتبة الاسكوريال . وفي السنة نفسها جاء اسبانية من رومية بولس خضر العالم الماروني ، فشرع يساعده في وضع فهرست المكتبة . بيد انه لما كان الغزيري صارماً في معاملة معاونه ، وكان يريد ان يبقى المستشرق الوحيد في البلاد الاسبانية ، وكان بولس خضر من جهة ثانية متعجرفاً لا يحني ظهره لاحد ، ولا يتراف الا الى رحمته تعالى ، حدثت مشادة بين هذين العالمين ، اسفرت نتيجتها عن اقصاء خضر الى البورتغال ، حيث توفي بعد ان نال هناك مركزاً يُحسد عليه .

وقبل ان ينجز الغزيري تأليف مكتبته العربية الاسبانية ، نقل من العربية الى اللاتينية مجموعة قوانين الكنيسة الاسبانية ، وكان الاصل مع الترجمة لا يزال محفوظاً في المكتبة الاسبانية قبل نشوب الثورة الاخيرة .

وحسب رأي عالمنا ان هذه المجموعة هي جدّ قديمة ، تنسب الى اسقف يدعى يوحنا دانيال . بيد ان هذا الرأي لم يثبت تحت مبضع النقد الحديث ، لانه وُجد في حاشية علقها النساخ على نسخة اخرى قديمة ان هذه المجموعة لا ترجع الى ما قبل القرن الثاني عشر . وقد كلفته الندوة الملكية ترجمة بعض كتابات عربية اسلامية ، الا انه لم يقم بهذا العبء خير قيام ، كما يستنتج من حكم الندوة عليها بالاهمال .

اما اعظم تآليف هذا العالم فائدةً للعلم فهو مكتبته العربية ــ الاسبانية ، وعنوانها في اللاتينية هكذا :

« *Bibliotheca arabico-hispana Escurialénsis sive libr. omn. manuscript. quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotheca coenobii Escurialensis complectitur, recensio et explanatio, opera et studio* Mich. Casiri etc. »

وقد طبع هذا المصنف بمجلدين ضخمين في مدينة مدريد ما بين سنة ١٧٦٠ و١٧٧٠ ، وصدره بمقدمة طويلة ثم اخذ في وصف وسرد مخطوطات مكتبة الاسكوريال التي تُعدّ من اغنى المكاتب الغربية بالمؤلفات العربية ، وخصوصاً الاسلامية . فالمجلد الاول يشتمل على النحويين ، والشعراء ، واللغويين ، وكتّاب

التراجم والسير ، والفلاسفة ، وعلماء الاجتماع والسياسة ، والاطباء ، والرياضيين والفلكيين . والمجلد الثاني مكرس للجغرافية والتاريخ ؛ وقد ضمن مصنفه هذا عدة شهادات تاريخية عربية تساعد الباحث على التنقيب عن تاريخ اسبانية العربية .

اما خطته في هذا الكتاب الفريد فهي انه يُعطي اولًا عنوان المخطوط بحرف كبير ثم يصفه باللاتينية ، وكثيرًا ما يورد ترجمة المؤلف بايجاز ، مع ذكر كتاباته ، معززًا ذلك بشهادات عديدة من مضامين الكتاب ، وبالجملة فانه يكفيك ان تطالع وصف الكتاب في هذا الفهرست حتى تقف على محتوياته بوضوح وجلاء . ولا اظن ان دارساً متبحرًا يستطيع التعمق بالآداب الشرقية ، دون ان يلجأ الى مؤلف عالمنا هذا .

وظل التزيري مثابرًا على خدمة العلم والادب حتى غادر هذه الفانية في مدينة مدريد . وذلك في ١٢ اذار ١٧٩٤ ، الا انه في آخر ايامه فقد ذاكرته وسمعه .

الاب بولس مسعد

مطبوعات شرقية جديدة

TH. VILLANOVA GERSTER A ZEIL, O. M. C., **Infernus tractatus dogmaticus juxta sensum S. Bonaventurae.** In-8°. IV+176 pp. Torino, Casa editrice Marietti, 1936. Prix : liv. ital. 7.

في عقيدة جهنّم

هذا تأليف تامّ ، حسن التبويب ، واضح الاسلوب في العقيدة المذكورة ، مظهر العدل الالهي . يبحث المؤلّف في وجود جهنّم ، ومركزها ، وسكّانها ، وانواع عذابها ، وابديّتها ، في مجلّد مفيد لجميع الكهنة ولاسيّما من يتخصّصون منهم بالمواعظ والارشادات.

P. CHRYSOGONE, carme, **Asceticae et Mysticae summa.** In-8°, VIII+470 pp. Torino. Casa editrice Marietti, 1936. Prix : liv. ital. 10.

في الزهد والتصوّف

كتب هذا المؤلّف اولًا باللغة الاسبانية ، ثم ترجمه الى اللاتينية احد ابناء الرهبنة نفسها. وهو جامع ملخّص لكل ما تهمّ معرفته بشأن الزهد والتصوّف ، يستند في اساسه الى عقيدة القديس يوحنا الصليب ، والقديسة تريزية الكبرى ، ويقسم اقساماً اربعة : مبادئ الحياة السامية فوق الطبيعة ، الزهد ، التصوّف ، تاريخ هذين المظهرين من مظاهر الحياة الروحية ثم تطرّفات الصوفية . ويختم بجدولين عامّين لمآخذ الكتاب ، وتحليل موادّه.

FL. ALCANIZ, S. J., **De autographo tractatus inediti Card. Joannis de Lugo «De Anima ».** Estudios ecclesiasticos, 1936.

رسالة النفس للكردينال دي لوگو

لا يخفى ما اتصف به الكردينال دي لوگو من القدرة في اللاهوت الادبي. على اننا لم نكد نعرف شيئاً عنه فيلسوفاً ، لأنه لم يُنشر شيء من رسائله الفلسفية التي لا تزال مخطوطة ، كابحاثه في الفلسفة عامّة ، والمنطق ، وما وراء الطبيعة ، والنفس ، وكلّها يذكرها الاب سومرڤوجيل ، ويضيف اليها الاب الكانيس ذكر اربع مخطوطات في الطبيعيات ، والتولّد ، والمحاورات في ما وراء

الطبيعة . وقد شاء ناشر « رسالة النفس » هذه ان يطلعنا على مقدرة لوكر في الفلسفة ، فرأى ان لا يطبع الرسالة كلها بنصها ، بل ان يلخص فكرة المؤلف ادق تلخيص مستعيناً بتعابيره احياناً . وقد أحسن الناشر في نظرنا لأنه لم يكن للوكر الفيلسوف مذهب خاص تبعه فيه المريدون ، ولا كان لفكرته الفلسفية تلك القوة الطريفة التي اظهرها في « لاهوته الادبي » حيث لا يزال من اشهر الاساتذة المتبعين . ي . ك .

ALBERT CONDAMIN, S. J.. **Le livre de Jérémie, traduction et commentaire, 3e édition, revue et corrigée.** [Collection *Etudes Bibliques*] In-8°, XLVI+380 pp. Paris, Lecoffre-Gabalda, 1936. Prix : 60 fr.

كتاب إرميا

ظهر هذا الكتاب النفيس لأول مرة سنة ١٩٢٠ ، فنال رواجاً سريعاً بين من تهمهم الدروس الكتابية ، ونفدت نسخه من مدة طويلة . فرأى المؤلف ان تُعاد طبعته على ورق أجود ، ويظهر اجمل منه في الطبعة الاولى . ولا نخطئ اذا قلنا ان طلاب الشروح الكتابية ، والاختصاصيين بدرس العهد العتيق سيستقبلونه بكل ارتياح ، فيجدون فيه ما اعجب به العلماء من ترجمة دقيقة وشرح واضح لسفر إرميا ب . م .

Acta pontificalium operum a Propagatione fidei et a sancto Petro apostolo pro clero indigena. Commentarium officiale. Vol. II, n° 2, 31 déc. 1935.

من اعمال جمعية نشر الايمان

يحتوي هذا الجزء على تقارير الدخل والخرج ، مدة السنة ١٩٣٤—١٩٣٥ ، من اعمال جمعية نشر الايمان ، وجمعية القديس بطرس . وهي بليغة بما فيها من ارقام ولوائح تشير الى اعمال الرسالات الكاثوليكية ، كما انها تشير الى هبات ذوي الخير والصلاح تلك الهبات التي لم تنقص منها مظاهر الازمة الخانقة من سياسية واقتصادية واخلاقية التي نعيش فيها اليوم ، بل انها زادت فيها عدة مئات من الوف الليرات الايطالية عن مجموع السنة السابقة . اما ما ارسلته بلادنا من هبات لهذا العمل الكاثوليكي العظيم فقد بلغ ١٨,٦٠٠ ليرة ايطالية .

Abbé Chauve-Bertrand, La question de Pâques et du calendrier. In-12, 256 pp. Paris, Œuvres Françaises, 1936. Prix : 16 fr. 50.

مشكلة الفصح والروزنامة

كثيرًا ما تكلم ارباب الشأن ، منذ اوائل هـذا القرن العشرين ، عن ضرورة اصلاح التقويم ، واثبات تاريخ عيد الفصح . ولقد كان من الواجب ، في العصور القديمة ، على من يفكّر باصلاح كهذا أن يكون سيّد العالم كيوليوس قيصر او البابا غريغوريوس الثالث عشر . امّا اليوم فهي حركة عالمية تطلب هذا الاصلاح . تفكّر ، وتعدّ المواد ، وتقترح . تقترح اجتماعًا عامًا في جنيف يتناقش فيه مندوبو الدول جمعاء حول طاولة خضراء فيقرّون استعمال مقياس واحد للزمن ، اضبط من مقاييسنا الحالية ؛ وتقترح اتّفاقًا شاملًا بين الكنائس المسيحية على تعيين يوم خاصّ لعيد الفصح لا يتغيّر من سنة الى اخرى ؛ وتقترح العمل على جعل يوم الاحد يوم عطلة وراحة عند جميع الشعوب . ولكن كم من الناس يتبسّمون عند ما يسمعون بهذه المقترحات ! فينسبونها الى التخيّلات والاوهام . على ان الحقيقة غير ذلك . فالحركة معقولة ، والمطالبة بالاصلاح مشروعة . هذا ما ينتج من قراءة الكتاب ، اذ يستند صاحبه الى الارقام والحوادث التاريخية وحدها ، غير متجاوز مجال العقيدة الدينية الصحيحة .

في الصفحة الاولى جدول دقيق ، واضح ، صريح ، بالتقويم الجديد الذي يقترح الاصلاحيون استعماله . يلي ذلك مقدّمة شائقة خطّها قلم عالم شهير بالشؤون الطقسية هو الاب كابرول . ثم يعرض المؤلّف ، في فصل اول ، لاصول التقاويم وتاريخها منذ اقدم العصور المعروفة ، من السنة ٤٢٤١ قبل المسيح ، وفيها نظم الكهنة الفلكيّون في ممفيس وطيبة اول مظهر للروزنامة ذات الاثني عشر شهرًا في مصر القديمة ، الى عصور الروزنامات الكلدانية ، والبابلية ، والعبرانية ، والعربية ، والهندية ، والصينية ، واليونانية ، والرومانية ، الى اصلاح يوليوس قيصر ، واصلاح غريغوريوس الثالث عشر ، الى اتخاذ دول الشرق الادنى التقويم الغريغوري في السنوات ١٩١٦—١٩٢٦ .

بيد ان التقويم الذي نستعمله اليوم لا يزال عالقًا به عدة شوائب . من

ذلك عدم التناسق بين ايام الاسبوع وايام الشهر ، والتقلقل الواسع في تاريخ الفصح ، تقلقل قد يتجاوز الشهر من ٢٢ اذار الى ٢٥ نيسان . وهو ما دعا الناس منذ اواخر القرن التاسع عشر الى المطالبة بالاصلاح . وقد خصّ المؤلف الفصل الثاني بتفصيل هذه الحركة الاصلاحية وتطوّرها ، منذ اقتراح الاب منتروفيني سنة ١٨٣٤ ، الى اقتراح اوغست كونت سنة ١٨٤٩ ، الى مشاريع المؤتمرات المختلفة من خاصة ودولية ، ومقترحات غرف التجارة والمجامع العلمية ، الى ابحاث جامعة الامم سنة ١٩٢٣ ، بعد ان اطّلعت على آراء الحكومات ، والسلطات الدينية ، والشركات العالمية المهتمة ، الى آراء لاون الثالث عشر ، وبيوس الحادي عشر .

ثم يصل المطالع الى الفصل الثالث ، وفيه درس دقيق للمقترحات والمشاريع المختلفة . فيرى فيه ان الاجماع يكاد يكون تامًّا على تعيين يوم خاصّ لعيد الفصح . اما في ما خصّ اتباع تقويم ثابت فهناك مشروعان مهمّان : مشروع يعيّن ١٢ شهرًا تُقسم اربعة ارباع في كل منها ثلاثة اشهر فيها ٣١ و٣٠ و٣٠ يوماً ؛ ومشروع يعيّن السنة ١٣ شهرًا كل منها فيه ٢٨ يوماً . وفي كل من المشروعين يوم زائد يُضاف خارجاً عن ايام الاسبوع . بيد ان المشروع الاخير ذا الثلاثة عشر شهرًا يفقد شيئاً فشيئاً اهمّيته فلا يبقى الا مشروع الاثني عشر شهرًا ، وهو ما يميل اليه المؤلف ، ويميل اليه الفاتيكان ، على ما يظهر .

اما زمن بدء هذا الاصلاح فيظهر انه قريب . وهناك جهود عديدة يبذلها الناس للبدء بالتقويم الجديد مع السنة ١٩٣٩ . وفيها يقع ١ كانون الثاني نهار الاحد ، (وهو المفروض اول كل سنة جديدة في التقويم المقبل) فلا يكاد الناس يغيّرون شيئاً بانتقالهم من تقويم الى تقويم .

CHARLOTTE JULLIEN, Les cercles d'études féminins. [*Problèmes d'éducation*] 260 pp. Paris, Desclée de Brouwer et Cie, 1936. Prix : 10 fr.

حلقات الدروس النسوية

طالما تاق الكهنة والمربّون وسائر من يهتمّ تهذيب الفتيات الى كتاب من

هذا النوع يرون فيه المبادئ والتحقيقات في مجال حلقات الدروس المعروفة في الاندية التهذيبية ، وكيف تطبّق في اجتماعات الفتيات . ولقد كان من فضل المؤلف أنه طبّق كتابه في حياته قبل ان كتبه ، ملخّصاً فيه اختبار خمس عشرة سنة ، غير عارض امرًا الّا ما كان قد سبق فتحقّقه بالفعل ، راميًا الى غاية مثلى ترفع ثقافة الفتاة ، دون ان ينسى متطلّبات الحياة الواقعية . واذًا فان الطريقة التي يعرضها لم تكن وليدة الخيال ، بل نشأت في محيط الحياة ، فتعرّفت الى الشبيبة النسوية المعاصرة وعرفت حاجاتها ، وحسناتها ، وسيئاتها ، ونواقصها ، فارضةً كل ما يعرضه المؤلّف من علاجات وطرق تثقيف ، مستندًا ، في كل ذلك ، الى العقيدة الكاثوليكية . ولم تظهر هذه الطريقة حتى تجاوزت حدود مطرانيته . فأخذ ارباب الثقافة النسوية يطلبون منه المناهج ، كل سنة ، لا في فرنسة وحدها ، بل في البلاد الاجنبية حتى افريقية ، واميركة ، بل في الصين نفسها . ولا غاية له الّا توسيع ثقافة الفتيات ، وتعديد اندية الدرس ومجالات الحياة الروحية الفائقة ، ولا بدّ منها لنشأة الحياة العائلية السامية في كيان الوطن .

ANDRÉ PARROT, Mari, Une ville perdue et retrouvée par l'archéologie française. In-8°, 250 pp. Paris, Editions « Je sers », 1936.

مدينة ماري الضديعة

هذا كتاب يتدفق حياةً واناقةً ، فيقرأه المطالع كما يقرأ رواية رائعة ، مأخوذًا بما فيه من مادّة مهمّة وبما تُعرض به تلك المادّة من اسلوب جذّاب . وقد دوّن فيه المؤلّف تاريخ الاكتشافات التي وُفّق اليها في المدينة على ضفة الفرات ، قرب ابو كمال . واهداه الى ذكرى اثنين من معاونيه ذهبا ضحيّتين لحادثة سيّارة ، على اثر انتهاء الحفريّات الاخيرة ، وقد اخبر المؤلّف بهذه الحادثة مجمع الرقّ الفرنساوي في جلسة ٣ تموز ١٩٣٦ .

من الصعب ان يتوفّق كاتب الى تأليف مجلّد لغير الاختصاصيين بالاثريّات ، على طريقة افضل من طريقة المؤلّف ، واوفق لعرض ما يريد عرضه . فهو يذكر كل ما اتّصفت به الحفريّات ، ولاسيّما الاخيرة منها ، من تطوّرات وعقبات — كانت مجلّة « الالوستراسيون » الفرنسوية ، و « الالوستراتد لندن نيوز »

الانكليزية ، قد اطلعنا العالم العلمي على شيء من ذلك — ويفضل كيف دُفع الى معرفة الموقع . وذلك ان الليوتنان كابان، من ضباط مصلحة الاستخبارات، كان قد لاحظ حاجة بدو المنطقة الى الحجارة للدلالة على قبورهم . فاشار عليهم بالتفتيش في المناطق المجاورة . وشدّ ما كانت دهشته ، عند ما اتاه احدهم ، بعدَ ذلك بايام ، وسأله : « ماذا يجب ان نصنع بالرجل الذي وجدناه » ولم يكن ذاك « الرجل » الّا تمثالاً مقطوع الراس ، يحمل رقيماً على كتفه . فنقله الليوتنان الى ابو كمال . ومن هناك حمله السيد بلوا دي روترو الى متحف حلب . وكان التمثال قد وُجد في تل جريري، وهذا موقع مدينة ماري بعينه ، كما دلّت عليه الحفريات التالية ، مستعينة بالاصول المسمارية لتلخيص تاريخ هذه المدينة القديمة .

وفي الكتاب بضع خرائط و٤٤ صورة ناجحة بجملها ، وآخرها تمثل البعثة كاملة قبل وفاة پول فرنسوا ، واندري بيانكي .

ولم يكتفِ المؤلف بالكلام عن مكتشفاته وحدها . بل اجتهد في وضع جداول تاريخية توقيتية يرقى اولها الى العصر السابق الألف الثاني ق . م . ، ويختص جدول آخر بملوك ماري وفقاً لاصول مسمارية ترقى ، على ما يُقال ، الى بعد الطوفان . ثم نشر ترجمةً لكثير من النصوص وُجدت في تلك الحفريات . وقد بلغت الصحائف المكتشفة منذ السنة ١٩٣٥ ، نحو ٢٥٠٠ صحيفة . وفي السنة ١٩٣٦ ، بلغ عدد صحائف ماري ١٥,٠٠٠ صحيفة .

اما موضوع هذه النصوص فيختصّ على الغالب بالشؤون الاقتصادية . وبعضها تدوّن المراسلات بين ملك المدينة وحمورابي . ويظهر منها ان حمورابي لم يشأ ان يقبل بطلب ملك ماري ، واسمه زِمري - إيليم ؛ وكان قد رغب الى حمورابي في ان ابناء رعيته لا يشتركون في بعض ظنه وخيم العاقبة عليهم . فرفض حمورابي اجابة الطلب . وتوتّرت العلاقات بين الملكين حتى ان حمورابي زحف على ماري ودكّها للاساس . ولم تبقَ المدينة منذئذٍ الّا محطة اشورية بسيطة . على ان الحفريات لم تطلعنا على اثر يفيد هذا العصر .

ولا بدّ من الاشارة الى خاصّة من خصائص الكتاب، وهي انه يتمّ بكل الحفريات القائمة في المناطق المجاورة من قبادوقية ، الى العراق ، الى بُصرى ،

مارًا بحفريات الاب مصيريان في الجبل العجيب . . . ونختم بالقول ان المؤلف من متخرجي الآباء الدومنيكيين في القدس . س . د .

HANS HENNING VON DER OSTEN, **Ancient oriental seals in the collection of Mrs Agnes Baldwin Brett.** [*The University of Chicago, Oriental Institute Publications*, XXXVII]. In-4°, 76 pp., 12 planches, Chicago, 1936.

الاختام الشرقية القديمة

كان المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو قد اعلمنا مؤخرًا باضطراره الى ايقاف هداياه الادبية ، بسبب الازمة الحاضرة . وها اننا نتناول من الجامعة المذكورة كتابًا لم نكن ننتظره ، وهو كتاب الاستاذ هنس هينغ فون در أوستن ، من كبار قادة الحفريات في بلاد الحثيين ، وخاصة في أليشار ، واحد الاساتذة في انكرة اليوم ، وهو امرٌ نهنئ عليه عاصمة تركية . وقد سبق لنا ان وصفنا كتابًا آخر للمؤلف خصّه بدرس الاسطوانات الشرقية في مجموعة نيقل . ولعلّ ذاك الوصف ما حدا بالجامعة الى ان تهدي الينا هذا الكتاب الجديد . بيد اننا نكتفي الآن بالاشارة اليه ، آملين ان نتبسّط في وصفه في غير مكان .

اما طريقة المؤلف فيه فطريقته في الكتاب الموصوف سابقًا : يبدأ بوصف القطعة ، ثم ينشر عدة رسوم لها . والرسوم حسنة لا يظهر ان فيها كثيرًا من القطع المنحولة ، بيد ان المؤلف لم ينحرِ عن درسه بعض الآثار التي تسرّع بعضهم فعدّوها غير تاريخية . واذًا فلا يصيب هذا الكتابَ ذاك النقد الذي وجّهه مورتگات (Moortgat) للمؤلف في وصف كتابه الأول في :

Orientalistische Literaturzeitung, Août-Sept. 1936.

وليس من شكّ في ان الكتاب الحاضر يكون موضع حفاوة جميع مَن يهتمّ بفن النقش الشرقي ، ولاسيّما في اقدم مظاهره . س . د .

E. CAVAIGNAC, **Le Problème hittite**, [*Etudes d'archéologie et d'histoire*, collection dirigée par A. Piganiol]. XIX + 208 pp., 8 planches. Paris, Leroux, 1936.

المشكلة الحثية

ليس هذا الكتاب ، الذي اهدته الينا مكتبة ليرو ، فبادرنا الى وصفه ،

كتاب قراءة ؛ بل هو ملخّص كل المسائل المتعلّقة ، عن قرب او عن بعد ، بشأن الحثيين .

يفرض المؤلّف قارئه مطّلعاً على اهمّ هذه المسائل ، فيبادر الى اقرارها وفقاً لآرائه الشخصية . وقد دفعته هذه الغاية الى القيام برحلة في آسية الصغرى بصحبة عالم آخر من علماء الحثيات هو الاستاذ ديلاپورت . ثم عاد فجمع في هذا الكتاب كل محطّات التاريخ الحثّي حتى غدت قراءته صعبة تكلّف جهداً مستديماً لا يستريح منه المطالع الا اذا سرّح نظره على الجداول التوقيتية ؛ ولولاها ، لما تمكّن غير الاختصاصي من استيعاب ذاك الاسلوب الموجز الذي يفرض على ذهنه اليقظة الدائمة .

وذلك ان المؤلّف لم يترك مشكلة يتناقش فيها علماء العصر في تاريخ الحثيين من لغتهم ، الى اصلهم ، وهجرتهم ، الى مدنيّتهم ، ودينهم ، الّا عرض لها في هذا الكتاب . بل انه تجاوز ذلك الى المشاكل المتعلّقة بالشعوب المجاورة للحثيين ، حتى ظهور تلك القبائل الآرامية الاولى على ضفاف الفرات ، ولاسيّما تأثير الشعوب الشمالية كالميتانيين والسوباريين وغيرهم . . . فدرسها متعمّقاً فيها على قدر ما يمكن التعمّق في مجلّد من مائتي صفحة .

ومما يسهّل مطالعة الكتاب بعض اللوحات التصويرية الناجحة اجمالاً ، وبعض التراجم للنصوص القديمة عرضها المؤلّف نماذج لامثالها .

ومما يجدر بنا ذكره ان المؤلّف لم يبدأ حياته العلمية بالدروس الشرقية . بل انما دُفع اليها بسبب دروسه العامّة ، فاقبل عليها برغبة وحماسة حتى لا يمكن ان نفرق بينه وبين من تقدّمه من المستشرقين . وهو يذكرهم بالفضل ، وان خالفهم في آرائهم على الغالب . ونحن نهنئ الكاتب لما توفّق اليه من حصر تلك المواد العديدة في هذه الصفحات القليلة .

س . ر .

J. DE MONICAULT, Le port de Beyrouth et l'économie des pays du Levant sous le mandat français. In-8°, 231 pp. Paris, Librairie technique et économique, 1936.

مرفأ بيروت واقتصاديات بلاد الشرق الادنى في عهد الانتداب الفرنسوي

في السنة ١٨٨٧ ، ظهر الفرمان السلطاني بانشاء مرفأ في بيروت ، آذناً

بالاعمال لشركة دُعيت « الشركة العثمانية لمرفأ وارصفة وحواصل بيروت ». باشرت هذه الشركة اعمالها في السنة ١٨٩٠ ، وانتهت منها في السنة ١٨٩٥ . على انها بدأت استثمارها منذ السنة ١٨٩٣ ، في ظروف على غاية ما يمكن من الموافقة : بلاد فسيحة تتجه نحو هذا الثغر في طلباتها ، ومركز ممتاز ، على رغم سلسلتي الجبال اللتين تفصلانه عن الداخلية . وذلك انه لم يكن من طريق بين الساحل وداخل البلاد الّا طريق بيروت — دمشق . فوق ما كان في بيروت نفسها من وسط تجاري وتقافي راقٍ .

هو موضوع الكتاب الحاضر خاضه المؤلّف على قسمين : خصّ الاول منهما بمرفأ بيروت حتى السنة ١٩١٨ ، والثاني بالحقبة المعاصرة . فاتى بالمعلومات الطريفة والدرس الجديد المبتكر ، باحثاً في سائر المرافئ اللبنانية والسورية ، مقابلاً بينها بالنسبة الى مرفأ بيروت ، عارضاً لطرق المواصلات مع الداخلية ، وللمجاري التجارية المهمّة ، منتقلاً الى درس مظاهر المنافسة والمزاحمة الاجنبية ، مدقّقاً في موارد الزراعة ، والصناعة ، والبترول ، والسمك ، والسياحة ، وتنقّلات السكّان من مختلف العناصر . حتى يجعل بحثه بخاتمة ميّالة الى التفاؤل، على شرط الّا يكون في البلاد غير مرفأ كبير . ذلك ان بلادنا تتعامل مع الخارج بكمية من البضائع تبلغ من ستمائة الى سبعمائة الف طنّ في السنة ، ثم ان ادارة المرفأ، تحتاج، في سبيل الاستهلاك ونفقات الدوائر ، الى حركة من البضائع لا تقلّ عن اربعمائة الى خمسمائة الف طنّ . واذاً فيجب ان تتعاون مرافئ بلادنا كلّها على طريقة معقولة ، والّا فلا مناص من التأثّر بالمزاحمة الاجنبيّة[1] .

ج. ل.

---

١) يلخّص المؤلّف ، في مقدّمته ، تاريخ البلاد على طريقة سطحيّة جرّت بعض الهفوات والاخطاء نذكر منها ما في الصفحة ٧ : ذكر المؤلّف « ان الاتراك قبضوا على الامبراطور ديوجين سنة ١٧١١ »، والصواب : ١٠٧١ — في الصفحة ٩ : اورد السنة ١٤٤٦ تاريخاً لاحتلال الرها ، والصواب سنة ١١٤٤ — ثم انه يقول في الصفحة ١١ عن المعاهدة المعروفة بالامتيازات الاجنبية « انما كانت تولي فرنسوا الاول حقّ الحماية على جميع مسيحي المملكة العثمانية » وهو قول مخلوط فيه . وكذلك حكمه على استقلال متصرّفية لبنان يظهر متناقضاً . فمن جهة يقول (الصفحة ١٣) : ان نصف الاستقلال الذي كان للبنان « ظلّ وهميّاً » ؛ ومن جهة أخرى يصرّح (الصفحة ١٤) : « بان المتصرّف المسيحي كان يتمتّع باستقلال واسع ماليّاً وعسكريّاً ».

MAURICE BARRÈS, **Mes Cahiers**, t. X, 1913-1914. Paris, Plon, 1936.

مذكرات موريس باريس ١٩١٣-١٩١٤

لهذا المجلّد العاشر من دفاتر باريس فائدة خاصة لبلادنا . وذلك أنه يحتوي قسماً كبيراً من رحلة المؤلّف الى الشرق (من الصفحة ٣٢٧ الى الصفحة ٤٠٤). وقد استند باريس الى هذه الملاحظات في تأليف كتابه المعروف « *Une enquête aux pays du Levant* » ومن الممتع ان يطّلع الانسان كيف استغلّ باريس تلك المعلومات المتفرّقة ، والاشارات المقتضبة ، فولّد منها لمحات رائعة في الوصف تتناسق والفكرة القومية السائدة في الكتاب كلّه.

بيد انّ لهذه الملاحظات المقتضبة فائدة خاصة بها تدلّ على تطوّر عقلية المؤلّف من الفكرة الغامضة الخياليّة الى حقيقة الحوادث الوضعيّة ، كما يقول في الاشارة الى بعض المشاكل الثقافية والوطنية التي كان يُعنى بها المفكّرون سنة ١٩١٤ . ولا يخفى ان هذه المشاكل هي هي في هذه السنة ١٩٣٦ . فهل ترى رجال الثقافة اليوم يعنون بها على طريقتهم قبل الحرب ! ج. ل.

P. BARNABÉ MEISTERMANN, O. F. M., **Guide de Terre Sainte.** 26 cartes et 14 plans de villes, gravés et en couleurs et 110 plans de monuments dans le texte. 3e édition revue et augmentée. Paris, Editions franciscaines et Librairie Letouzey et Ané.

دليل الارض المقدّسة

هذا دليل للاراضي المقدّسة في فلسطين ، يبدو افضل ما يوضع بين ايدي السيّاح والزائرين . وقد نال رواجاً مذكوراً حتى بلغ طبعته الثالثة ، منقّحة ، لا كل التنقيح ، لأن المؤلّف لم يتتبّع تنقيحه في كل مقاطع الكتاب ، كما يبدو في تقاسيم سورية السياسية ، ووصف بيروت من سطح البحر ، ومراكز الحكومة اللبنانية . . .

والكتاب مطبوع على ورق حسن طبعاً متقناً نهنّئ عليه الناشرين .

ج. ل.

والصواب ان استقلال لبنان كان دائماً استقلالاً حقيقياً تضمنه الدول الاوربية ، ولم يكن للسلاطين حقّ تعيين المتصرّفين الّا بموافقة ومراقبة تلك الدول .

PETER THOMSEN, **Die Palästina Literatur. Eine internationale Bibliographie in systematischer Ordnung mit Autoren und Sachregister.**

FÜNFTER BAND, **Die Literatur der Jahre 1925-1934.** Lieferung I (1-11, 1-224). Leipzig, J. C. Hinrichs' sche Buchhandlung, 1936. Prix : 15 M.

في الشؤون الفلسطينية

هو الجزء الاول من المجلد الخامس من نشرة جزيلة الفائدة لكل المشتغلين بالمسائل الفلسطينية ، اذ يطلعهم المؤلف على جهود جديرة بكل تقدير قادته الى نجاح لم يسبق له مثيل في جمع فهارس كلّ ما نُشر عن فلسطين من السنة ١٩٢٥ الى السنة ١٩٣٤ . وبها يتمّ المجلد الخامس ، ظاهراً في السنة ١٩٣٨ ، جامعاً نحو ١٥,٠٠٠ عدد في ٩٦٠ صفحة . ج . ل .

A. MEZ, **El renacimiento del Islam, traduccion del aleman por SALVADOR VILA.** [*Publicaciones de las Escuelas de estudios arabes de Madrid y Granada*. Serie A, num. 4]. In-8°, 643 pp. Madrid, Imprenta de Estanislas Maestre, 1936. Prix : 30 pesetas.

يقظة الاسلام

هذه ترجمة اسبانية للكتاب النفيس في « يقظة الاسلام » الذي تركه المؤلف إرثاً غالياً للمستشرقين وعلماء الاسلاميات ، فظهر على اثر وفاته سنة ١٩١٧ . ولا يختصّ المجلّد الحاضر بترجمة الأصل فقط ، بل انه يزيد ما حال الموت بين المؤلف والقيام به من ترتيب المآخذ ، ووضع الفهارس والجداول الواسعة ، مع شروح وحواشٍ ضافية تجعل الترجمة اسهل استعمالاً واجزل فائدة من الاصل الالماني . ج . ل .

JOHN CHARPENTIER, **Le maitre du secret. (Un complot maçonnique sous Louis XVI).** In-8° carré, 250 pp. Paris, Librairie H.-G. Peyre. Prix : 15 fr.

صاحب السرّ

قد يعتقد المطّلع على هذا العنوان ان امامه كتاب تاريخ . اما الحقيقة فهو تاريخ روائي ، او رواية تاريخية ، لها لذّتها ، وفائدتها ، وجاذبيّتها للقراء بتشعّب تلك الحوادث في الهيئة الاجتماعية بين باريس وفرسايل ، قبيل السنة ١٧٨٩ .

حيث يرى الجماعة الماسونية تستعين باخوة الملك، ولاسيما الدوق دي شارتر، فتتخذ افظع الاساليب لنشر الدعوة بين الشعب ضدّ الملكة ماري - انطوانيت.

Dr André Soubiran, **Avicenne prince des médecins. Sa vie et sa doctrine.** In-8°, 176 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 20 fr.

ابن سينا امير الاطباء

Dr Asher Bloom, **L'Ostéologie d'Abul Qasim et d'Avicenne.** In-12, 72 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 10 fr.

علم العظام في آثار ابي القاسم وابن سينا

Maïmonide, **Traité des Poisons.** Traduction française par le Dr I.-M. Rabbinowicz. In-8°, 70 pp. Paris, Librairie Lipschutz, 1935. Prix : 20 fr.

رسالة في السموم لابن ميمون

ثلاثة كتب فرنسوية اللغة عرضت شيئاً مما يؤثر عن بعض اطباء العرب، بل عن امراء هذا الطبّ، همزة الوصل بين الطب القديم (واهمّه اليوناني) والطبّ الحديث.

خُصّ الكتاب الاول بدرس حياة ابن سينا «امير الاطباء»، كما دعاه المؤلّف، الدكتور سوبيران، متوسّعاً في ذكر قيمته، وتأثيره في القرون الوسطى في اوربة حتى ان الاستاذ رولينغ كان لا يزال يدرّس كتبه ويشرحها في بينا سنة ١٦٢٠، فلا غرو ان يُدعى ارسطو آسية بين الفلاسفة الذين اهتمّوا قبل كل شيء بآثاره الفلسفية. بيد ان المؤلّف عرض خاصة لحياته اولاً، ولآثاره الطبيّة، ولاسيّما كتابه المشهور «بالقانون»، مهتمّاً الاهتمام كلّه بمسألة اصله، وهل كان يهودياً ام لا، والمؤلّف ميّال الى القول بالايجاب. ثم يورد نصوصاً مختارة من آثار ابن سينا الطبيّة مستنداً فيها الى طبعة كروز (Gruner) الانكليزية، والطبعة العربية سنة ١٦٠٨، والترجمة العبرية التي نشرها ناتان ها - مياتي.

اما الكتاب الثاني فيختصّ بفرع مهمّ من فروع العلوم الطبيّة، يرمي فيه المؤلّف، الدكتور بلوم، الى اظهار ما قام به اليهود من دور كبير في عالم

العلم ، وما اختصُّوا به من مزايا رفعتهم فوق معاصريهم . وقد كان المعروف ان اليهود يبرعون في عالم المناظرات العقلية منحصرين غالباً في الالهيات والاخلاقيات . واذا بهم يظهرون ، من خلال ما يعرضه المؤلِّف ، ارباب مقدرة علمية ولاسيما في الطبّ . اذ يضيف الى آراء ابي القاسم وابن سينا ، فصلاً في نظرية التشريح وفقاً لتعليم التلمود .

واما الكتاب الثالث فهو طبعة جديدة للترجمة التي كان قد نشرها الدكتور رابتوڤيتش في اواخر القرن التاسع عشر ، عن رسالة في السموم للطبيب اليهودي الاسباني موسى بن ميمون . وفي الطبعة الجديدة تاريخ لأشهر حوادث التسمُّم ، وجدول باسماء العقاقير بالعربية والعبرية والفرنسية .

لم نتصفَّح هذه التآليف حتى شعرنا بفضل من تقدم ذكرهم من الباحثين ونشاطهم ، وقلنا في نفسنا : ما أحرى الاخوان بالقاهرة ، ودمشق ، وبيروت ، وبغداد ، بالقيام بمثل هذه الاعمال : فهم ابناء البلاد ، وابناء اللغة التي لم يتصعب الأجانب تذليل عقباتها ، فهل يقفون امامها خائفين ؟

بيد انه في ظروف عديدة واماكن كثيرة تتنى لبعض الوطنيين ان يُظهروا ان مثل هذه المساعي تبعث ثمين المدافن من المكامن فضلاً عمَّا بهذه الدروس من لذَّة ومفخرة . وهاك على ذلك مثلاً :

تجد العرب ، قبل المعاصرين بأجيال ، ميّزوا البرداء اكبر آفات البشرية ، وعَرفوا أنواعها . وفي كتاب « علم الصحة » نصوصٌ عديدة تثبت ذلك . وقد كان لنا موضوع مباهاة بالأجداد في مقال أدرج في مجلّة *La Presse Médicale* تحت العنوان الآتي : *La malaria dans notre pays et notre littérature.* .

وكم من الحقائق! كم من الحِكَم! كم من المعارف الثمينة! لم تزل دفينة في غبار المخطوطات . واي عذر لنا ومكاتبنا غنيَّة بالمخطوطات ، والكتب ، ينتزف منها مَن شاء بقدر ما يشاء ؟

ما أفيد ان تهبَّ مدارسُنا الطبيَّة الى إنشاء فرع لتعليم تاريخ الطبّ ، للتنقيب والتدقيق ، فإذاعة ثروتنا الخطيرة في هذا القسم عينه من المعارف . واستاذ تاريخ الطبّ بباريز حضرة صديقنا الحكيم Laignel-Lavastine

مستعدٌ للاشتراك بهذا العمل ، وبتأليف قد باشره بهذا الموضوع.

ويسرّنا جدًّا ان نرى وطنينا الاستاذ الحكيم سامي الحدّاد سائرًا في هذه الخطة المجيدة ؛ قوّى الله خطواته ووفّقه الى السير بعيدًا في ميدانه !

واذا كان لنا ما نتمنّى توجّب على علمائنا ان يدرسوا اليونانية جيدًا ، ثم اللاتينيّة ، وان يُعنوا بدرس المخطوطات ، ومقابلتها درساً دقيقاً ، لا سطحيًّا يجرّ الى الخطاء والضلال . . . !

وبالطبع انه لا ينصرف الى مثل هذا البحث الّا من كان في فؤاده احترام الاقدمين ، ولا يتناسى أن قوى العقل الفطرية الاساسية في الانسان ليست قطّ بعهدنا أقوى ممّا كانت في عهد افلاطون وسقراط وثيوجيل وابن سينا والمتنبّي والرازي او السمعاني . بل ان للأقدمين ممتازة عظيمة انما هي التأني والقناعة في المعيشة ، وخفّة الجهاد في تنازع البقاء ، وعادة التغلّب على المصاعب.

ومن الكتب الثلاثة الواردة على المشرق نقتطف كمثال يؤيد ما سبق،ما كتبه موسى بن ميمون عن تدارك شرّ السموم اذ يرسم تحت عنوان : معالجة الملدوغين : الاسراع بوضع رباطٍ فوقَ الجرح وان يجيّ الرباط شديدًا وان يُوسّع الجرح لامتصاصه بقوّة،على ان يُتفّ ما أتى به المصّ وان يُمضمض الماصّ قبلَ هذا العمل بالزيت مع الحذر بان يكون في فمه خدش او ان يسحب السمّ بالمصاصات ، وان يلجأ الى الكي بالنار لاتلاف السمّ ، وهلمّ جرًّا.

وبذلك الصواب عينه ، اليوم كما بالأمس . غير انا نجد كما وجدنا في هذه النصائح ضدّ السمّ ذاتها ، من الخطأ والأوهام ما نجده في غيرها لغيره ممّا هو نتيجة جهلٍ يذهب مع الزمان وتقدّم العلوم.ومَن يجهل ما كان من خرافات كالإصابة بالعين والتعويذات والرقيات،ومن التقاليد الضالّة والمُضلّة منها الاعتماد على « الحرزة الزرقاء» الحجر المضاد للسم (؟) والافراط في الفصد والمساهل اي الشربات ، في كل مرض ، ولكل حالٍ،او العقيدة « ان البرد سبب كل علّة » ؟ وقريباً سيضحك اولادنا بدورهم من الكثير من عقائدنا كقولك الغال وعدد من الأدوية والمعالجات .

الحكيم امين الجيّل

A. CHATELLE. **La paix manquée** (Les pourparlers de 1917). In-12, 160 pp. et 18 illustr. Paris, Firmin-Didot et Cie, 1936. Prix : 15 fr.

السلم الفاشل

في السنة ١٩١٧ ، اثناء الحرب الطاحنة ، تناولت فرنسة اقتراحين متتابعين يرميان الى عقد الصلح ، قام بالاول منها النمسة ، وبالثاني المانية . فكان من نصيب الاقتراحين الفشل ، لأن احد وزراء فرنسة رفض ان يجيب بل ان يقبل اية مفاوضة كانت ، حتى صاح به احد النوّاب : واذًا فكيف يمكننا ان نصل الى الصلح ؟ ».

هذا الصلح ، الذي اخطأه ارباب السلطات ، هو موضوع الكتاب الحاضر ، يعرضه المؤلّف على طريقة قد تكون نهائية ، لما احتاط به من ضمانات ، مستندًا الى مذكّرات من كان لهم ان يتلوا الدور الأول في تلك المفاوضات ، والى دواوين الوثائق الدولية الرسمية.

ج. ل.

LOUIS MADELIN. **Le Crépuscule de la Monarchie.** In-12, 327 pp. Paris, Plon. Prix : 18 fr.

شفق الملكية

طالما نال النقّاد من طريقة المحاضرين في تقطيع التاريخ وتقديمه للسامعين اقساماً منفصلة ، متعرّضين بذلك لكثير من الاختصار ، والاقتضاب ، وبتر الحقائق والحوادث لادخالها في جداولهم وتقاسيمهم ولمحاتهم الشاملة ؛ حتى تتضاءل الابعاد والنسب ، فتُفسد حقائق الاحداث ، وتحزيج الشخصيّات التاريخية وهي اقرب الى الاشباح ، ان لم تصح مساخر « كاريكاتورية » ؛ ويتحقق قول القائلين ان التاريخ « مؤامرة دائمة على الحقيقة ! ».

بيد ان هذا النقد الأليم ، المصيب في كثير من الحالات ، لا يمكن ان يوجّه الى المحاضرات العشر التي يتحفنا بها السيد مادلن . بل ان من الصعب ان نجد تأليفاً اجمع واضبط : في كل فقرة عرض موافق لفكرة او حادثة تاريخية ، بل في كل سطر اشارة تكفي المطّلع المتيقّظ لاستعادة الحدث المقصود. ولا يخفى ما ينتج هذا الدرس العميق من دقائق بالغة في الاحكام تبعدنا عن

مجازفات بعض المؤرخين من الذين لا يرون في العهد القديم الا همجيةً وبلادةً ، وظلماً ، ورشوة ، او من معاكسيهم الذين يمثل ذاك العهد ، في نظرهم ، صورة تامة للفردوس الأرضي . لا هؤلاء ولا اولئك . يظهر لويس السادس عشر ، من خلال احكام المؤلف ، كما كان حقيقة ، لا ذاك الخيال الاحمق الذي طالما مثله أمامنا ارباب التاريخ الرسمي ، ولا ملكاً كبيراً . وكذلك امرأته ماري - انطوانيت لا هي قاتل ميالين ولا بلانش دي كاستيل . ثم ان المؤلف يزحزح مركز الوزير نيكر ، بل يقلبه عن ذاك المرتقى المزوَّر الذي رفعته اليه مدام دي ستال واصدقاؤها الفلاسفة ، دون ان يحطّه الى الدرك الاسفل الذي يهوي به اليه الاستاذ لا فاكيري .

بيدَ اننا ، وقد وقفنا على درس شخصيات بعض العاملين في هدم عهد كان ، على رغم شوائبه العديدة ، مزدهراً بالمجد في كثير من نواحيه ، نتساءل لماذا لم يُفسح المؤلف مجالاً لاولئك النبلاء المنحرفين الى تمثيل ادوار ديموقراطية ، واولئك الرجال الكنسيين العديمي الايمان والدين ، واولئك الحديثي النعمة الذين اطغتهم الكبرياء ، وهاجتهم احقادهم الجنسية والكاليكانية فانصرفوا ضالين مضلين جمهور اللجنة التأسيسية . ولو فعل المؤلف ذلك لأرانا التضعضع في الافكار والتقلقل العامّ في ذاك المجتمع الذي كان لا بدَّ له من الانهيار النهائي في الخطب الجَلَل . ليس من شكّ ان لويس السادس عشر كان ضعيف الارادة ، قليل الحزم ، ولكن لو وجد ريشيليو نفسه في ذاك المحيط لما امكنه التخلّص من الخطر . ذاك ان البطانة القديمة ، والجديدة المفروضة بقوة الظروف ، لم يكن فيها عضو واحد خالٍ من الفساد ، ولا ارادة مخلصة ترمي الى الإصلاح الحقيقي المجرَّد ، وهو وحده كان بامكانه ان يحول دون ذاك الانهيار . هذه الحالة تبرّر ، اكثر من ضعف لويس السادس عشر ، اضطرابات هذا الملك ، وتقلقله ، وتردّده ، فخموله .

ولا بدَّ ان نشير الى ان هذه المحاضرات ، على ما احتوت من معلومات وافرة الدقة ، تبدو مزدانة بالوضوح ، والحياة ، فيقرأها الانسان بسهولة فائقة يحتاج معها الى التوقف كي ينتبه لما ضمّنته من تدقيق ، وما كلّفته من جهد .

واننا ننصح لكل من اراد ان ينال ، في بضع ساعات ، فكرة صائبة في اسباب سقوط الملكية وتطوّره ، ان يقرأ هذا الكتاب الذي لا نرى خيراً منه في موضوعه .

ي . م .

Jacques Ancel, **Affaires étrangères.** Aide-mémoire de la politique française, 1789-1936. In-12, 128 pp Paris, Delagrave, 1936. Prix : 10 fr.

في الشؤون الخارجية

يتناول هذا الكتاب الصغير حقبة مهمّة تمتد على ١٤٧ سنة ، فيكاد يظهر معجزةً في الايجاز . ومع هذا فقد كان بامكان المؤلّف ان يضمّنه فوق ما تضمّن لو احلّ الحوادث محلّ الجمل الخطابية والتوسيعات اللفظية من مثل قوله : « ان الثورة الفرنسوية هي التي ولّدت فكرة الوطن . . . » (كذا ص ٩) بيد انه يرمي ، في هذا العرض العام الذي اهمل كثيراً من الحوادث المهمّة ، الى بسط شؤون اربعة : علاقات فرنسة بالمانية ، وبايطالية ، وباوربة الجديدة ، وباوربة القديمة . اما النتائج فتظهر اقرب الى تأثير الحوادث المعاصرة منها الى احداث العصر السابق . ذاك ضرر السياسة المسيطرة على الكاتب ، وما كانت السياسة يوماً من مصلحة التاريخ ولا المؤرّخين !

ج . ل .

Roger Chauviré **L'Irlande, 1936.** In-12, 234 pp., 120 photos. Paris, Henri Didier, 1936.

ارلندة في السنة ١٩٣٦

المؤلّف من اساتذة جامعة دوبلين ، اختصاصي في درس الجغرافية البشرية ، فلا عجب ان يدفعنا الى حبّ ارلندة وسكّانها ، بادئاً ، في عشرين صفحة تمهيدية ، بتلخيص تاريخ البلاد منذ اقدم عصورها حتى اليوم ؛ منتقلاً الى درس الكونتيّات الاربع : لينستر ، ومونستر ، وكونوت ، وألستر ، مفصّلاً خارطة كلّ منها . ثم يخصّ فصلاً أخيراً بوادي بوين وفيه يُلخّص ماضي ارلندة من عصورها السابقة للتاريخ الى كتلكتها بفضل القديس باتريك ، الى كرومويل ، ويوم بوين . يلي ذلك جداول سبعة باحصائيات تدلّ على الحالة الاقتصادية في البلاد ، وتنوّع عناصر سكّانها ، وصناعتها ، وماليّتها .

ج . ل .

C. DE WAARD, L'expérience barométrique, ses antécédents et ses explications. In-8°. Thouars (Deux-Sèvres), Imprimerie nouvelle, 1936.

الاختبار البارومتري

هذا درس دقيق حافل بالمعلومات ، دالّ على اطلاع المؤلّف الواسع اطّلاعاً جعله يعرض لكل ما اخذ به العلماء من نظريّات في الملء والفراغ ، منذ القرن الخامس قبل المسيح .

بيد ان الفصول الستة او السبعة الاولى (من ١٣ فصلاً) اقرب الى تاريخ الفلسفة منها الى تاريخ الفيزياء . ولكنها مفيدة بمناقشاتها النظرية للدلالة على تطوّر الافكار قبل الوصول الى الاختبارات التي سبقت ومهّدت لاختبارات طوريشيلي . حتى اذا وصلنا الى الفصل الثامن ، الى رومة سنة ١٦٤٠ ، وقفنا على اختبار برني ، واطلعنا على العرض التفصيلي للطور الاختباري من مشكل الفراغ ، وما انتج من نظريّات . وليس اطّلاع المؤلّف في هذا المجال اقلّ منه في السابق ، وان تكن قراءة الفصل اسهل بفضل سهولة المادّة ، ووضوح النظرية .

ولا ينهي المطالع هذا الكتاب النفيس الّا ويشاطر المؤلّف رأيه بانه « ليس لطوريشيلي الّا قالب موجز وُفّق اليه فكيّف ذاك الاختبار الذي قام به قبله كثير من العلماء ، كما هو الشأن في كثير من الآراء كمبدأ قوّة الاستمرار ، وحفظ المقدرة ، والجاذبية العامّة ، وفرضية تكوّن نظامنا الارضي . وهكذا فان الاكتشافات العظيمة كانت دائماً ثمرة تطوّر عدة قرون . » ش . كومبيه

NORBERT CASTERET, Au fond des gouffres. Paris, Librairie académique Perrin, 1936. Prix : 15 fr.

في قلب الاعماق

عرفنا كتاباً سابقاً للمؤلّف دعاه « عشر سنوات تحت الارض » ، وروى فيه اعجابه وذهوله في تلك الساعات النادرة التي قضاها وسط عالم غريب غير معروف . فوصف ما كان فيه ، قبل عشرين الف سنة ، مستنداً الى التصاوير الجدارية ، وتماثيل الخزف المكتشفة في مغاور جبال البيرينيه . وها هو يطلعنا اليوم على رحلة جديدة تقوده الى الاعماق ، فيصوّر لنا تلك الجنان من البلّور ، ويشعرنا

بظلمات القمر الباردة . «وليس على الأرض عزلة تشبه تلك العزلة الخافقة بها احشاء الأرض. وليس على الأرض ليل بهيم يصوّر تلك الظلمات السائدة في قعر الارض». فهو عالم غريب يخلب ويسحر . اقرأوا واشعروا بفرح الاكتشاف ، بل اعجبوا بشجاعة المؤلف ، وجرأته ، وجلده ، ورباطة جأشه في مقابلة ما يقاوم من اخطار، وفي عرض ما يرفعنا به من حوادث معجبة خارقة. ي. ك.

Victor Forbin, Ce qu'il faut connaitre du pétrole. In-16, Paris, Boivin et Cie, 1936. Prix : 8 fr.

ما تجب معرفته عن البترول

طالما انتظر جمهرة القرّاء كتاباً في البترول لا يختصّ بارباب الفنّ والاختصاصيين في الموضوع، حتى كان لهم هذا الدرس، يعرض ، في لغة سهلة ، قليلة المفردات الوضعية ، والعمليّات العويصة ، اهم ما تجب معرفته عن وَقود اصبح من مرافق الحياة الضرورية . وقد رافق المؤلف مادّته من تاريخ اكتشاف البترول ، الى اخراجه وتصفيته ؛ فنجح نجاحاً تامّاً بفضل مقدرته العلمية ، وهو يعاون في تحرير عدة مجلّات ، وبفضل رحلاته العديدة وقد درس في بعضها مناجم البترول فتكلّم عنها كلام شاهد عيان .

النظرية العامة للالتزامات في الشريعة الاسلامية

الجزء الاول : طرفا الالتزام

تأليف شفيق شحاته

[الجامعة المصرية : كلية الحقوق] — ٤١١ ص . متوسطة — مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٣٦

ان اشد الصعوبات في مطالعة كتب الشرع الاسلامي صادرة عن فقدان الترتيب والتنسيق في عرض المسائل الفقهية . فانك ترى الفقهاء يعالجون مواضيع يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كلياً ، كائنا بينها علاقة وثيقة . فالمواضيع الدينية مختلطة بالمواضيع الدنيوية والقانونية . وفي الموضوع نفسه تختلط المسائل اختلاطاً غريباً . وكل ذلك متأتٍ عن ان الفقهاء لا يدرسون المسائل الفرعية على اساس المبادئ العامة حتى انه لا يوجد ذكر لهذه المبادئ في الشرع الاسلامي.

فكتاب السيد شفيق شحاته هو محاولة قيّمة لبحث المسائل الفقهية على

اساس المبادئ العامة والنظريات الشاملة ، وفقاً لاحدث الاصول العلمية . ولا ريب في ان الصعوبات التي اعترضت المؤلف في انفاذ هذا المشروع كانت جمة نظراً لحالة النصوص الشرعية ، كما تقدَّم بيانه. فكان على المؤلف ان يستنبط ، هو نفسه ، من مجموعة المسائل الفقهية المتفرّقة المبادئ العامة التي تربطها بعضها ببعض ، ويسرد هذه المبادئ مع بيان اتصالها بمبادئ اخرى اعم . فالكتاب منسَّق كما تنسّق المؤلفات الحقوقية الاوربية الحديثة ، بصورة انه اصبح سهلاً لمن درس الحقوق ، حسب الاصول العلمية الغربية ، ان يطالع القسم من الشرع الاسلامي الذي عالجه المؤلف ، بكل سهولة.

ومن مطالعة مراجع الكتاب يتبين ان المؤلف، خلافاً لكثير من الكتّاب المتطفّلين ، لم يكتفِ بمراجعة بعض الكتب الحديثة ، بل حلّل النصوص الشرعية الاصلية ، وكثيراً من مؤلفات الفقهاء الضخمة ؛ وبالاستناد الى كل ذلك ، خاض موضوع بحثه ، وقسمه الى اقسام اساسية وفرعية ، كما تقسم المؤلفات العلمية الحديثة التي تبحث عن الالتزامات المدنية.

اما تراءى لنا ان وقع بعض هفوات في الكتاب: منها واحدة متعلقة بمسألة مرور الزمان ، او التقادم (ص ١١٤) ، فالمؤلف يقول « ان الحكم بعدم سماع الدعوى لسبب التقادم لا يتحتَّم على القاضي الذي لا يستطيع دائماً النظر في الدعوى اذا لم يتراءَ له انها، في الحالة المعروضة، تنطوي على شيء من الغش ». وليس عهدنا ان للقاضي حقاً كهذا ، كما يتبين ذلك من نصوص المجلة ، وكما هو ثابت عليه ، بحسب علمنا ، اجتهاد المحاكم.

اما بخصوص الحوالة فيقول المؤلف ان شرط انعقادها الوحيد « هو رضا كل من الدائن والمدين الجديد » بينما انه يتبين من نص المادة ٦٨٣ من المجلة ان الحوالة تنعقد ايضاً بشكل آخر ، وهو اتفاق المدين الاصلي والمدين الجديد، على ان قبول الدائن الجديد يُشترط لنفاذ الاتفاق فقط ، وليس كشرط لساسي لانعقاده . ويتبين ايضاً من نص المادتين ٦٨٠ و ٦٨٢ ان الحوالة تعقد ايضاً ، وبالاولى ، باتفاق يشترك فيه الدائن والمدين الاول والمدين الجديد معاً.

اميل تيان

حقوق الطوائف الدينية في مسائل الاحوال الشخصية

وهي كناية عن مرسوم الاعتراف بقانون الاحوال الشخصية للطوائف الدينية في المملكة المصرية

مشروع عملي وضعه الاب منصور عوّاد البحرصافي

٥٤ صفحة قطع ٤ – ١٩٣٦

من اشد المصاعب التي تعانيها حكومات البلاد الشرقية ، وبالاخص هذه البلاد اللبنانية ، هي مسئلة تعيين صلاحية السلطات الروحية وامتيازاتها التشريعية والقضائية . ومنشأ هذه الصعوبات هو تعدّد الطوائف ، ومن جهة اخرى عدم وجود نصوص قانونية عامة ، معترف بها يمكن لكل ذي مصلحة الرجوع اليها . وكثيرًا ما ترفع امام المحاكم الدينية دعاوي يحتاج فصلها الى الاطلاع على قوانين الطوائف ، فيقف القضاة محتارين بامرهم ويرغمون احيانًا على فصل القضية بالاستناد الى المنطق والانصاف دون النصوص القانونية المفقودة . ولكنه لا يجب ان يستغرب انه لتاريخ اليوم لم يسنّ قوانين بهذا الخصوص ، فمهمة الشارع قد تكون صعبة للغاية ، نظرًا لما يجب ان يطلع عليه للوصول الى نتيجة مرضية من التقاليد القديمة جدًا التي تمشت عليها كل طائفة والفروق التي تميزها عن الاخرى ، ونظرًا ايضًا الى ان الظروف التاريخية والاجتماعية قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليه في الزمن الغابر . على انه يقال ان السلطات المختصة عندنا قد باشرت ، منذ مدة غير يسيرة ، درس هذه المسئلة ووضع مشروع قانون عام لتعيين صلاحية وامتيازات الطوائف

فيكون الكتاب الذي وضعه حضرة الاب منصور عواد ، وهو صاحب الاطلاع علميًا وعمليًا في هذه المواضيع ، قد اتى بوقته وهو يتضمن مشروعًا يمكن للهيئات ذات الصلاحية ان تدرسه وان تتخذه مثالاً للقوانين التي ترغب في نشرها . فمشروع الاب منصور موضوع على نمط القوانين الحديثة ، وفيه الجواب الفصل عن جميع المسائل التي تختص بصلاحية المحاكم المذهبية ، وامتيازات السلطات الروحية ، وعلاقاتها مع السلطات الحديثة ومع الافراد ، كل بحسب طائفته .

وهذا الكتاب ، ولئن كان مختصاً بقانون الاحوال الشخصية للطوائف الدينية في المملكة المصرية كما هو عنوانه ، الاّ انه يشمل بالحقيقة المسائل المختصة بالاحوال الشخصية في سائر بلاد الشرق الادنى

لذلك تتمنى لهذا المؤلَّف رواجاً لا بين العامة فقط ، بل ايضاً وبالاخص لدى الدوائر الحكومية كي تحثها مطالعته على الاسراع في نشر النصوص المنشودة ، بعد ان تستقي منه كل الفوائد التي فيه ، وهي كثيرة.

اميل تيان

تاريخ الآداب السريانية

لواضعه المونسنيور بولس السعاني

الجزء الاول : ٦٠ ص قطع ٨ — المطبعة البطريركية اللاتينية ، رافات (القدس) ، ١٩٣٣
الاجزاء ٢ و٣ و٤ : ٤٤٢ ص قطع ٨ — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦

نهض المونسنيور بولس السعاني ، المعتمد البطريركي الماروني في عاصمة الكثلكة ، نهضةً مباركة لانعاش آداب اللغة الآرامية السريانية ، وتحبيب دراستها الى روّام العلوم الشرقية عموماً ، وطلّبة المدارس الرهبانية والاكليريكية خصوصاً . فاتحفهم بكتاب في اربعة اجزاء ضمّنه اخبار أدباء السريان أدمجها بنتف من نصوصهم شرحها شرحاً جلياً وافياً ، ناهجاً في ما سرده نهجَ نسيبه الخالد الاثر العلّامة المونسنيور يوسف شمعون السمعاني (١٦٨٧ – ١٧٦٨) في مكتبته الشرقية الشهيرة . مضيفاً الى ذلك كله لمعةً عما نشره أئمة المستشرقين الفرنسيين ، والالمان ، والانكليز ، والايطاليين ، من التصانيف السريانية ، وما علّقوا عليها من الفوائد التاريخية والعلمية . فجاء مؤلفه هذا النفيس جديراً بان يُقبل على مطالعته والاستفادة من مضامينه محبُّو الآثار الشرقية وطلّاب اللغة الآرامية السريانية.

خصّص المؤلف الهمام الجزء الاول بنبذة تاريخية عمومية عن قدم اللغة السريانية ، وشرفها ، وازدهار مدارسها ونبوغ اساتذتها في اصناف العلوم والآداب. وضمّن الجزء الثاني اخبار كتبتها الاولين مذ شمعون برصبّاعي ، جاثليق

المشرق (٢١٣ — ٢٣٠) حتى مار يوحنا مارون ، اول بطاركة السريان الموارنة . وافرز الجزء الثالث لكتبة السريان الشرقيين النساطرة مذ نرساي (٣٩٩—٥٠٢) حتى عمرو بن متى ، وماري بن سليمان ؛ وافتتحه بمقدمة سريانية صدّرها بعاطفة بنوية جميلة رفعها الى صاحب القبطة مار انطون بطرس عريضة ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، الجزيل الطوبى ، وافرغها في قالب جزل برهن على ثقافته وتضلّعه من تلك اللغة الشريفة . اما الجزء الرابع فقد انطوى على اخبار كتبة السريان المنوفيزيتيين او اليعاقبة بدءا من فيلكسين اسقف منبج († ٥٢٣) حتى المفريان غريغوريوس ابن العبري († ١٢٨٦).

بيد ان المؤلف الفاضل ، على اثباته (٢ : ٨٨) طائفةً صالحةً من كتبة السريان الموارنة والكلدان حتى القرن السابع عشر ، قد اضرب عن ذكر اخبار الكثيرين من ائمة السريان ممن اكتشف المستشرقون آثارهم القلمية ونشروها بعد عهد السمعاني الكبير. من ذلك هرقليدس الدمشقي ، مترجم كتاب نسطور في القرن السادس ، وسهدونا او مرطوريس في عهد هرقل (٦١٠—٦٤١) ، وقد نشر كتابيهما الاب بولس بيجان اللازاري . وقس عليهما اخبار سويرا سابخت رئيس دير قنسرين في القرن السابع ؛ وابي الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني الصابئ الذي صنّف في القرن التاسع في السريانية الفصحى نحو ستة عشر كتاباً[1] ؛ ويوحنا بن اندراوس اسقف منبج فطور عبدين († ١١٥٦) ؛ وساويرا يعقوب البرطلي († ١٢٤١) ؛ والقس يشوع بن داود بركيلو في القرن الثالث عشر ، وقد نشرنا رسائله عام ١٩٢٨ ؛ والمفريان برصوما († ١٣٠٨) شقيق ابن العبري؛ وابن وهيب († ١٣٣٣) ؛ وبهنام الحدلي († ١٤٥٥) ؛ ونوح البقوفاري († ١٥٠٩) بطاركة السريان اليعاقبة الخ . والمفريان باسيليوس اسحق جبير († ١٧٢١) السرياني الكاثوليكي الذي قرّظه العلّامة السمعاني تقريظاً جميلاً الخ

ومع الثناء على ما بذله المؤلف من الهمّة ، وما عاناه من التعب والمشقة في تأليفه هذه ، رأينا ان نبدي النظر في ما لحظناه فيه من بعض النواقص

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١٦٦

والهفوات لعله يستدركها في جزء خامس. من ذلك اهماله اخبار ططيان الآثوري الآرامي (١١٠—١٨٠ م) صاحب الاناجيل المجتمعة المعروفة بعنوان «دياطسرون» او «مدمسكها» ؛ وزعمه (٤ : ١٠٠) انه كان اسكندرياً. وإضرابه عن ذكر فالوط ، اسقف الرهـا ، ناقل الكتاب المقدس الى السريانية في القرن الثاني ؛ وعن وصف سرجيس الراس عيني (+ ٥٣٦) الملكي السرياني (٤ : ١١١) اول من نقل كتب الفلاسفة والاطباء عن اليونانية الى السريانية الخ.

ثم انه سمّى القديس مـاروثا اسقف ميافرقين (+ ٤٢٠) اسقف تكريت اوميافرقين (٢ : ٥٤) فجعل المدينتين مدينة واحـدة (٢ : ١٦٦) مع انهما مختلفتان . وزعم ان قانيقية هي في اذرهان (٤ : ١٤) مع انها هي الرقة[٢] . وقس على ذلك تحريفه اسماء بلاد وأعـلام شتى نقلها عن اللاتينية ، لا عن اصليـا السرياني ، نحو «مبوجي» (٢ : ١٢٠) بـدلاً من «منبجي» ، و«ارسام» (٢ : ١١٩) بدلاً من «ارشم» ، واكاكيوس (٢ : ٦٤) بدلاً من اقاق الخ .

زد على ذلك انه اورد اخبار بعض الكتبة ايراداً مشوّشاً مخالفاً للتاريخ الصحيح كبرديصان الرهاوي (١٥٤ — ٢٢٢ م) ؛ وافرهاط الحكيم الفارسي نحو السنة ٣٤٥ م . وكان حقه ان يثبت في الجزء الرابع اخبار الكتبة اليعاقبة مثل دانيال الصلحي ، ويعقوب الرهاوي ، وجورجي اسقف العرب في الكوفة. ويضم الى الجزء الثالث اخبار كتبة السريان النساطرة مثل اسحق اسقف نينوى ويوحنا صاحب الدوالي وبكتها وابرهيم النفتري يعقوبا .

بعد هـذا كله ، لسنا نرى الا المجاهرة بآيات الثناء على جهود المونسنيور السمعاني الجليل ، مقتنعين ان نقدنا هذا لا ينقص من فضله ولا من قيمة كتابه. فانه ، كما قلنا ، خليقٌ بان يُجعل دستوراً لجميع الراغبين في درس آثار الاجداد القيّمة ، واقتباس ما انطوى عليه من الفوائد الجمة.

ا . ا .

٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ٢٦٠

كتاب الفلك الدوّار في سماء الائمّة الاطهار

تأليف وارث الحوابي الشيخ عبد الله بن المرتضى الاسماعيلي المذهب

٢٧٥ ص. قطع ٨ — المطبعة الكاثوليكية ، حلب ، ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م

بسيط الكتاب بظاهره ، وهو مغلّف بالورق الخفيف ، ومطبوع طبعةً توخّى بها صاحبها التوزيعَ في سبيل مصلحة المذهب الاسماعيلي ، لا المنفعةَ التجارية . وهذا الكتاب « يُعطى للعلماء ورؤساء الاديان والطرق وارباب الصحف والادباء ومعلمي المدارس وتلاميذها ولدور الكتب ورؤساء الادارة الحكومية بلا بدل ، وللاسماعيليين بثمن ليرة سورية » .

ولما كان موضوعه خطيرًا ، وهو سفر من تاريخ الاديان ، لم يكن بد من امعان النظر فيه . وقد ينال قيمةً خاصة من مزايا مؤلفه ، ومن الفوائد الوافرة التي احتوى عليها ، لأن الوثائق الاصلية المعروفة عن مذهب الاسماعيلية لم تكن الى عهد قريب منا الّا مبتورةً وجيزةً . فهذا الكتاب يزيدها ويكملها .

انتسب عبدالله بن المرتضى الى الحاج خضر (ص ٢٧١) المرسل في القرن الحادي عشر الهجري من قبل الامام المعصوم مرشدًا الى اسماعيلي سورية . ولد عبدالله في قرية خربة الفرس سنة ١٨٩٥ ، واختص برتبة وارث بلدة الحوابي فصار « داعياً » من قبل الامام الاعظم السلطان محمد شاه علي الحسني اقا خان « قطب دائرة الوجود » (ص ٢٥٣) . وافهم بالداعي في مذهب الاسماعيليين الرجلَ المعهود اليه بارشاد الناس الى اعتناق المذهب الاسماعيلي من قبل الامام . الى ذلك الامام اهدى المؤلفُ كتابه ، وعلى نفقته شاد المدرسة المحمدية في قرية الحوابي . ومعلوم ان زعيم الاسماعيليين حالًا هو اقا خان ، سليل حسن الصباح امام آلموت ، والمعدود ٤٧ بعد علي بن ابي طالب . اما اقا خان « فهو الثامن والاربعون من جدّيه محمد وعلي » .

في الكتاب قسمان : الاول فيه عرض المبادئ الدينية ، وقد تتخللها الآيات القرآنية مؤوّلةً طبقًا للمذهب الاسماعيلي ، والكلام على الاختلافات المادية والمعنوية التي تقع في العالم وعلى الشرور الناتجة عنها ، وعلى ضرورة العلاجات

الناجمة بواسطة حكيم حاذق ؛ وهو ، طبعاً ، في نظر المؤلف ، امام الشيعة الاسماعيليه . ومن الكلام عن النظام الالهي ، او الناموس ، وفضائله في العالم ، يتطرّق المؤلف الى الكلام عن الشريعة الادبية وكيفية انجابها في القلوب المظلمة ، ومن ثم عن انجلائها في الكتب المنزلة وبمعرفة الامام المعصوم . وان للمسلمين في ذلك مذاهب فمنهم من يرى ان الامامة يجوز وضعها في مطلق شخص يمتّ الى الدوحة المحمدية . وقد يصطلح بعضهم على ان من يملو اريكة الخلافة الزمنية يدعى اماماً . فالاولون ، ومنهم الاسماعيليون ، يقولون بامامة عليّ ، ثم الائمة المتعاقبين من ذريته . ويميزون بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية الباطنية وفيها الامامة المطلقة . اما المبادئ الفلسفية المدعمة عليها الديانة الاسماعيلية فتمتّ الى تعاليم اخوان الصفاء (ص ١٧) .

اما قسم الكتاب الثاني فيبحث تاريخ الاسماعيليين وتكوين قوميتهم منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم ، الى « انتقال الامام علي » ، فيأتي على اخبار العهد القديم ، وعلى اخبار ظهور الدين المحمدي بين الصلاة والحروب والآيات المنزلة والسيوف اللامعة الى ان حدثت الثورات حول سدة الخلافة ، « فيغيب » الامام على ، « والاسماعيليون لا تسوّغ لهم عقيدتهم بان علياً دفن في الثرى ويقولون ان خمسة رجال ظهروا في العالم لم يدفنوا في الثرى وهم اخنوخ ، وايليا ، والخضر ، وعلىّ ، والحاكم بامره » .

ومن عهد الامام علي سنة ٤٠ الى عهد عبيد الله رضى الدين سنة ٢٩٦ هـ مؤسس الدولة الفاطمية ، كان دور التقية ، والسرّ ، والصيانة بين الاسماعيليين الى ان ظهرت دعوة ابي مسلم الخراساني الاسماعيلي ، على قول المؤلف ، ثم قُتل فلم يبقَ للاسماعيليين زعيم سياسي . فقام بينهم الامام جعفر الملقب الصادق ، فولد له ستة اولاد ذكور وعليهم اختلفت الشيعة في الامامة ، ومن ذلك الاختلاف نشأ المتاولة والنصيرية . اما الاسماعيليون فيقولون بصحة امامة اسماعيل اكبر اولاد جعفر فيتحملون الاضطهاد ، ثم يتكتمون ، فتظهر فيهم طائفة من العلماء عرفوا باخوان الصفاء ، فوضعوا الرسائل الفلسفية ، وعليها درس ابن سينا والفارابي والسهروردي ، وبثوا دعوتهم في الاقطار العربية ، فما لبث ان استقلّ

حماستهم الدينية الامراء الفاطميون في مصر واتخذوا من الاعتقاد بالامام المهدي حجة ليعلنوا تشيعهم ، فالتف حولهم الاسماعيليون ودعموا سلطتهم ، فتلقب الخلفاء الفاطميون بالائمة وجمعوا بين السلطتين الزمنية والروحية . ومن اشهرهم الحاكم بامر الله (ص ١٦١). وقد حاول مؤلف الكتاب نفي ما نسب الى الحاكم من الاعمال المستغربة (ص ١٦٧) ، وذكر عنه وعن غيره من الائمة الاخبار الملائمة لتعليم اهل الشيعة بعصمة الامام من الخطأ والضلال ، وبيّن انفصال الطائفة الدرزية عن الكتلة الاسماعيلية .

وانقسم الاسماعيليون ، على عهد خلافة الامام المستنصر ، فمنهم من والوا ابنه نزار ودُعوا نزاريين باسمه ، وقالوا ان الخلافة الزمنية اتباعها غير وجوبي ان انفصلت عن الامامة الكبرى ، وهم الاسماعيليون المعروفون الآن « بالاقاخانيين » . ومنهم من والوا المستعلي وقالوا ان الامامة تكون حيث الخلافة الزمنية ، او بالاحرى على رأي الجمهور ، وذلك على طريقة قدماء المسلمين ، وهؤلاء هم « البهرة » .

وأدّت الانقسامات بين مصر والعراق الى حروب دامية دارت رحاها بين امراء الاسلام . وزاد بالطين بلّة دخول الافرنج البلاد السورية ، ونشوب الحروب الصليبية ، فتجند الاسماعيليون في خدمة الامراء على اعدائهم . وربما خدموا الافرنج ، نقمةً منهم على اخصامهم المسلمين حتى كاد صلاح الدين الايوبي يذهب ضحية بطش الاسماعيليين .

وممن اشتهر في ذلك العهد احمد بن عبد الملك بن عطاش ، فملك قلعة آلموت ، وغيرها في بلاد ايران ، ونشر الدعوة الاسماعيلية ، وهو شيخ الجبل الاول وخلفه حسن الصباح .

ونفى المؤلف ما نسب الى الاسماعيليين في ذلك العهد من استعمال المخدّرات وشرب الحشيش المغري بهم الى ارتكاب الخيانات . لكنه سلّم بالفدائية الاسماعيلية ، وهو التضامن الذي ساد فيهم فبث في قلوبهم روح التضحية في سبيل الامام ، وقال : « تلك الفاعلية التي كان يجذبهم فيها شيخ الجبل ولا تزال للان على الكتمان هذه هي : شيخ الجبل او وزير الدعوة هو كفرد نحو العالم الاسماعيلي نحو الواجب ممتاز عن سواه بالامر الذي القي اليه من الامام المعصوم

والصفة الدينية التي تجلب بها فلا يجرم امرأ ولا يسعى قيد انملة الا بارادة امامه التي يمليها عليها وبدوره ينفذها الى حيز العمل . فالفدائي يندفع عن ايمانه بالآية القرآنية « الذين يقتلون في سبيل الله هم احياء عند ربهم يرزقون ».

وتعددت الحوادث ، وطرأ على الشرق انقلابات سياسية عند دخول المغول وظهور المماليك الى ان تملك بنو عثمان البلاد الى آخر الحرب العالمية فما بعد . وكان للاسماعيليين دورهم في الاعمال ، طوراً ينصرون السلطان وطوراً يتآمرون عليه طبقاً لمصالحهم . فنالهم الاضطهاد على عهد الاتراك خاصة ، ونشبت فتن بينهم وبين النصيرية عند الاحتلال اذ سعت حكومة الامير فيصل الى اخضاعهم . لكنهم والوا الافرنسيين ومنهم استمدوا المساعدة على حفظ كيانهم .

اما مواطنهم فتمتد على قضاء انطاكية ، وجسر الشغور ، والحصن ، وعكار . وقسم منهم يقيم في مدينة دمشق ، ويبلغ عددهم في سورية الآن زهاء اربعين الفاً .

وقع في الكتاب اغلاط مطبعية قد يصححها القارئ من قرائن المتن . اما التعقيد في التعبير ، والاقتضاب في سرد الحوادث ، والاصطلاح في استعمال الالفاظ بالعرف الاسماعيلي مع ذكر اعلام اكثرها دفين في طيات المؤلف الخاصة ، فكلها عقبات ، ولكنها لا تحول دون استنتاج فوائد جمة من ذلك الكتاب الفريد.

ف . ت .

الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣—١٨٥٥

للامير عمر طوسون

مطبعة المستقبل ، الاسكندرية ومصر ١٣٥٥-١٩٣٦ ، ص ٢٥٤ قطع ٨

ان هذا الكتاب اشبه بمجموعة وثائق ومنها يستمد قيمته . تلك الوثائق بعضها معروف كاقوال ابن بطوطة ، والتعليقات الواردة في الموسوعات عن شبه جزيرة القرم ؛ وبعضها مجهول من القراء العرب اخذها المؤلف من الصحافة

المعاصرة لحرب القرم واخصها لوندن الوستراتد نيوز . اما فضل المؤلف الخاص ، وفيه نزعة الابتكار ، فهو تنقيبه عن اللوائح والاحصائيات للرجال والاسلحة والاشياء التي قدمتها مصر للباب العالي برًا وبحرًا في تلك الحرب التي خرجت منها ظافرة على المسكوب بمساعدة حليفتيها فرنسة وانكلترة ، فنشرها بتنها الاصلي جليةً واضحةً .

قد اهتم صديقنا الاستاذ اسد رستم بنشر اصول التاريخ المصري . فهذا الكتاب اتى حلقةً جديدةً في سلسلة الاصول . نعم انها تشمل عهدًا تابعاً لعهد ابراهيم باشا ومحمد علي . ولكن البعض من الرجال الذين حاربوا في القرم كانوا قد خدموا عهد ابراهيم ، وتاريخهم يعود بالفائدة على عهدهم وعلى العهد السابق .

وفي الكتاب صور عظام رجالات ذلك العهد ، ورسوم وخارطات مفيدة ، حقيقة بان يرجع اليها اساتذة التاريخ ليطالعوها ويستندوا اليها في تدريسهم .

ف . ت .

تاريخ العراق بين احتلالين

حكومة المغول

يبحث في اوائل المغول وحكومتهم في العراق ايام هلاكو واخلافه الى آخر عهدهم .
وفيه فهارس عديدة ، وتصاوير كثيرة ، وخارطتان

بقلم المحامي عباس العزاوي

يطلب من مكتبات بغداد — مطبعة بغداد ١٣٥٣ (١٩٣٥) ، ق ٨ ، ص ٦٤٤

في صفحة ٣٠٨ من مشرق هذا العام عرّفنا القرّاء الى مؤلفات حديثة في العراق ووزاراته وثوراته وشؤونه في دورَي الاحتلال والانتداب . اما اليوم فالكلام عن العراق في العهد المغولي ، والفضل في موضوعه يعود على المؤلف بالثناء ، وعلى ابنائه وطنه بالمسرّة ، ولهم في ما نُشر عن بلادهم في هذه الآونة القريبة منا ما يستحثهم على مطالعة تاريخها .

جديرة بالذكر لائحة المراجع التي عوّل عليها الاستاذ العزاوي ، ولم نرَ لها في دائرة المعارف الاسلامية مثيلًا ، فهي تشمل ، فضلًا عن تسع صفحات في آخر

الكتاب ، ما ينيف على ثلاثين غيرها في اوله وفيها مختصر تراجم ابن الاثير ، وابي الفداء ، وابن الوردي ، والمنكبرتي ، والجويني ، وابن فضل الله صاحب تاريخ وصاف ، ورشيد الدين ، وابن العبري ، وابن الفوطي ، والبيضاوي ، والسبكي ، وكاتب چلبي ، وبهادر خان ، وابن خلدون ، ومرتضى آل نظمي ، والعسقلاني ، وغيرهم . وقد كتبوا بالعربية ، والتركية ، والفارسية ، فاخذ عنهم المؤلف وروى اقوالهم بقالبها الاعجمي او كاد مما يُعسر قراءة الكتاب ، ويلجئ المطالع الى اعادة تصفح المتن احياناً لفهمه . وليست تصحيحات الاغلاط المدوَّنة في صفحتي الكتاب الاخيرتين لتزيل المصاعب التي تحول دون الوضوح في اساليب الطبع والانشاء .

على ان الاجتهاد بيّن في الحرص على الروايات ، وفي نسبتها الى اصحابها ، وسوف تؤدي مجموعتها مادة معدّة لمن يأتون بعد العزاوي لمعالجة تاريخ العراق العلاج العلمي ، فيختارون من صفحاته النواة الصالحة لتدوين الحقائق التي لا شبهة في صحتها ويستغنون عن ذكر النوافل ، ولو طريفة ، ويزيدون عليها ما قد الف علماء الغرب الاهتمام به كثيراً من درس حدود البلاد الجغرافية واحوالها الطبيعية ، وشؤونها في سكانها على اختلاف أصولهم ومشاربهم حتى اذا اعدوا المسرح للتمثيل اظهروا عليه الممثلين واهمهم هولاكو الجبّار ، على دهائه وغشه في الحرب وبطشه في الفتح ومعاملته المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

طريفة هي قصة نبي الترك (ص ٥٩ من تاريخ العزاوي) ، وقصة الانقوروا (ص ٧٠) لكنهما لم تسردا بالاسلوب المراعي حق التواريخ لئلا يضلّ القارئ بين الحقائق والاساطير . وقال المؤلف في اوغوز خان نبي الترك (ص ٦٣) ، ولعل وجوده يصادف زمان « السريين والعيلاميين » ؟ فحيرنا !

وبعد أن وصف فتوحات هولاكو بالسيف والنار ، وما عقبها من الويلات في نكبة بغداد قال في تلك الوقعة « لم تضارعها وقعة اصابت البلاد الا حادثة ضياع بغداد على يد الانكليز » (ص ٢٢١) ، فدهشنا لهذه العبارة عن اديب له من معاطاة المحاماة الانصاف في التقدير والصواب في الحكم . ولا نخال تلك العبارة الا فلتة قلم مجاراةً لعواطف العامة في مغالاتها اذا غالت . ف . ت .

تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم

يبحث عن عقائد اليزيدية ، وتطوّر مخلفاتها في مختلف العصور ، ووقائعها التاريخية ، وعشائرها ، وقراها ، ونص كتبها الدينية كمصحف رش ، وكتاب الجلوة . وفي الكتاب فهارس متعدّدة وخارطة .

بقلم المحامي عباس العزاوي [1] .
بغداد ١٣٥٣ — ١٩٣٥ (ص ٢٢١)

ان عنوان الكتاب الفيّاض وما قلناه سابقاً عن المؤلف يكفينا مؤونة الاسهاب في التعريف ، وحسبنا امعان النظر في غرض الكتاب . قد صار اليزيدية منذ نشر عنهم الاب انستاس الكرملي في « المشرق » مقالاته (سنة ١٨٩٩) ، موضوعاً لدروس ومقالات وكتب اسيئت دائرة المعارف الاسلامية في وضع لائحتها . وخلاصة الكلام فيها ان اصل اليزيدية لا يزال مشبوهاً به ، فالبعض يصعدون بهم الى فئة من الايرانيين القائلين بمذهب المزد المعترف بوجود مبدأين اوّلين : هما مبدأ الخير ، ومبدأ الشر . وتلك عقيدة مانو ، وبعضهم يجعلون بينهم وبين يزيد بن معاوية الاموي ، ومن هؤلاء واضع هذا الكتاب .

قال (ص ٩٤) ، بعد ان روى اقوال السمعاني ، وابن قتيبة ، وابن تيمية ، وغيرهم من ائمة المسلمين : « ان اليزيدية دخلوا الاسلامية كسائر من دخل من باقي الامم في ايام الامويين » . ومن اصدق الشواهد على ذلك ، على قولهم ، صلاتهم في مسجد المسلمين ، وانتسابهم الى الامويين ، واتباعهم الشيخ عدي ، وكان مسلماً . على انهم غالوا في مذهبهم الى ان ابتعدوا عن دين الاسلام بمراحل ، والنصوص المنقولة عنهم تبين معتقداتهم ، الى ان اختلق عليهم اناس كتاب الجلوة ، ومصحف رش ، وكان سبب ذلك بعدهم عن الحضارة والعالم الاسلامي . وينهي المؤلف كلامه على « الامل ان يفهم اليزيدية تاريخهم ويعودوا الى معتقداتهم الاولى » ، ولعل في هذه العبارة الاخيرة حل اللغز المعقد به الكتاب كله ، وهو ان يبرهن المؤلف ان لا اقلية يزيدية ، كما ان الحكومة العراقية تأبى القول بوجود اقليات في بلادها .

ف . ت .

---

١) ترجم الكتاب احد ادباء الانكليز وطبعه في لندن

الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات

بقلم الاب بولس مسعد

٢٠٠ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية، ١٩٣٦ – الثمن: ليرة ل.س.

يذكر القرّاء ذاك الاحتفال الفخم الذي جرى في الشهباء بمرور مائتي سنة على وفاة المطران جرمانوس فرحات ، احد باعثي النهضة العربية ، وممهدي السبيل الى الثقافة العصرية. وقد شاء حضرة الاب بولس مسعد الراهب الحلبي اللبناني ان يكون له نصيب في هذا الاحتفال ، وهو المنتسب الى رهبانية المطران ، فاقام مدّة ينقّب في وثائق الديورة ، ولا سيما دير رومة ، ويفتّش في مجاميع الرسائل الرهبانية ، مضيفاً الى ذلك ما يعرف من اقوال المعاصرين والمؤرخين ، حتى اخرج هذا الكتاب القيّم في حياة المطران ، مفصّلاً فيه نشأته وحداثته ، وترهّبه ، وانتقالاته من دير الى دير ، وما تخلّل ذلك من اختلافات ومنافسات ومناقشات ، وما يُعرف عن انتخاب فرحات رئيساً عامّاً ، وعن سيامته اسقفاً على حلب . وبعد ان يصف اخلاقه ومزاياه ، يعرض لدرس فرحات لغوياً ، وناثراً ، وشاعراً ، وعالماً. فيأتي بحجج صالح لتشييد شخصية فرحات يُضاف الى ما تقدّم فنشره ارباب اليوبيل من اقوال الخطباء والنقدة في المطران العظيم.

ف.ا.ب.

الذكرى القرنية الثانية للمجمع الاقليمي اللبناني

بقلم الاب بولس مسعد

٩٦ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦ – الثمن: ٢٥ غرشاً ل.س.

وهذه ذكرى ثانية خصّها المؤلف نفسه بالمجمع اللبناني جمع فيها « مباحث تاريخية تدور حول ما سبق ، وصحب ، وعقب هذا المجمع من الامور الهامّة مما لم يزل مودعاً في خزائن المخطوطات»، مرتّباً هذه المعلومات على ثلاثة ابواب: في تاريخ المجمع وما اليه ، وفي القضايا التي جرى الاختلاف عليها ، وفي نسختي المجمع اللاتينية والعربية. وقد دُوّن كل من هذه الابواب وثائق طريفة ، ومعلومات يعسر الحصول عليها الاّ على يدي منقّب خبير كالمؤلف عرف سجلّات

الديورة ، ومخطوطات الرهبان. ولا شك في ان التاريخ الماروني اللبناني يشكر له هذه الهمّة ، ويرغب اليه ان يواصل الاجتهاد في هذا الحقل الخصب.

ف. ا. ب.

فاروق الأول

بقلم طاهر احمد الطناحي

١٩٤ ص. متوسطة مصوّرة — دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٦

كتاب جميل المظهر ، انيق الطبع ، فائق الصور ، لائق بموضوعه العالي ، وبطابع دار الهلال المتقنة. جمع فيه المؤلف كلّ ما يتوق المصريون الى معرفته عن مليكهم الشابّ ، وكل ما يسرّ غير المصريين كذلك ان يطّلعوا عليه من حياة خليفة فؤاد الأول ، باعث الآمال في النهضة العربية ، ومعزّز الثقافة الشرقية على مختلف مناحيها. وقد عرض الاستاذ الطناحي معلوماته الثمينة على فصول متناسقة سار فيها سيرًا تاريخيًا ، مقدّماً المقدّمات العامة في ماركَ مصر الشأن ، وطبيعة الديموقراطية في محمد علي وخلفائه ، وصفات فؤاد الأول ، متتبعاً جلالة الملك الحالي منذ ولادته ، الى عهد دراسته ، واخذه بالثقافة الرياضية ، الى عهد نزوله لندن ، الى ارتقائه عرش آبائه ، مزيناً كل ذلك بالصور الجميلة ، حتى الى الكتاب اثرًا نفيساً يلذّ للعين ، ويتع الذهن.

ف. ا. ب.

الملك هنري الخامس

تأليف شكسبير — ترجمة سامي الجريديني

٧٦ ص. متوسطة — دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٦

عُرف المعرّب بآثار عديدة من أشهرها «خمسة في سيّارة» و«الرسائل الضائعة» وقد كان له ميل الى نقل شكسبير فترجم « هاملت » ، و« الملك لير » من مآسي الشاعر الانكليزي الكبير ، « ويوليوس قيصر » من رواياته التاريخية . وها انه اليوم يأتينا برواية جديدة لها شهرتها بين ارباب الأدب ، وان لم تبلغ روائع شكسبير السابقة الذكر. على ان فيها ما اتصف به الشاعر العالمي من

تغلغل في حنايا القلب البشري ، واطّلاع على مطاوي النفس الانسانية الماثلة مصدرًا حيًّا للأدب الخالد فوق المكان والزمان. هو بعض ما يعرفه النقد في شكسبير ، وبعض ما يدفع الى شكر المعرّب الاديب. ف.١.ب.

عاطفة في عاصفة

بقلم الخور اسقف بطرس حبيقه

٢٢ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٧

هي الهدية السنوية يرفعها الخوراسقف بطرس حبيقة الى صاحب الغبطة البطريرك انطون عريضه ، بمناسبة الحفاوة بعيد ارتقائه الكرسي البطريركي. وقد جمع في كرّاس هذه السنة ، باللغتين العربية والفرنسية ، معلومات عن جهود غبطته الدينية والوطنية ، ومساعيه في سبيل الاستقلال الوطني ، وتعلّقه برومة ، وتضحيات البطريركية المارونية في التاريخ الخ...

خواطر الاخت ماري ليسوع المصلوب

تأليف الاب دنيس بوزي – تعريب الاب انستاس ماري الكرملي الحافي

١٨٠ ص. متوسطة صغيرة – دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٦ – الثمن: ١٠٠ فلس

الاخت ماري ليسوع المصلوب راهبة شرقية كرملية تُوفيت برائحة القداسة في دير كرمليات بيت لحم ، سنة ١٨٧٨ تاركة عددًا من الشذرات والخواطر في مختلف مظاهر الكمال الروحي ، فجمعها احد الكهنة الفرنسيين من جمعية قلب يسوع. ولمّا وقف حضرة المعرب « على ما فيها من التألّق والتلألؤ ، احبّ ان يعرضها على ابناء اللغة العربية ، ليعرفوا ما في بلادنا الشرقية من الخرائد التي تزري بكل عقد ثمين ، وما فيها من دقائق الكنوز التي لا يعرفها الاّ الله. »

الكَلِم الاخيرة

نقلها الى العربية الاب أنستاس ماري الكرملي

١٩٢ ص. صغيرة مصوّرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦

وهذا ايضًا من آثار حضرة المعرّب ، نقل فيه المحادثات الاخيرة التي نطقت

بها القديسة تريزة للطفل يسوع ، من ايار الى ايلول ١٨٩٧ ، باذن خاص من رئيسة الراهبات الكرمليات في ليزيو ، وغايته ان « يستفيد من هذه الآيات البيّنات (قراؤه) الاعزّة لما يتجلّى فيها من طهر النفس ، ولحمل الواقفين عليها ، على التمسك بعرى الفضيلة ، التي هي التسلية الوحيدة لمن يتحرّى السعادة في هذه الدنيا الفانية . » وفقه الله !

اي انسان هذا ؟

تأليف رتشاردس — ترجمة حبيب سعيد

٧٤ ص . متوسطة صغيرة — مطبعة النيل المسيحية ، بولاق — الثمن : ٣ غ . م .

هو الرقم الاول من « سلسلة المباحث الخطيرة » التي تصدرها جمعية نشر المعارف المسيحية (البروتستانية) ببولاق مصر ، وكتدرائية سانت جورج بالقدس ، وقد خصته بالسيد المسيح فدرست شخصيته على ضوء المذاهب البروتستانية .

روزنامة سيدة التلّة الكنائسية للسنة ١٩٣٧

اصدرها الاباتي افرام حنين الديراني

تُطلب من محلّ حنين اخوان (سوق الجميل ، بيروت) ، ومن مطبعة المرسلين اللبنانيين (جونية) ومن مكاتب بيروت ، وجونية ، وجبيل ، والبترون ، وطرابلس — الثمن : ١٠ غ ل . س .

هي السنة الخامسة والعشرون ، سنة اليوبيل الفضي ، لهذه الروزنامة ، الشهيرة بما فيها من فوائد دينية ومدنية ، بذكر جميع الاعياد رسميّة وطائفية وايرادٍ كثير من الملاحظات والحكم والاخبار ، فوق ما فيها من موافقات التاريخ الهجري ، وسائر ضروريات التقويم الكامل .

تقويم البشير للسنة ١٩٣٧

٢١٤ ص . متوسطة — المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ —
الثمن : ٢٥ غرشاً لبنانياً سورياً

يحتلّ تقويم هذه السنة الى جنب سابقيه ، ذاك المركز العالي الذي عرفه

له طلّاب المعلومات الموجزة السريعة عن بلادنا وتقاسيمها وميزاتها ، سياسةً ، وادارةً ، واقتصادًا ، وتجارةً ، وسياحةً واصطيافًا . وقد اضاف الى ما هو معهود في سابقيه نصوص المعاهدات اللبنانية والسورية والعراقية والمصرية بكاملها ، مع كثير من الصور الفنّية الرائعة ، والرسوم والخرائط ، حتى غدا من موادّ العمل الضرورية لاصحاب الاشغال والمصالح .

* لائحة بانواع الاشجار الحرجية الملائمة للتحريج ، بحسب المناطق وارتفاعها وتربتها * ٣٢ ص . كبيرة مصوّرة - من آثار مديرية الزراعة والدوائر الاقتصادية في الجمهورية اللبنانية هذه اللائحة النافعة ، وضعتها بالاشتراك مع لجنة فنّية من جمعية اصدقاء الاشجار ، فذكرت كل ما يمكن المزارع اللبناني ان يغرسه من الاشجار الملائمة ، في مختلف المناطق من شاطىء البحر الى اعالي القمم ، من الارض الشحّارية الى الرملية العادية ، الى الطينية او المستنفعة ، الى الكلسية . . . مرتّبة الاشجار على انواعها من حيث الاستثمار ، مردفةً بملاحظات مفيدة في طريقة مراقبتها والاعتناء بها .

* عظة في شأن المجمع الماروني اللبناني * القاها في عيد اليوبيل المئوي الثاني ، في الكاتدرائية المارونية ، في حلب ، الاب رفائيل نخله اليسوعي . - ٢٨ صفحة . متوسطة صغيرة ، المطبعة المارونية ، بحلب ، ١٩٣٦

* مقالة في الصور والتماثيل في الكنيسة * بقلم البير بطرس سابا المعلّم في مدرسة الشرفة الاكليريكية ، طبعت ثانيةً وأضيف اليها فوائد شتّى في عددي تشرين الثاني وكانون الاول من مجلّة « المنارة » - ٣٢ ص . متوسطة ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٦ .

* دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر * بقلم جان موفاجيه نقلها الى العربية فؤاد افرام البستاني - ٥٢ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ - هي المقالة التي ظهرت في « مشرق » السنة الحاضرة ، نشرت على حدة تسهيلاً لفائدتها .

* رصافة هشام ورقّة الرشيد * رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية ، بقلم فؤاد افرام البستاني - ٣٤ ص . متوسطة مصوّرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٦ - وهذه ايضًا من منشورات « المشرق » في السنة الحالية .

* مفردات الكتب النادرة الموجودة في مكتبة العرب * لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني ، ٤٧ شارع الفجالة ، مصر ، ١٢٦ ص . متوسطة - مطبعة العرب للبستاني ، مصر ، ١٩٣٦

فهارس المشرق

للسنة الرابعة والثلاثين

١٩٣٦

فهرس اوّل

لموادّ السنة الرابعة والثلاثين من مجلة المشرق

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : الاحابيش ، والنظام العسكري ، في مكة ، زمن الهجرة : ١ ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (١–٣٢) = الأرز ، قصيدة (مصوّرة) ، عن « الجبل الملهم » لشارل قرم ، نقلها سعيد عقل (٣٣ – ٣٧) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولنتهم الوطنية والطقسية ؛ ١ ، بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (٣٧–٦٧)= شخصية احمد شوقي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٦٧ – ٧٦) = حفريات افامية (مصوّرة) بقلم فرنان ميّانس (٧٦– ٨٤) = نسب عمر بن ابي ربيعة ، بقلم جبرائيل جبور (٨٤ – ٩٤)= صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسّط ، بقلم شارل قرم (٩٤ – ١٠٤) = تاريخ فخر الدين الثاني لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ، بقلم اسد رستم وفؤاد افرام البستاني (١٠٤ –١١٣)= شذرات : دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦ (١١٣) – معلومات جديدة عن مستشرق قديم: الاخ حنا صوصه البرتقالي الاصل ، الدمشقي المولد (ف. أ. ب.) (١١٤)– المجمع اللبناني : الذكرى المئويّة الثانية لعقده (ل . خليل) (١١٦) – جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري: جواب وايضاح (الخوري قسطنطين الباشا) (١٢١) –حول « الشواذّ الحلية » في الطقس الماروني (الخوري خليل الرجي) (١٢٥) = مطبوعات شرقية جديدة: وصف ٢٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و١٧ كتاباً باللغة العربية (١٢٨ – ١٦٠)

الجزء ٢ (نيسان — حزيران) : دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر (مصوّرة) ، بقلم جان سوفاجيه (١٦١ – ٢٠٩) = نداء ! قصيدة ليوسف

غصوب (٣٠٩) الطيور الغريبة ، قصيدة لسعيد عقل (٣١٠) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولنتهم الوطنية والطقسية : ٢ً ، بقلم المطوري اسحق ارملة السرياني (٣١١-٣٢٥) = رسالة هشام ورقة الرشيد : رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية (مصوّرة) ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٢٥ - ٣٦٩) = الدياطسرون في طبعته الجديدة : نظرة نقدية بقلم المطوري لويس خليل (٣٦٩ - ٣٧٧) = شذرات : بيان حقيقة (الاب يوسف علوان اللمازري) (٣٧٧) - جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : عود على بدء (نجيب سليم الدحداح) (٣٧٨) = مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٣٠ كتاباً باللغات الاوربية ، و ٣١ كتاباً باللغة العربية (٣٨٥-٣٣٠)

الجزء ٣ (تموز — ايلول) : آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية (مصوّرة) بقلم الاب بولس بيترس البولندي اليسوعي (٣٢١ - ٣٤٥) = بطيك ، قصيدة عن « الجبل المُلهم » لشارل قُرم ، نقلها سعيد عقل (٣٤٥ - ٣٥١) = المتنبي والشعر الصافي ، بقلم فؤاد افرام البستاني (٣٥١ - ٣٦١) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولنتهم الوطنية والطقسية : ٣ً بقلم المطوري اسحق ارملة السرياني (٣٦١ - ٣٩٥) = معرض دمشق سنة ١٩٣٦ (مصوّرة) ، بقلم الاب فرديان توتل اليسوعي (٣٩٥ - ٤١٥) = المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ، مخطوطة نشرها الاب بولس مسعد الراهب الحلبي اللبناني (٤١٥ - ٤٤٣) = شذرات : في النهضة الادبية : ناصيف اليازجي ، وفارس الشدياق (ف. ا. ب.) (٤٤٣) - بيان حقيقة (المطوراستف لويس خليل) (٤٤٧) - تنبيه (٤٤٨) = مطبوعات شرقية جديدة ، وصف ٢٧ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٥ كتاباً باللغة العربية (٤٤٩ - ٤٨٠)

الجزء ٤ (تشرين الاول - كانون الاول) : اصول الجمال في الفن الاسلامي (مصوّرة) ، بقلم غاستون ڤييت (٤٨١-٤٩٧) = الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولنتهم الوطنية والطقسية : ٤ً (تتمة) بقلم المطوري اسحق ارملة السرياني (٤٩٧ - ٥٢٧) = الاحابيش ، والنظام العسكري ، في مكة ، زمن الهجرة : ٢ً (تتمة) ، بقلم الاب لامنس اليسوعي (٥٢٧ - ٥٥٥) = لبنان الكبير في التاريخ ، بقلم نجيب سليم الدحداح (٥٥٥ - ٥٧٥) = نقد نقّاد المتنبي ، بقلم رجيس بلاشير (٥٧٥ - ٦٠٠) = شذرات : الذكرى المئوية الثانية للمجمع اللبناني (٦٠٠) - ميخائيل الزبري (الاب بولس مسعد) (٦٠١) - مطبوعات شرقية جديدة : وصف ٢٦ كتاباً باللغات الاوربية ، و٢٣ كتاباً باللغة العربية (٦٠٥ - ٦٤٠) = فهارس المشرق (٦٤١) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارمة (المطران اسحق السرياني) : الملكيون بطريركيتهم الانطاكية ، ولتهم الوطنية والطقسية ٤٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٢٦٥ ؛ ٤٩٧-٧٥٢ - وله وصف مطبوعة ٦٢٦

الباشا (المطران قسطنطين) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري (جواب وايضاح) ١٢١-١٢٥

البستاني (فؤاد افرام) : شخصية احمد شوقي ٦٧-٧٦ — تاريخ فخر الدين الثاني لمكاتبه احمد الخالدي الصفدي (بالاشتراك مع الدكتور اسد رستم) ١٠٤-١١٢ — معلومات جديدة عن مستشرق قديم : الاخ حنا صوفه البرتالي الاصل الدمشقي المولد ١١٤-١١٩ — رصافة هشام ورقة الرشيد : رحلة حديثة الى صحراء سورية الشمالية ٢٢٥-٢٦٩ — المتنبي والشعر الصافي ٢٥١-٢٦١ — في النهضة الادبية : ناصيف اليازجي وفارس الشدياق ٤٤٣-٤٤٧ — وله وصف مطبوعات ١٣٣ ؛ ١٣٤ ؛ ١٤٧ ؛ ١٥٣-١٥٤ ؛ ٢١٣ ؛ ٢١٤ ؛ ٢١٨-٢١٣ ؛ ٤٥٤ ؛ ٤٥٥ ؛ ٤٦٢-٤٦٩ ؛ ٤٧١-٤٨٠ ؛ ٦٢٦-٦٢٨ - وله تعريبات وشذرات متفرقة

بلاشير (رجيس) : نقد بقلم المتنبي ٥٧٥-٦٠٠

بيترس (الاب بولس البولندي اليسوعي) : آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقرب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٣٣١-٣٤٥

توتل (الاب فردينان اليسوعي) : معرض دمشق سنة ١٩٣٦ ، ٢٩٥ - ٤١٥ — وله وصف مطبوعات ١٥٠ ؛ ١٥٤ - ١٥٦ ؛ ٢١٥ - ٢٠٠ ؛ ٢٠٥-٢١٢ ؛ ٤٧٠ ؛ ٦٢٩-٦٣٦

تيان (اميل) : له وصف مطبوعات ٦٣٣-٦٣٦

جبّور (جبرائيل) : نسب عمر بن ابي ربيعة ٨٤-١٤

الجميّل (الحكيم امين) : له وصف مطبوعات ٦١٦-٦١١

خليل (المطران لويس) : المجمع اللبناني : الذكرى المئوية الثانية لعقده ١١٩ — الدباطرون في طبعته الجديدة ٢٦٩ - ٢٧٧ - بيان حقيقة ٤٤٧

الدحداح (نجيب سليم) : جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري : عود على بدء ٢٧٨-٢٨٥ — لبنان الكبير في التاريخ ٥٥٥-٥٧٥

الرجّي (المطران ميخائيل) : حول «الشواذ الحلية» في الطقس الماروني ١٢٥ - ١٢٧

رستم (الدكتور اسد) : تاريخ فخر الدين

الثاني لكاتبه أحمد الخالدي المقدسي (بالاشتراك مع فؤاد افرام البستاني) ١٠٤-١١٢

رونزفال (الاب سبستيان اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٣٠؛ ١٣٦-١٤٠؛ ٢٨٧-٢٨٩؛ ٦٠٢-٦١٢

سوفاجيه (جان) : دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩

طرابلسي (أميل) : له وصف مطبوعة ١٥٩

عقل (سعيد) : الأرز : قصيدة عن «الجبل الملهم» ٢٢-٢٧ — بعلبك : قصيدة عن « الجبل الملهم » ٢٤٥ - ٢٥١ - الطيور الغريبة (قصيدة) ٢١٠

علوان (الاب يوسف اللازري) : بيان حقيقة ٢٧٧

غصوب (يوسف) : نداء (قصيدة) ٢٠٩

ف . خ : له وصف مطبوعة ٣٠٢

فارس (حليم) : له وصف مطبوعات ١٤٢-١٤٧

فيت (غاستون) : اصول الجمال في الفن الاسلامي ٤٨١-٤٩٧

قرم (شارل) : الأرز (قصيدة) ٢٢-٢٧ — بعلبك (قصيدة) ٢٤٥-٢٥١ - صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسط ٩٤-١٠٤

كابيلو (الاب يوحنا اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٦٠٥؛ ٦٢٢

كوميه (الاب شارل اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٦٢٢

لامنس (الاب هنري اليسوعي) : الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ١-٢٣ ؛ ٥٢٧ - ٥٥٥ — وله وصف مطبوعات ١٤١؛ ١٤٩؛ ٢٩٢

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٩؛ ١٣١؛ ١٤١؛ ١٤٩؛ ٢٨٦؛ ٢٩٠؛ ٢٩٢؛ ٣٠٠-٣٠٢؛ ٤٠١-٤٠٢؛ ٤٥٥-٤٦٢؛ ٦١٢-٦١٥؛ ٦١٩؛ ٦٣١

مسعد (الاب بولس الحلبي اللبناني) : المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٣ — ميخائيل الغزيري ٦٠١-٦٠٤

مونرد (الاب بولس اليسوعي) : له وصف مطبوعات ٢٨٩؛ ٤٤٩؛ ٦٠٦

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعات ١٢٨؛ ٢٨٥؛ ٤٤٩

ميري (الاب يوسف اليسوعي) : له وصف مطبوعة ٦١٩

ميانس (فرنان) : حفريات أفامية ٧٦-٨٤

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والثلاثين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ.

ا

ا. ت : اطلب : لامبر (هنري)
ابن خلدون : منتخبات لجميل صليبا وكامل عياد ٤١٤
ابن طفيل : قصة حيّ بن يقظان ، بتحقيق جميل صليبا وكامل عياد ٤٧٢
ابو خاطر (ابراهيم) : المخواطر ١٥٥
اسامة بن منقذ : لباب الآداب ، بتحقيق احمد محمد شاكر ٣١٢

ب

بازين (رينه) : البيت الازاسي ، تعريب ادوار مرقص ٢١٩
الباشا (الخوري قسطنطين) : اطلب : العورة (ابراهيم)
البستاني (فؤاد افرام) : رصافة هشام ورقّة الرشيد ٦٤٠ — : اطلب : الصفدي ، وسوقاجيه (جان)
بليبل (ادمون) : الجنرال ميشال حدّاد ٢٣٠
بوزي (الاب دنيس) : خواطر الأخت ماري ليسوع المصلوب ، نقلها الاب انستاس ماري الكرملي ٦٢٨
بيوس الحادي عشر : الكهنوت الكاثوليكي ١٦٠

ت

تذكار اليوبيل الفضي لاخوية الحبل بالعذراء بلا دنس لطائفة الاقباط الكاثوليك ٢٣٠
تقويم البشير للسنة ١٩٣٦ ١٦٠
تقويم البشير للسنة ١٩٣٧ ٦٢٩
تقويم الهلال للسنة ١٩٣٦ ١٦٠

ج

جابر بن حيّان : مختار رسائله ، بتحقيق پ . كراوس ٤٦٣
جبور (جبرائيل) : عمر بن ابي ربيعة : الجزء الاول ١٥٣
الجريديني (سامي) : اطلب : شكسبير
الجمعية الخيرية البشراوية : بياضا للسنوات ١٩٠٦–١٩٣٥ ٢٣٠
الجمعية الخيرية للقديس يوحنا الدمشقي : بياضا للسنة ١٩٣٥ ٢٣٠
جمعية القديس منصور دي پول في بيروت : بياضا للسنة ١٩٣٥ ٢٣٠
جمعية القديس منصور دي پول في دمشق : بياضا للسنة ١٩٣٥ ٢٣٠

ح

الحب والسلام : مجلّة ٢٣٠
حبيقه (الخوراسقف بطرس) : استشهاد بولس الرسول ١٦٠ — مآثر عريضة : ٤ ٢١٨– الصداقة الفرنسية اللبنانية ٢١٨ — الفتية الثلاثة ٢١٩ — عاطفة في عاصفة ٦٢٨
حسن (حسن ابراهيم) : اطلب : غروهمان (ادولف)
حسن (زكي محمد) : الفنّ الاسلامي في مصر :

الجزء الاول ١٥٠
الحسني (عبد الرزاق) : تاريخ الوزارات العراقية — العراق في دوركي الاحتلال والانتداب ٢٠٨ — تعريف الشيمة ٤٦٥ — البابيّون في التاريخ ٤٦٦ — موجز تاريخ البلدان العراقية — تاريخ الصحافة العراقية : ١ً ٤٦٧ — الاغاني الشعبية ٤٦٨
حنين (الاباتي افرام) : روزنامة سيدة النلة الكنائسية للسنة ١٩٣٧ ٦٣٩

خ

خليل (المونسنيور لويس) : الحزب القومي السوري مؤامرة على الدين والوطن ٤٧٣

د

دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) : المجلّد الثاني : ٣ و٤ و٥ و٦ و٧ ٤٦٤
دموع الاسى والألم : تأبين المرحومة رمزا لطني ١٦٠

ر

رتشاردس : اي انسان هذا؟ ترجمة حبيب سعيد
رستم (اسد) : اطلب : الصفدي

ز

الزحلاوي (حبيب) : ادباء معاصرون ٣١٥
زخريا (الشيخ حنا اسعد) : البلشنديّات ٤٧٢
الزراعة (مديرية) في الجمهورية اللبنانية : لائحة باتواع الاشجار الملائمة للتحريج ٦٤٠
زيّات (حبيب) المقتطف الشرقية : ١ً ٤٧٠

س

سابا (القس بطرس) : مقالة في الصور والتماثيل في الكنيسة ٦٤٠
سعد (حبيب) : راجع : رتشاردس
السمعاني (المونسنيور بولس) : تاريخ الآداب السريانية ٦٣٦
سوفاجيه (جان) : دمشق الشام ، نقل فؤاد افرام البستاني ٦٤٠

ش

شاكر (احمد محمد) : راجع : اسامة بن منقذ
شبلي (الاب انطونيوس) : تأبين الاب انطونيوس عارج ٢٣٠
شحاته (شفيق) : النظرية العامّة للالتزامات في الشريعة الاسلامية ١ً : طرقا الالتزام ٦٣٣
شكسبير : الملك هنري الخامس ، ترجمة سامي الجريديني ٦٣٧
الشهابي (الامير مصطفى) : الزراعة العلمية الحديثة ١٥٤
الشهرباني (عبد القادر المطيبي ؟) : تذكرة الشعراء ، بتحقيق الاب انستاس ماري الكرملي ٤٧٩
شوقي (احمد) : الشوقيّات : ٣ً : المراثي ٤٧١

ص

صائغ (متري) : زراعة الاشجار المثمرة ١٥٧
صرّوف (فؤاد) : اساطين العلم الحديث ٣١٤
الصفدي (احمد الخالدي) : لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني ، بتحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ٤٦٩
الصلاح : مجلّة ٢٣٠
صليبا (جميل) : راجع : ابن خلدون ، وابن طفيل — واطلب : الغزالي

ط

الطناحي (طاهر احمد) : فاروق الاول ٦٣٧
طوسون (الامير عمر) : الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ٦٣٣

ع

عبد الباقي (فؤاد) : تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس

لالفاظ الحديث النبوي ٣٠٦
العرابي (دياب عثمان) : الفاروق عمر بن الخطّاب ٣٠٥
عريضه (البطريرك انطون) : في محبة القريب ١٦٠
العزاوي (عباس) : تاريخ العراق بين احتلالين ٦٢٢ — تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ٦٢٥
العشّي (المونسنيف يوسف) : تعاليق ريشار ميسون على رحلة دنديني ٢١٧
العمري (ابراهيم) : تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ، بتحقيق الخوري قسطنطين الباشا ٢١٦
عوّاد (الخوري منصور) : حقوق الطوائف الدينية في مسائل الاحوال الشخصية ٦٢٥
عياد (كامل) : راجع : ابن خلدون ، وابن طفيل — واطلب : الغزالي

غ

غرومان (ادولف) : اوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، نقل حسن ابراهيم حسن ١٥٨
غريبه (يوزف وحيد) : الف حزوره وحزوره ١٦٠
الغزالي (ابو حامد) : المنقذ من الضلال ، بتحقيق جميل صليبا وكامل عياد ٢١٤

ف

فرّوخ (عمر) : ابو نواس : ١ و ٢ — ابو تمام ٤٧٦
فهد (الاخ بطرس) : كتاب الهدى ٢٣٠
فولتير : زاييره ، معرّبة نظماً بقلم فارس كلاب والبشاع كرم ٤٨٠

ك

كراوس (پ) : راجع : جابر بن حيّان
كرم (البشاع) : راجع : فولتير
الكرملي (الاب انستاس ماري) : راجع : الشهرباني — رسالة في الكتابة العربية المتفحة ٤٨٠ — الكلم الاخيرة ٦٢٨ — راجع : بوزي (الاب دنيس)
كلاب (فارس) : راجع : فولتير
كيورك (الخوري انطون) : التعليم المسيحي للكاثوليك الشرقيين : الكتاب الثاني ٢١٨

ل

لاسير (هنري) : سيدة لورد ، نقل ا . ت . ٢١١

م

مبارك (المطران اغناطيوس) : الشر المبارك ٢١٣
المرتضى (الشيخ عبدالله بن) : كتاب الفلك الدوّار في اسماء الائمة الاطهار ٦٢٩
مردم بك (خليل) : الجاحظ — ابن المقفّع — ابن العميد — الصاحب بن عبّاد ٤٧٥
مرقص (ادوار) : كفيل العروض والقافية ٢١٧ — راجع : بازين (زيد)
مسعد (الاب بولس) : الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات — الذكرى القرنية الثانية للمجمع الاقليمي اللبناني ٦٢٦
المعلوف (عيسى اسكندر) : الاسر العربية المشتهرة بالطب العربي ، واشهر المخطوطات الطبية العربية ١٥٢
المقدسي (انيس الخوري) : امراء الشعر العربي في العصر العبّاسي — تطوّر الاساليب النثرية في الادب العربي ٤٧٧
مكتبة حامد عجان الحديد بحلب : فهرسها للسنة ١٩٣٥ ١٦٠
مكتبة العرب : مفردات الكتب النادرة الموجودة فيها ٦٤٠

ن ·
نادر (الاب يوسف) : كتاب تعليم المبتدئين واجبات التلاذين ٢١٩
غله (رشيد) : محسن المزّان ٤٨٠
غله (الاب رفائيل اليسوعي) : عظة في شأن المجمع الماروني اللبناني ٦٤٠
نادي (نبي) : فارس الشاب ١٥٩
النويري (شهاب الدين) : نهاية الارب في فنون الادب ١٥٦

٢ — المطبوعات الاوروبية

Académie française (Trois siècles de l'). 1635-1935. (460)
Acta pont. Academiae Romanae S. Thomae Aq. et Religionis Catholicae. (449)
Acta pontificalium operum a Propagatione fidei et a sancto Petro apostolo pro clero indigena : II. (609)
Alcaniz (Fl.), s. j., De autographo tractatus inediti Card. Joannis de Lugo « De Anima ». (605)
Almanach Catholique Français pour 1936. (135)
Ancel (Jacques). Affaires étrangères. (621)
Assaf (J. G.), La compétence des tribunaux du statut personnel au Liban et en Syrie. (455)
Averroès, La Bidâya : Du mariage et de sa dissolution — Des donations, des testaments, des successions, des jugements. Trad. par Ahmed Laïmèche. (142)
al-Baghdâdî, al-Fark bain al-Firak. Trad. par Abraham S. Halkin. (293)
Barrès (Maurice), Mes Cahiers : X. (614)
Barrois (A.-G.), o. p., Précis d'archéologie biblique. (288)
Baumgarten (H.), La civilisation japhéto-sémitique. (451)
Bazantay (Pierre), La pénétration de l'enseignement dans le sandjak autonome d'Alexandrette. (147)
Ben (Augustinus), s. j., De Scripturae Sacrae inspiratione. (449)
Ben Daoud (B.), cf. Le Coran
Berutti (P. Dr Christophorus), o. p., Institutiones Juris Canonici : I. (285)
Bloom (Dr Asher), L'Ostéologie d'Abul Qasim et d'Avicenne. (616)
Blosius (Le Vénérable Louis). Speculum monachorum. (291)
Bouthoul (B.), Le Grand Maître des Assassins. (458)
Cappello (F.), s. j., Tractatus canonico-moralis de sacramentis. (129)
Carbone (C.), Circulus philosophicus seu objectionum cumulata collectio : II. (131)
Casterot (Norbert). Au fond des gouffres. (622)
Cavaignac (E.), Le Problème hittite. (611)
Chambry (Pierre), cf. Xénophon.
Charpentier (John), Le maître du secret. (615)
Chatelle (A.), La paix manquée. (619)
Chauvo-Bertrand (Abbé), La question de Pâques et du calendrier. (607)
Chaigne (Louis), Vies et œuvres d'écrivains. (461)
Chauvire (Roger), L'Irlande, 1936. (621)
Chrysogone (P.), carmo, Ascetica et Mystica summa. (605)
Colomb, cf. Lousseau
Constantin VII Porphyrogénète. Le livre des Cérémonies : I. Trad. par Albert Vogt. (149)
Conte a Coronata (P. Matthaeus), o. m. c., Institutiones Juris Canonici ad usum utriusque cleri et scolarum. (285)
Le Coran, trad. par Ahmed Laïmèche et B. Ben Daoud. (292)
Coberthrambe (Fr.), Le règne du frère. (459)
Cochin (Augustin). Abstractions révolutionnaires et réalisme catholique. (451)
Condamin (Albert), s. j., Le livre de Jérémie. (606)
Cordignano (Fulvio), s. j., Dizionario albanese-italiano. 308
Desgrippes (Georges), Etudes sur Pascal. (135)
Desnoyers (L.), Les Psaumes. (450)
Erman (Adolf). Die Religion der

Aegypter. (136)

Féghali (Michel), Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban et de Syrie. (455)
Forbin (Victor), Ce qu'il faut connaître du pétrole. (623)
Furlani (Giuseppe), Il primo libro dei Primi Analitici di Aristotele nella versione syriaca di Giorgio delle Nazioni. (290)

Galling (Kurth), Biblisches Realloxikon. (130)
Gemayel (Dr A.), Rapport à la société des Amis des Arbres. (462)
Gilson (Etienne), Le réalisme méthodique. (455)
Goemare (P.), Quand Israël rentre chez soi. (302)
Gorczinski (Ladislas), Climat solaire de Nice et de la Côte d'Azur. (301)

Haikin (Abraham), cf. Al-Baghdādī.
Haschmi (Moh. Jahia), Die Quellen des Steinbuches des Beruni. (457)
Héliodore. Les Ethiopiques : I. texte établi par R. M. Rattenbury et Rev. T. W. Lumb et traduit par J. Maillon. (459)
Heil (Joseph), Die Diwan der Hudailiten-Dichter. (294)
Hobeika (Chorévêque Pierre), Vie religieuse en Syrie et au Liban. (462)
Howard (L. O.), La menace des insectes. (301)

Jullien (Charlotte), Les cercles d'études féminins. (608)

Kalt (Edmund), Biblische Archaeologie. (130).
Kortleitner (F.-X.), o. p., Commentationes biblicae : X. (131)
— Religio a patriarchis Israelitorum exercitata (287)

Laimèche (Ahmed), cf. Averroès et le Coran
Lefebvre des Noëttes (Cte), De la marine antique à la marine moderne. La révolution du gouvernail. (300)
Lemonnyer, o. p., Sainte Catherine de Sienne. (133)
Levi Della Vida (G.), Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana. (454)
Loiano (P. Seraphin A.), o. m., Institutiones Theologiae moralis ad normam Juris Canonici : I. II. (128)
Lortal (R.), p. s. s., Morale sociale générale. Eléments de théologie morale sociale : I. (296)
Lousseau et Collomb, Manuel d'études bibliques : I. (289)
Lumb (T. W.), cf. Héliodore.

Madelin (Louis), Le Crépuscule de la Monarchie. (619)
Maillon (J.), cf. Héliodore.
Maïmonide. Traité des poisons. Trad. par Dr I.-M. Rabbinowicz. (616)
Manziarly (I. de) : Pérégrinations asiatiques. (302)
Mariani (Bernardus), o. s. b., Philosophiae Christianae institutiones in usum adolescentium : I. II. III. (451)
Maritain (Jacques), La philosophie de la nature. (452)
Marmardji, (A.-S.), o. p., Diatessaron de Tatien. (269-277)
Meistermann (Barnabé), o.f.m., Guide de Terre Sainte. (614)
Mesnil du Buisson (Comte du), Le site archéologique de Mishrifé-Qatna. (138)
Mez (A.), El renacimiento del Islam. Trad. por Salvador Vila. (615)
Mohtar-Katirjoglou (Mahmoud), La Sagesse Coranique. (453)
Monicault (J. de), Le port de Beyrouth et l'économie des pays du Levant sous le mandat français. (612)
Moreno (M.M.), La dottrina dell'Islam. (141)

Olivaud (Mgr A.), Les origines intellectuelles du jardin d'enfants. (462)
Osten (Hans Henning von der), Ancient oriental seals in the collection of Mrs Agnes Baldwin Brett. (611)

Paret (Rudi), Zur Frauenfrage in der arabisch-islamischen Welt. (141)
Parrot (André), Mari, Une ville perdue et retrouvée par l'archéologie française. (609).
Pellinubo (E.), Caractère et personnalité. (452).
Pohl (Alfred), s. j., Neubabylonische Rechtsurkunden aus den Berliner Staatlichen Museen. (137)

Prado (J.), Propaedeutica biblica sive introductio in universam Scripturam. (290)
Pressoir (Charlotte) et Marie-Louise), cf. Walpole (Hugh).

Rabbinowicz (Dr I.-M.). cf. Maïmonide.
Rahy (Nell). Le chapelet d'un mystique. (455).
Raphaël (P. Pierre).Le rôle des Maronites dans le retour des Églises Orientales. (132)
Rattenbury (R. M.) cf. Héliodore.
Reallexikon der Assyriologie : II, 3. (137)
Ritus prae ordinibus conferendis ex pontificali romano recognito. (291)
Ross (Denison), The Journal of Robert Stodard. (458).
Rousseau (Maurice), cf. Sargent

Sargent (Daniel), Thomas More. trad. de Maurice Rousseau. (133)
Sari Mehmed Pacha, The Book of Counsel for Viziers and Governors. Transl. by Walter Livingston Wright. (295)
Schacht (Joseph), G. Bergstraesser's Grundzüge des Islamischen Rechts. (293)
Sfeir (Rev. Peter P.), The Syrian Maronite Mass in English. (133)
Soubiran (Dr André). Avicenne, prince des médecins. (616)

Sykes (Christopher), Wassmuss. (457)

Temperley (Harold), The Crimea.(456)
Thomson (Peter), Die Palästina Literatur. (615)

Végu, Henri Heine peint par lui-même et par les autres. (461)
Verghotti (Blasius), Joannis Ludovici Vivis colloquia. (291).
Vila Salvador, cf. Moz (A.)
Vilaseik (J.), Zur Genesis der arabischen Zweisprachigkeit. (149)
Vogt (Albert), cf. Constantin VII Porphyrogénète.

Waard (C. de), L'expérience barométrique. (622)
Walpole (Hugh), La Cathédrale.Trad. par Charlotte et Marie-Louise Pressoir. (304)
Watzinger (Carl), Denkmaeler Palaestinas : II. (292)
Wright (Walter Livingston), cf. Sari Mehmed Pacha

Xénophon, Helléniques — Apologie — Mémorables. Trad. nouvelle de Pierre Chambry. (140)

Zoll (Th. Villanova Gerster A), o.m.c., Iafornus, tractatus dogmaticus juxta sensum S. Bonaventurae. (605)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الرابعة والثلاثين من المشرق

ا

الآداب الشرقية : منهاج دروسها في سنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ١١٣-١١٤

آراء وملاحظات في عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٢٣١-٢٤٥ : تأثير الرهبانية في مظاهر التقوى المسيحية ٢٣١-٢٣٢ - في نشر الايمان ٢٣٢-٢٣٣ - في فلسطين وسورية ٢٣٠ - في الكنائس المنفصلة ٢٤٣

آسية الوسطى : رسالات الرهبان فيها في العصور القديمة ٢٤٣

الاتابك والايوبيون : دمشق على عهدهم ١٨٩

الاحابيش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة ١-٢٣ ؛ ٥٢٧-٥٥٥

الارز (قصيدة) ٣٣-٣٧

الاسلامي (الفنّ) : اصول الجمال فيه ٤٨١ - ٤٩٧

اصول الجمال في الفنّ الاسلامي ٤٨١-٤٩٧ : نظرية التحريم ٤٨٣ — بين التقليد والابتكار ٤٨٣ — نتيجة التحريم ٤٨٥ — بعض ميزات الفنّ الاسلامي ٤٨٧ — عناصر الزخرف الاسلامي ٤٩٠

ب

بالس ٢٢٧

بطريركية الملكيين الانطاكية ٣٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥-٢٦١-٢٩٥ ؛ ٤٩٧-٥٢٧

بعلبك (قصيدة) ٢٤٥-٢٥١

بعلبك والبقاع ٥٦٣

بيان حقيقة ٢٧٧

بيان حقيقة ٤٤٧

بيروت ٥٥٧

ت

تاريخ دمشق منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩

تاريخ فخر الدين الثاني لكاتبه احمد الخالدي الصفدي ١٠٤-١١٣

تنبيه ٤٤٨

ج

جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري ١٢١-١٢٥ ؛ ٢٧٨-٢٨٥

ح

الحبش : راجع : الاحابيش

حقريات اقامية ٧٦-٨٤

حول « الشواذّ الطبية » في الطب المارونيّ ١٢٥-١٢٧

د

دروس الآداب الشرقية في السنة ١٩٣٥-١٩٣٦ ١١٣-١١٤

دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر ١٦١-٢٠٩ موقعها ١٦٤ — المدينة الاولية ١٦٦ — المدينة اليونانية - الرومانية ١٧٣ — على عهد الامويين ١٧٨ — في العصور الوسطى ١٨٣ — المدينة العصرية ٢٠٣ — معرضها سنة ١٩٣٦ ؛ ٣٩٥-٤١٥

الدياطرون في طبعته الجديدة ٢٦٩-٢٧٧

ذ

الذكرى المئوية الثانية للمجمع اللبناني ١١٩-١٢١ ؛ ٦٠٠

ر

رصافة هشام ورقّة الرشيد ٢٢٥-٢٦٩ : تاريخ الرصافة ٢٤٥ — اطلالها ٢٤٨ — تاريخ الرقّة ٢٥٩ — اطلالها ٢٦٤

الرهبانية القديمة : عملها على التقريب بين الكنائس والشعوب الشرقية ٢٢١-٢٤٥

س

سابا (مار) ٢٢٦

سمعان العمودي ٢٢٩

سورية وفلسطين : تأثير الرهبانية القديمة فيها ٢٣٠

سينا (جبل) ٢٣١

ش

شخصية احمد شوقي ٦٧-٧٦

الشدياق (فارس) ٤٤٢

الشعر الصافي والمتني ٢٥١-٢٦١

شوقي (احمد) : شخصيته ٦٧-٧٦

ص

الصفدي : تاريخ فخر الدين الثاني ١٠٤-١١٢

صفّين ٢٤٠

صوت لبنان في مؤتمر البحر المتوسط ٩٤-١٠٤

صوصه (الاخ حنا) : معلومات جديدة عنه ١١٤

صيدا (منطقتها) ٥٦٨

ط

طرابلس (منطقتها) ٥٧١

الطفي الماروني : حول « الشواذ الملية » فيه ١٢٥-١٢٧

الطيور الغريبة (قصيدة) ٢١٠

ع

العثمانيون : دمشق على عهدهم ١٩٨

العسكر والاحابيش في مكة زمن الهجرة ١-٢٣ ؛ ٥٢٧-٥٥٥

عمر بن ابي ربيعة : نسبه ٨٤-١٤

غ

الغزيري (ميخائيل) ٦٠١-٦٠٥

ف

فخر الدين الثاني : تاريخه للصفدي ١٠٤-١١٢

الفرات ٢٢٩ ؛ ٢٥٦

فلسطين وسورية : تأثير الرهبانية القديمة فيها ٢٣٠

الفنّ الاسلامي : اصول الجمال فيه ٤٨١-٤٩٧

ك

الكنائس المنفصلة : اثر الرهبانية فيها ٢٤٢

الكنائس والشعوب الشرقية : عمل الحياة الرهبانية القديمة على التقريب بينها ٢٢١-٢٤٥

ل

لبنان : صوته في مؤتمر البحر المتوسط ٩٤ — ١٠٤ — جريدة توزيع مال خراجه الاميري ١٢١-١٢٥ ؛ ٢٧٨-٢٨٥

لبنان الكبير في التاريخ ٥٥٥-٥٧٥ : بيروت ٥٥٧ — وادي التيم ٥٦١ — بعلبك والبقاع ٥٦٢ — منطقة صيدا ٥٦٨ — منطقة طرابلس ٥٧١

لغة الملكيين الوطنية والطقسية ٢٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٢٦٥ ؛ ٤٩٧-٥٢٧

م

مار سابا ٢٢٦

الماروني (الطفي) : حول « الشواذ الملية » فيه ١٢٥-١٢٧

الماروني (المجمع) المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٣

المتنبي والشعر الصافي ٢٥١-٢٦١ — نقد نقاده ٥٧٥-٦٠٠
المجمع اللبناني : الذكرى المئوية الثانية لمقده ١٧٣٦-١٩٣٦ ١١٩-١٢١؛ ٦٠٠
المجمع الماروني المنعقد سنة ١٥٨٠ ٤١٥-٤٤٣
معرض دمشق سنة ١٩٣٦ ٣٦٥-٤١٥ : الادارة والزوّار ٣٩٦ — معروضات البلاد المجاورة ٤٠٣ — القسم الزراعي ٤٠٥— المعارف ٤٠٦ — الاثريات ٤٠٨
معلومات جديدة عن مستشرق قديم ١١٤-١١٦
مكة : الاحابيش والنظام العسكري فيها زمن الهجرة ١-٢٢ ؛ ٥٢٧-٥٥٥
الملكيون : بطريركيتهم الانطاكية ، ولغتهم الوطنية والطقسية ٢٧-٦٧ ؛ ٢١١-٢٢٥ ؛ ٢٦١-٣١٥ ؛ ٤٩٧-٥٢٧
المماليك : دمشق على عهدهم ١٩٤
موقع البحر المتوسط : صوت لبنان فيه ٩٤-١٠٤

ن

نداء (قصيدة) ٣٠٩
نسب عمر بن ابي ربيعة ٨٤-٩٤
نقد نقاد المتنبي ٥٧٥-٦٠٠
النهضة الادبية : ناصيف اليازجي وفارس الشدياق ٤٤٣-٤٤٧

و

وادي التيم ٥٦١

ي

اليازجي (ناصيف) ٤٤٣
يعوذا (قفر) ٣٣٣
اليونان والرومان : دمشق على عهدهم ١٨٣

AL - MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la C^ie^ de Jésus

UNIVERSITÉ S^t^ JOSEPH

Trente quatrième année

1936

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1936

TABLE DES SOMMAIRES

XXXIVe ANNÉE, 1936

JANVIER-MARS

Les « Aḥābīš » et l'organisation militaire de la Mecque au siècle de l'hégire : I (p. 1). *P. H. Lammens, S. J.*

Les Cèdres, d'après *La Montagne Inspirée*, (*illustré*) (p. 33). *Mr Saïd Akl.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche ; leur langue nationale et liturgique : I (p. 37). *Abbé I. Armalé.*

La personnalité d'Aḥmad Chauqi (p. 67). *Mr F.-E. Boustany.*

Les fouilles d'Apamée, (*illustré*) (p. 76). *Mr F. Mayence.*

Généalogie de 'Omar ibn Abī-Rabī'a (p. 84). *Mr J. Jabbur.*

La voix du Liban au Congrès de culture méditerranéenne (p. 94). *Mr Ch. Corm.*

Une histoire de Fakr-ed-Dīn II (p. 104). *Dr A. Rustum et Mr F.-E. Boustany.*

Varia : Leçons de Lettres Orientales 1935-1936 (p. 112).
Nouveaux documents concernant Juan de Souza. (F.-E. B.) (p. 114).
Le Concile libanais, son 2e centenaire. (L. Kh.) (p. 119).
A propos de la « Répartition des impôts au Liban sous Béchir II ». (C. B.) (p. 121).
« De la liturgie maronite », mise au point. (M. R.) (p. 125).

Bibliographie (p. 128).

AVRIL-JUIN

Esquisse d'une histoire de la ville de Damas, (*illustré*) (p. 161). *Mr J. Sauvaget.*

Appel, *poème* (p. 209). *Mr J. Ghassoub.*

Oiseaux exotiques, *poème* (p. 210). *Mr Said Akl.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : II (*illustré*), (p. 211). *Abbé I. Armalé.*

Ruṣāfa et Raqqa : une récente excursion dans le désert du Nord Syrien, (*illustré*) (p. 235). *Mr F.-E. Boustany.*

Le Diatessaron dans sa récente édition, *notes critiques* (p. 269). *Abbé L. Khalil.*

Varia : Mise au point (J. Alouan) (p. 277).
A propos de la « Répartition des impôts au Liban sous Bèchir II». (N. Dahdah) (p. 278).

Bibliographie (p. 285).

JUILLET-SEPTEMBRE

Le monachisme antique, comme force de liaisn entre les Églises et Nationalités Orientales, (*illustré*) (p. 321). *P. P. Peeters, S.J.*

Ba'albek, d'après *La Montagne Inspirée*, (p. 345). *Mr Said Akl.*

Al-Mutanabbi et la poésie pure, (p. 351). *Mr F.-E. Boustany.*

Les Melchites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : III, (p. 361). *Abbé I Armalé.*

La Foire-Exposition de Damas, 1936, (*illustré*) (p. 395). *P. F. Taoutel, S. J*

Le Concile Maronite de 1580, (p. 415). *P. P. Massaad.*

Varia : Nāṣīf al-Yāzigī et Fāris aš-Šidyāq (F.-E. B.) (p. 443).
Mise au point (L. Khalil) (p. 447).
Errata (p. 448).

Bibliographie (p. 449).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

L'Esthétique de l'art musulman, (*illustré*) (p. 481). *Mr G. Wiet.*

Les Melkites : Leur Patriarcat d'Antioche : leur langue nationale et liturgique : IV (*fin*), (p. 497). *Abbé J. Armalé.*

Les « Aḥabiś » et l'organisation militaire de la Mecque au siècle de l'hégire : II (*fin*), (p. 527). *P. H. Lammens, S. J.*

Le Grand-Liban dans l'histoire, (p. 555). *Mr N. S. Dahdah.*

Critique des critiques d'al-Mutanabbi, (p.575). *Mr R. Blachère.*

Varia : Le 2e centenaire du Concile libanais (p. 600).
Michel Caniri. (P. M.) (p. 601).

Bibliographie (p. 605).